
دعوة الحق
خاص
مارس 1975
جهاد العرش المغربي
من أجل عودة الأراضي المغتصبة إلى حظيرة الوطن

مجلة تصدرها
وزارة الأوقاف
والشؤون الاسلامية
بالمملكة المغربية

العدد العاشر
السنة السادسة عشرة
صفر 1395
مارس 1975
ثمن العدد : درهم واحد

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التحرير ـ وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ،الرباط-المغرب ،الهاتف 10-308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

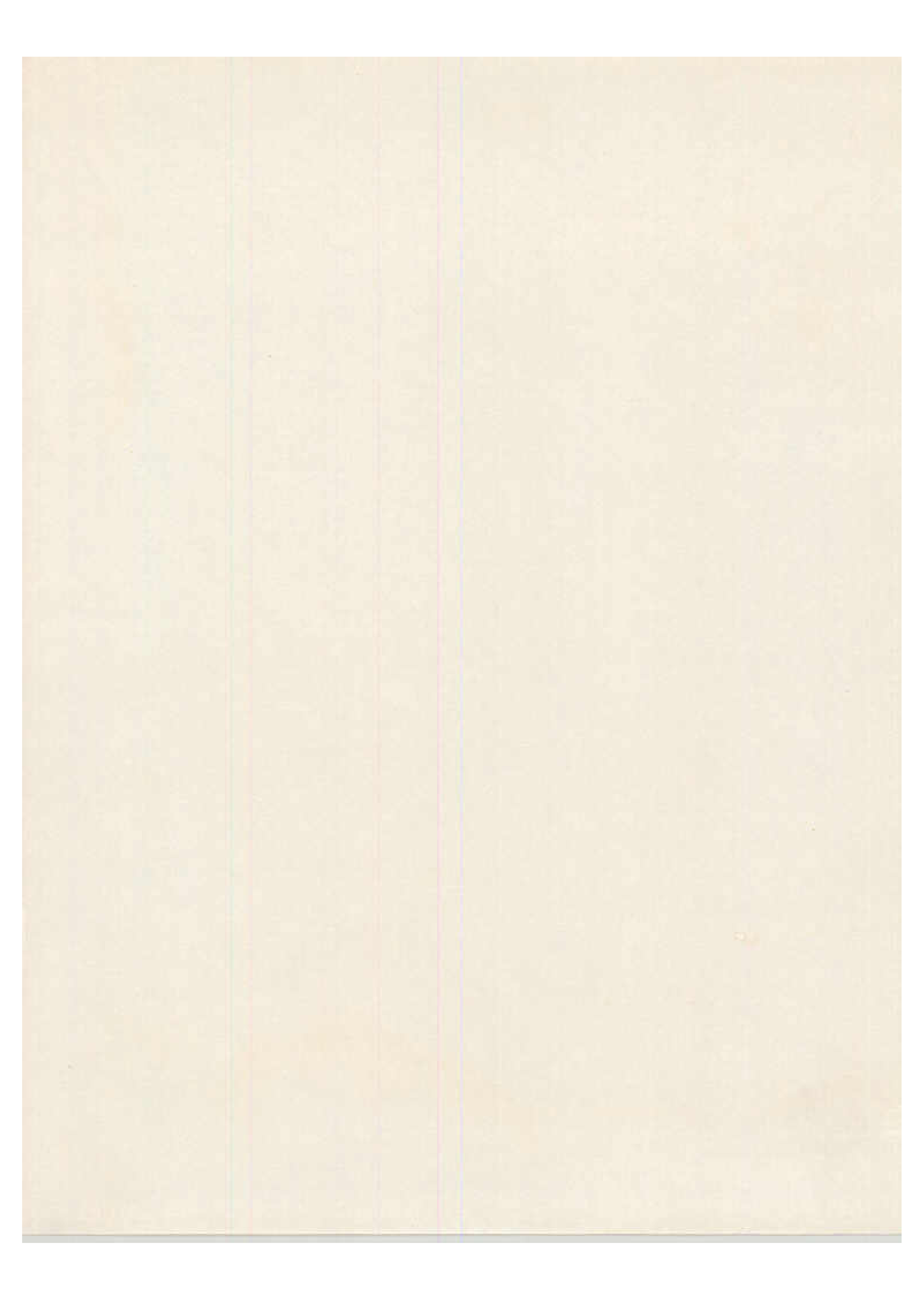
او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية . الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ـ الرباط تليفون 308.10 ـ 327.03

مطبعة فضالة





لمعالي وزير الاوقاف والشوون الاسلامية
السيد الداي ولدسيدي بابا



ان في ذكريات وطننا المجيد ، فوائد جمة ومزايا عديدة ، تتجلى في ابراز الصور الرائعة امامنا ، التي يستطيع المرء ان يلقي من خلالها نظرة الى ماضي هذه الامة العريق ،والى حاضرها ، وان يفكر كذلك في مسيرتها نحو المستقبل ، ومن البديهي انه لا توجد من بين هذه الذكريات معلمة اروع دلالة ، وانبل معنى ، واحفل بالاشراقات الفكرية العظيمة من تلك الذكرى الغالية التي يحتفل بها اليوم هذا الوطن ، والمتمثلة في عيد جلوس صاحب الجلالة امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله على عرش اجداده الاكرمين .

واذا كانت هذه المناسبة المجيدة ، تعطي لسائر القطاعات الحية فى البلاد فرصة استعراض المنجزات الكبرى التي تحققت ، او المشاريع التي اعدت ، تلبية لاغراض هذا الشعب الطموح ، او تتيح للمواطنين أن يعبروا عن فرحتهم ويستبشروا بجو الطمانينة والثقة بالنفس ، الذي يسود البلاد فان علينا فوق هذا كله ، ان نتحدث ـ والتحدث بالنعم شكر ـ عن الفضل الاكبر فى استنهاض هذه الامة ، الذي يرجع بالدرجة الاولى لعاهل البلاد وقائد مسيرتها المظفرة .

نعم ، ان النعمة الكبرى التي انعم الله بها على هذا الوطن ، وهو ينتقل من عهد التبعية والتخلف ، الى عهد الحرية والعزة والتقدم ، ان جعل زمام اموره بيد عاهل تربى فى احضان الوطنية الحق ، وناضل تحت لوائها ، وتحدى كل اعدائها ، وضحى فى سبيلها بجانب أبي هذه الوطنية ورائدها محمد الخامس قدس الله روحه .

وها هو التاريخ يسجل لجلالة الحسن الثاني مواقف ومبادرات خالدة، كالتي جمعت فى عاصمة ملكه مؤتمر القمة الاسلامي ، الاول من نوعه ، والذي منه انبثقت منظمة المؤتمر الاسلامي ، او كالتي ساندت شعوب افريقيا كلها فى نضالها التحريري ضد المستعمرين والغزاة ، او كالتي جعلت الجيش المغربي ، بعدده وعدده ، يهب لنجدة الاشقاء فى المشرق العربي لتحرير الارض وصيانة الكرامة العربية الاسلامية .

ولئن كانت هذه المواقف والمبادرات تدل دلالة واضحة على شيء فانما تدل على ان عاهلنا المفدى قد تشبع بامجاد الماضي وقيمه الدينية والحضارية ، مما جعله حفظه الله ، يعمل ساهرا لحمايه هذه الامجاد وهذه القيم ، معززا لجانبها ، مكرما لمعالمها ، مبرهنا فى نفس الوقت ، بفضل عبقريته وثقافته الواسعة وعلمه المتدفق ، عن قدرته الفائقة فى استيعاب احدث ما انتجه الفكر المعاصر فى شتى الميادين .

وهكذا نجده اعزه الله يعطي لديننا الحنيف وتراثنا الحضاري العربي حقهما على احسن وجه واكمله ، كما يعطي لمستلزمات حياة هذا العصر ـ عصر الاستكشافات العلمية المذهلة ـ حقها على احسن وجه واكمله كذلك.

وفي سيره على الخط القويم استطاع جلالته أن يضع اختياراته الاساسية فى قالب انسجمت عناصره ، احسن ما يكون الانسجام ، مع واقع بلادنا الحضاري والجغرافي والبشري والتاريخي ، كما توفق كذلك ، احسن ما يكون التوفق ، فى توضيح الرؤية للقضايا الجوهرية ، واتباع الاسلوب الصحيح والحكيم لمعالجتها ، ورسم الخطة العملية المحكمة ، التي تضمن للمغرب ان يسترجع اراضيه المغتصبة ومدنه السليبة ، ويستعيد مكانته التي ظل متمسكا بها طوال القرون ، والتي جعلت منه بلدا عظيما مزدهرا ذا رسالة حضارية ، قادرا على ان يقوم بدوره الطبيعي كصلة وصل بين افريقيا والعالم العربي واوربا .

واسرة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، اذ تعرب عن عميق ابتهاجها ، وفياض شعورها بحلول هذه المناسبة الكريمة ، مناسبة عيد

العرش المجيد ، واذ تذكر فى احتفائها بهذه الذكرى ، المعاني السامية التي يجسمها العيد ، وما يقترن به من ذكريات الوطنية الصادقة وأعمال الماضي والحاضر فى سبيل تشييد نهضة الوطن ، وتطلعات المستقبل ، الحافل بكل امكانيات التقدم والازدهار ، لتعرب لمقام حضرة صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله وأيده عن تهانئها الخالصة ، الصادرة عن قلوب مفعمة بحب جلالته ، والتشبث بالعرش العلوي المجيد ، مبتهلة الى الله العلي القدير ان يحفظ هذا الوطن فى شخص رائد مسيرته الملهم ، الذي الف بين القلوب ، وجمع الشمل ، ووحد الكلمة ، وان يديم نصره ويسدد خطاه ، ويحيطه بالعناية الربانية ، وان يمد فى عمره ، ويعينه على احياءمجد الاسلام وتراثه ، وعلى القيام بالاعمال الجليلة التي يباشرها ليل نهار للنهوض بهذه الامة الى ما تصبو اليه من رقي وعزة وتقدم ، وراجية لجلالته دوام التوفيق والنجاح اينما حل وارتحل ، كما تتضرع الى الباري جل وعلا ان ينبت صاحب السمو ولي عهده المحبوب الامير الجليل سيدي محمد نباتا حسنا ، وصنوه الامير مولاي رشيد ، وسائر افراد الاسرة الملكية الكريمة وشعبه العظيم ، انه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير .

الداي ولد سيدي بابا

كلمة العدد

وما الفرق ما بين الانام وبينه ؟...

للأستاذ نجي بنعبد الله



اعتاد الشعب المغربي النبيل ان يتخذ من يوم الثالث من شهر مارس عيدا وطنيا حقيقيا باعمق مفهوماته وأبعاده ، فيستقبل فيه طلائع فصل الربيع الريان الذي جعله الله جنة للحياة ، ومتعة للحي ، وراحة للعافية ، وتخرج فيه الامة المغربية الشاكرة عن بكرة ابيها فى زينتها وبهجتها ، وتطلق لنفسها عنان المرح والفرح ، وتهتف البيوت بالاهازيج والاغاني ، ويفيض السرور على قسمات الوجوه تعبيرا عن مشاعر الفرحة ومظاهر البهجة ، وتجدد ، لسيد البلاد مولانا الحسن الثاني حفظه الله ، العهد وتؤكده ، وتصدق العزم ، وتخلص النية ، وتتحرك على ساحة الجد معلنة فى اصرار عن الخطوات الجديدة التي تتسم بكل معاني القوه والخير ، لتنفي عن طريقها ما كان يتدحرج على وقع اقدامها من عبث وركام ، وتفتح نوافد الحب والود والصفاء على افراد المجتمع ، وتضع الاسس التي تكفل اعداد العدة ، وارصاد الأهب ، فى ميدان البطولة وسوح الجهاد الى ان تتلقى جزاءها الاوفى على جهادها الصابر ، وكفاحها الظافر ، ووطنيتها الصادقة ، وتبصر تباشير الفوز على غرة الصباح ...

ان يوم الثالث من شهر مارس اعلان صريح من ابناء الشعب الخالد ، ووراث المجد التالد عن تضامنهم ، ووحدة صفهم ، وتعلقهم بالعرش العلوي المجيد الذي مد على البلاد ظله الوارف الرخي ، واقام قواعد المجتمع على العدل ، وخفف متاعب العيش بالاحسان ، واثل ثرات الامة بجهاد اقياله وملوكه ، فكفل الاستقرار والاستمرار ، وضمن للبلاد وحدتها واستقلالها ، وحقق لها مستقبلا مشرقا ، وكرامة عزيزة ، وحياة مستقلة ...

والشعب المغربي الذي قطع عزمه على ان يعيش في حدوده الحق حرا عزيزا يجد في احتفاله بعيد العرش مناسبة للاعراب عن تعلقه وهيامه برائد الامة ، وقائد الشعب جلالة الحسن الثاني حفظه الله الذي وهبه الله جمال التوفيق ، ومنحه دلائل الفوز وزعامة حق ما جعلـه مناط امتـه ، ومبعث جهودها ، وعده مستقبلها ...

ولعل الشعب المغربي الذي يحتفل بالذكرى الرابعة عشرة لتربع سيد البلاد على عرش امجاده الاكرمين في هذه السنة الحافلة بالبطولات والامجاد المليئة بدلائل التوفيق وعلامات الرضى ،يدرك بان هذه السنة تكتسي صبغة خاصة ، ودلالات بعيدة حيث تجلى تضامن الامة والتئامهـا واتحادهـا وانسجامها ، والتفافها حول صاحب العرش العتيد ، الثابـت الاسس ، الشامخ الذرى ، الذي استيقظ في عهده رافد العدل ، وثاب في ايامـه غائب الحق ، وابتسمت في طريقه مضاحك الفوز ، واسفـر على وجهـه مخايل الامل ، فجعل من سنتنا هذه سنة استكمال الوحـدة الترابيـه ، وتحرير الاجزاء المغتصبة من بلادنا الغالية ..

فلا غرو اذا اتخذ الشعب المغربي من يوم الثالث من شهر مارس يوما خالدا مشهودا من اقدس ايامه واعز اعياده ، واكرم مواسمه لانه يذكرنـا بالعبء الفادح الذي نهض به ملوكنا العلويون الذي قدموا لهذه البلاد العزيزة اجل الخدمات واسمى العوارف ، واسنى المنجزات والمشاريع ، وقاوموا الاستعمار في جبروته وطغيانه ... ولم يتخلوا عن رسالتهم المقدسـة ، ومبادئهم الدينية ، ولم يغفلوا المواظبة والمراقبة ، ولم يهملوا المراجعة والمحاسبة ، بل صدقوا الجهاد واخلصوا النية ، ونهجوا طريق السلف ، وتجهزوا بجهاز العصر ، وعاشوا في حمى الدين ، واعتصموا بقوة العلم ، وعاشوا في ظلال الخفض وكانوا لله قانتين ...

ان يوم الثالث من شهر مارس الذي هو ذكرى عاهل المغرب العظيم جلالة الحسن الثاني ليذكرنا بالكفاح الظافر الذي بذله العرش المغربـي المجيدة في الحفاظ على كيان المغرب وسيادته ، وتنسيق سياسته ووحدة ترابه ، وما قام به الرواد الاولون الذين فاضت في نفوسهـم الحيـاة ، وزخرت في نفوسهم القوة ، وتفتحت بواكير الوعي في نفوسهم فاعلنوها حربا على الدخيل الواغل وكل من سولت له نفسه العبث بمقدسات البلاد، وحرمات الامة ، وخيرات الوطن ، ووجهوا قافلة الحياة في طريقها القاصد ، وجمعوا حولهم القلوب النافرة على هوى واحد ، ومهدوا لهذا البلد المسلم سبيل الاستقلال الصريح الخالص الذي حفظ الكرامة ، واعان على النهوض،

فعاشت بلادهم حرة غنية ، كريمة بين الشعوب ، عظيمة بين الامم ، متفيئة ظلال عرش علوي منيف الذرى ، وطيد الاركان ، قوي الدعائم ...

والمغرب ذو التاريخ الازلي ، والتراث الخالد ، والامجاد العريقة ، والبطولات الفائقة الرائعة ، والحضارات اليانعة ، والعقيدة السليمة ، والدين المتين ، والخلق الصحيح كتب تاريخه بدماء شهدائه ، وسجل كفاحه بمداد التضحية والفداء في سبيل نصرة العدل والحق والكرامة منذ عرفه التاريخ ، فلم يستكن لعبودية ، ولم يرضخ لذل ، ولم ينم على هوان ، بل حباه الله ، ومنذ ان دحا هذه الارض ، قوة لا تزدرى ، وكرامة لا تمتهن وحمى منيعا لا يستباح ، يقدم الى سوح الدفاع المقدس افلاذ كبده ، وشيوخ دينه ، وشباب دنياه ، ويبذل في سبيل العزة والكرامة المهج والارواح ، بيد انه راض بهذا البذل ، فخور بهذه التضحية ، سخي بذاك العطاء ... وكل هذه المعاني يذكرها الشعب المغربي وهو يحتفل بعيده الوطني ، وذكرى مليكه ، ويعبر عنها تعبيرا قويا يجول في كل خاطر ، ويختلج في كل ذهن ، ويعتلج في كل صدر فيخرج في شكل اهازيج واناشيد، ويعطي معنى الاستعداد والاصرار لمواصلة النضال ، ومضاعفة الانتاج ، ومتابعة المسيرة الرائدة التي يقودها حامي الوطن ...

— * —

ان للسيادة تبعات ، وللاستقلال تكاليف ، وللحرية اعباء ، وقد نهض المغرب بمسؤولياته ازاء التاريخ ، وخاض غمار الحياة بما عرف عن ابنائه البواسل الميامين ، وشبابه الآمل العامل الذين يتسعرون بالحماس ، وينفجرون بالوطنية ، ويهتفون بالتضحية فلم يتركوا اعنتهم للقدر ، وثروتهم للغريب ، وحمايتهم للحليف وفهموا ، قبل غيرهم ، معنى الوطن قبل ان يفهموا معاني الاستقلال والسيادة والعزة ، فلما فهموها وفهموا لوازمها من التضحية والاخلاص والايثار ، نالوا ما املوا ، وادركوا ما املوا ، وانجلى الغيهب الكثيف عن وضح الفجر ، وانتهى الطريق المخيف الى امان الغاية ، وحمدوا سراهم عند الصباح ...

ومن نعم الله على هذه البلاد المغربية الاسلامية انها حظيت بملك عظيم ، وحباها الله بطلا فذا ، واماما مجاهدا يذيب روحه في سبيل اسعاد امته ، ويبذل جهودا اثرجهود بدافع من نفسه ، وحافز من شعوره ، وباعث من وطنيته التي تملأ شعاب القلب بالاكبار والاعجاب ،وقد قطعت عزمها على ان تعيش في ارضها حرة تقاوم الواغل في كل طريق ، وتقف للمحتل كل مرصد ، وتجدع بثباتها انف المستكبر ، وتقرع باحتجاجها ضمير المصر ، وتحد من قسوته الجامحة ، وتعصبه الحاقد ، وبربريته الهوجاء الى ان يفيء الى امر الله ، ويعود الى القدر .. وانفه راغم ...

وقد جعل مولانا من هذه السنة سنة استكمال الوحدة الترابية وتحرير الاجزاء المغتصبة من الوطن ، وهو المشهود له بالذياذ عن الحمى،والدفاع

عن الوطن ، ومقارعة الاحتلال الاجنبي ، قديما وحديثا وفي شتى مظاهره ، الذي تحيف أطراف البلاد شمالا وجنوبا ، ونقصها من اطرافها وكاد لها في الداخل ، وجاهرها العداء الصريح والتألب في الخارج وحاربها في غير خلق ولا قانون ، فجحد فضلها ، وغمط حقها الى ان ادركته الراجفة تتبعها الرادفة ، ولحقته الصرخة التي صرخها رائد الامة وقائدها جلالة الحسن الثاني فصكت المسامع الصم ، وبافت القلوب الغلف يوم أعلن حفظه الله يوم الثامن من يوليوز الماضي بان هذه السنة ستكون سنة استكمال الوحدة الترابية حيث خاضها حفظه الله ، معركة شاملة على جميع المستويات من أجل اشعار الاصدقاء والاشقاء بخطورة الوضع في صحرائه المحتلة ، وقد كان نصره الله يوم أعلنها صرخة مدوية التفت لها الدهر يعي كل الملابسات والمحاولات التي ستتبع ذلك ، ووضع أمام اسبانيا التي هي اعرف الناس بما لنا من صولة ومضاء ، وما في نفوسنا من شمم واباء ، جميع الامكانيات للتفاهم والتفاوض والحوار علها ترعوي عن غيها ، وتقلع عن سياستها ، وتتسامى عن الافكار المظلمة التي كانت سائدة في القرون الوسطى ... والتي عفى عنها تطور الاحداث ، وانفتاح الشعوب على عهد جديد من الحرية والانعتاق ...

— * —

لقد اسفر الاستعمار الاسباني عن وجهه ، وكشر عن انيابه فتجاهل مطالب الشعب المغربي في حقوقه المشروعة ومطالبه العادلة ، وتمسك بصحرائنا، واقتطع أجزاء من اراضينا وجزرنا ، واستعمر سكانها ، في غير رحمة ولا عدل وأذاق أبناءها لباس الجوع والخوف ... لكن ابناء الصحراء الاشاوس ، وابطالها المغاوير الذين أخذوا موثقهم من الدم الشهيد ان يعيشوا أعزة او يموتوا كراما لا يرهبون وحشة السجن ، ولا يجزعون عند الفاجعة ، ولا يرتبكون عند الهول ، ولا يحجمون عند اللقاء ، بل يقفون صفوفا متراصة متلاصقة متلاحقة وصدورهم مشبوبة بعزم الآباء ، وقلوبهم عامرة بمعاني التضحية والفداء ، يخوضون حربا عوانا ناجحة المغبة لا محالة ، يرتفع معها الحجر ، وينكسر القيد ، وينقلص ظل الاحتلال ، ويلحقون بعدوهم داء بغيه، فيخر صريعا لليدين وللفم أمام قوى العدل والخير والسلام .

— * —

ان بقايا عهد الاحتلال الذليل ، والاستعمار الاجنبي الدخيل ، الذي ينتزى في صدره حقد الماضي ، وطمع الحاضر ، ويتحسر على المجد المفقود ، والشرف الضائع ، ويتعلل بالاماني الكواذب فاحتقر اجناس الناس، وانكر حقوق الشعوب ، وازدرى قواعد السلوك ، واستحل في سبيل الغلب والسيطرة نقض العهود ، وغش السياسة ، وقذف الرعب في كل قلب ، والشقاء في كل بيت ، واقتطع جزءا من ترابنا الوطني ، واستغل خيرات بلادنا وصحراء وطننا التي تزخر بالغنى ، وتفيض بالنعيم ، سوف

يقضي نحبه ويلفظ انفاسه الاخيرة على يد بطل التحرير جلاله الحسن الثاني ... لان الحق بجانبنا ... والله معنا ..

ان هذه المظالم الجائرة ، والعقلية الكلاسيكية المتخلفة عن عصور مضت والتي تتجاهل رغبات الشعوب في الانعتاق لا يقع تبديدها وتفتيها الا على يد قائد الامة الذي تصدى لها صراحة في خطابه يوم الثامن من يوليوز الماضي حينما قال :

((حينما نصل الى قضية التراب الوطني والوحدة الترابية ، وبالاخص مستقبل المغرب ، فان المغاربة يقفون وقفة واحدة كيفما كانت مشاربهم السياسية ، وكيفما كان مستواهم الاجتماعي ...))

— * —

ان مجد المغرب الذي تحدى القرون لا يزال جياش الغضب ، ثائر الحماس ، حمي الانف ، لا يقيم وزنا للارهاب والوعيد ، والتعذيب والتهديد، والمساومات والمجاملات ، والمراوغات والمخاتلات ، بل يدرك تمام الادراك انه طالب حق ، بنفسه وماله ، في سبيل عزته واستقلاله ، ويصر على تحقيق مطالبه المشروعة ، واسترجاع اراضيه السليبة ، ويخوض غمرة الهول ويتنافس في مجد الموت وشرف التضحية اللتين تؤديان الى سلام دائم ، وعدل شامل ، وسيكون انتصارنا المحقق لا محالة دليلا ، منقطع النظير ، من ادلة الواقع على ان أمتنا بخير ...

— * —

وسوف يشهد العالم ان المعركة الظافرة التي يقود كتائبها جلالة الحسن الثاني الذي اقام ملكه الاشم على الحمية والنجدة والشهامة والبطولة ، واملى على التاريخ ارادته ، وأكد للعالم انه رائد خريت يروض عقول المستعمرين على الحقيقة ، ويفتح عيونهم على الواقع ، مؤيدا من شعب عظيم طالما تحركت فيه حوافز السمو ، ونوازع الكمال ، لخليق بأن يلقن درسا قاسيا لمن تنكروا لماضيهم وماضينا المشترك ، فغمطوا حقوقنا ، وتحدوا حميتنا وبطولتنا ، وجحدوا حضارتنا ، وانكروا ما قام به آباؤنا الذين جملوا الحياة بوجودهم ، وعطروا الآفاق بنضارتهم ، وآكدوا حضورهم في مقدمة الصفوف وتبتوا لبوارق السيوف ، واستشهدوا في سبيل الحق وصافحوا الحتوف ايام كان آباء خصومنا يحملون العصي لرعي القطيع من الاغنام..

والمغرب اليوم في عافية سابغة ، واستعداد قائم ما تزال آثار آبائه المعنوية تعمر الصدور ، وتملأ السطور ، وتغذي العالم العربي والاسلامي بروح البطولة والفداء التي تملأ شعاب قلوب ابناء المغرب الذين امنوا بفكرة الحرية ايمانا يحرك أعماق الفرد ، وينفي عن كيان الجماعة اسباب الوهن ، ويضع كل الاسس التي تكفل اعداد الاجيال ، وتوعية الامة ، ومحاسبة

النفس ، والقضاء على المعوقات ، ومحاربة الدخيل الذي يلغ في الكرامة ، ويهين الحق ، ويغل الحرية ويعبث بالدين .

والشعب المغربي لن يتنازل عن شبر من ترابه ، وليس بمقدوره بعد اليوم ان يتحمل الضيم ، او يستكين للهوان ، او يرضخ للامر الواقع ، وهو الذي كان ترابهمنطلقا للحضارات عبر تاريخه الطويل العريض المليء بالوقائع والاحداث ، وهو في سبيل الدفاع عن كيانه ، ووحدة ترابه ، والذياد عن حرمة سيادته « مستعد ليبقى واقفا وصامدا الشهور والسنين ، ولكن لن يتنازل عن مطالبه . الذي سيسهل نيل النتيجة ، ويقرب الاهداف هو اننا كيفما كانت اختياراتنا على الصعيد الداخلي أو على المناهج التعليمية او على الطرق الاقتصادية ، لا بد ان نبقى متحدين كرجل واحد فيما يخص مطالبنا الترابية، ذلك لانها هي أساس مستقبلنا،وان احسن شيء وأحسن ارثسنتركه لاولادنا واحفادنا هو آن نترك لهم مغربا يتوفر على متنفس ، وليس مغربا مضغوطا عليه ، وليس مغربا مخنوقا لا بل مغربا له متنفس ، ويمكن لرئته ان تتنفس بكل حريةكما أراد طولا وعرضا .. » (*)

ان معركة يقودها البطل الرائد جلالة الحسن الثاني نصره الله الذي الان الله له اعطاف المصاعب والشدائد ، ويتصدى لها في حزم وشجاعة ، وثبات ومرونة ،ويخوضها معه شعب بطل ابي عظيم ، ويباركها احرار العالم ويزكيها الضمير الانساني ، ويخشاها خصومنا الذين يعلمون حق العلم اننا محقون في مطالبنا ، وانهم لم يستطيعوا الاستيلاء على ترابنا الوطني الا بالقوة بعد مقاومة وكفاح داما سنين وأعواما سيكتب لها النصر قريبا ... لان « يد »الحسن الثاني لا تلمس داء الا عولج ، ولا تتدخل في خلاف الا فض ، ولا مشكل الا انحلت عقدته ... ولعل هذا ما يميزه عن بقية القادة في العالم ، ويجعله بينهم علما متفردا بخصائصه ومميزاته ...

وما الفرق ما بين الانام وبينه
اذا حذر المحذور ، واستصعب الصعبا

(*) من خطاب صاحب الجلالة .

محمد بنعبد الله

لنجعل من هذه السنة

سنة تجنيد لاسترجاع أراضينا .

وجه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله خطابا تاريخيا الى الامة عشية يوم ثامن يوليوز 1975 بمناسبة عيد الشباب .

واعلن جلالة القائد الامين لشعبه انه نظرا لخطورة الموقف فى الصحراء المغربية المحتلة فستكون هذه السنة سنة تجنيد لاسترجاع اراضينا المغتصبة .

وقال جلالة الملك : اننا لن نياس من الحوار حينما يكون هذا الحوار مجديا .

وذكر جلالة الملك بجميع المراحل التي عرفتها العلاقات المغربية الاسبانية فيمـا يتعلق بالصحراء المغربية المحتلة ...

وهذا هو النص الكامل للخطاب التاريخي لجلالة الملك نصره الله :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وءاله وصحبه شعبى العزيز

عودتنى كل سنة فـى التاسع من شهـر يوليوز ان تحتفل بعيد الشباب . ذلك العيد الـذى يصـادف يوم ميلادى ، وعودتك انا بـدورى ان اتجـه اليـك فى مثل هذه المناسبـة لاخاطبـك واحدثـك حتـى نحكم الروابط التى تربط بيننا ، وحتى نصل يومنـا بلمسنا ، وحتى نوطد بتفاهمنا وتعاطفنا وانسجامنـا ، الاركان والدعامات وقد صـدق النبـى (ص) وقال : « ماكان لله دام واتصل »

ونحمد الله سبحانه وتعالى على هذه المواصلة وهـذا الاستمرار الشىء الذى يجعلك ويجعلنى كيفما كانت الاحداث . وكيفما سـارت الايام والسنـون . ان نكون مطمئنين على حالنا موقنين بمستقبلنا مؤمنين بصواب اتجاهنا واختياراتنا

انطلاقة اجتماعنا واقتصادية

شعبى العزيز ..

مرارا نتذاكر فى المسائل التى تهمنا من قريـب ومن بعيد ، واذا تذكرت فى السنة الماضيـة كـان خطـاب تاسـع يوليـوز الذى وجهتـه اليك يرمـى قبل كل شىء الى اهداف محـددة ، مـن الناحيـة الاقتصادية ، ذلك ان كل عمل اقتصـادى لا يرمـى من ورائه الفرد والمسير الى تكريم البشـر والرفـع مـن مستواه ذلك يكون عملا اقتصاديا ناقصا ، وكـل عمل اجتماعى يراد منـه الديماغوجيـة والمبالغـة والقفزات الى لامام (المتهورة) ، لا يتعرف الانسـان على امكانياته ولا التعرف على وسائل يكون عمـلا اجتماعيا بدون جدوى ويكون عمـلا اجتماعيا لايرجـع لا علـى دولـة ولا علـى الامـة ولا على الافراد بـاى خير كان

اهداف تحققت بعون الله

لذا فـى السنة الماضية تذكر اننا تذاكرنا على



نقط معدودة ،، نقط ترمي الى احياء الفلاحة ، نقط ترمي الى تكريم الطبقة العاملة ، نقط ترمي الى تقريب الادارة من الشعب ، نقط ترمي الى ايجاد عدلية يطمئن اليها الانسان ويعيش في ظلها الوارف كل مغربي مغربي ولله الحمد حققنا كل هذا بل حققنا فوق هذا ، حققنا كل هذا بان استرجعنا اراضينا ، حققنا كل هذا حيث انا خلقنا من لا شيء الخدمة المدنية ، حققنا كل هذا حيث انا وضعنا اللبنة الاولى لاشراك العمال في المعامل وحققنا فوق هذا حيث اننا لم نكتف باسترجاع الاراضي ، بل في وسط السنة ، بمعنى في الوقت الستراتيجي بالضبط ، استراتيجي مهم قررنا ونحن في اكادير اننا سنراهن الزمن ، واننا سنقوم بعملية حرث للاراضي المسترجعة بيدنا ، وكان الله سبحانه وتعالى في عوننا ، نظرا لانه يعلم سبحانه وتعالى صدق نيتنا ، وايماننا بحقنا ، فاعانا الله سبحانه وتعالى واعطانا سنة خصبة من الماء وهكذا فان الرقم الذي كنا حددناه وهو معدل (17) قنطار في الهكتار ، يمكنني ان ابشرك شعبي العزيز اننا وصلنا الى هذا الرقم،ولست اقنع بهذا الرقم ولست انت بدورك تقنع بهذا الرقم ، ولكنه رقم مهم جدا بالنسبة لنا ، حيث انه سيكون منطلقا وحيث انه من جهة اخرى سيعلمنا اننا اذا اردنا شيئا ، ووطدنا العزم على شيء واتكلنا بعد هذا كله على الله سبحانه وتعالى ، ما كان الله ليخيبنا وما كانت عزائمنا ولا اراداتنا ان تخيب امام مجهوداتنا وها نحن في هذه السنة نظرا لنجاح هذه التجربة سنخطو خطوات اخرى في الميادين التي ذكرتها لك ، وسنزيد في تجربتنا

اشتراك العمال في ارباح الشركات

فمثلا من ناحية اشراك العمال في الشركات قررنا ان نضيف الشركات الاتية هذه السنة :

معمل سكر سيدي بنور في هذه السنة سنشرك فيه العمال والفلاحين وسوف لا نقتصر على معامل السكر قررنا اننا نخطو خطوات في المعامل الصناعية الصرفة وهكذا سنضيف ، (لاسامير) للائحة ، ونضيف اليها مصنع قنوات الاسمنت التي تستعمل للري ، ونضيف لهذه اللائحة معمل – صوماكا – للسيارات

نظام اجتماعي اشتراكي لا يكتفي بالشعارات

وهكذا شعبي العزيز خطوة تلو الاخرى نعطي الدليل على اننا في المغرب نعيش في نظام اجتماعي واشتراكي في صلبه في كنهه في فلسفته ، لا يكتفي بالشعارات ، ولا يكتفي باللافتات ، ولا يكتفي باستيراد الفلسفات من الخارج ، بل نقول فنفكر ونطبق فننجح، وكل هذا يرجع فضله بعد الله سبحانه وتعالى الى تماسكنا وتعاضدنا وايماننا بمغربيتنا .

اما من الناحية الاخرى ناحية اشراك الشباب في تسيير الامور المدنية والعامة فزيادة على الخدمة العسكرية وحتى نزيد في اشتراك الشباب المغربي ليس فقط لكي يدلو بدلوه في الاسرة الصغيرة التي هي المغرب ، بل يقوم بواجبه نحو الأسرة الكبيرة وهي افريقيا سندعو للتطوع في اخر كل سنة ، للشباب الذي اشتغل مع الدولة سنة لكي نأخذ منهم مائة او اكثر وسترسلهم الى افريقيا لمدة سنة او اكثر منهم اساتذة ومنهم اطباء ، ومنهم المهندسين ومنهم فنيين ، حتى يمكن للمغرب ، اذا قالو عنه وسألوا عنه يراه جميع اخواننا الافارقة ، ويروا الشباب المغربي في الحقول ، في المصانع في المكاتب ، يرونه على واجهة القتال ، تلك الواجهة التي هي قبل كل شيء تطارد التخلف.وتحارب الاستعبادا نظرا لان كل دولة ليست لها الاطر الكافية نعتقد انها لا زالت مستعبدة ، ولا زالت مستعمرة ، ولا زالت لا تعرف الاكتفاء الذاتي فيما يخص مقدراتها وامكاناتها .

هذه شعبي العزيز كلمات وجيزة بمناسبة هذا اليوم . حول الماضي ، وحول المستقبل في الميادين الحيوية التي تعرفها وهي ميادين اجتماعية اقتصادية .

واذا اردنا ان نحلل هذا كله نجد على ان ميزاننا راجح ولله الحمد ، وعلى اننا رابحون في جميع هذه الميادين التي حصرناها امامك .

خطورة الموقف في الصحراء

ولكن شعبي العزيز تعرف كذلك ان كل عمل ، في الداخل لا توطده عزيمة قوية على ان يسند باحترام في الخارج وان يسند بالطمئنان على المستقبل ، ان عملا مثل هذا لا يدوم

فلذا ونظرا لخطورة الموقف أريد شعبي العزيز وشبابي العزيز ان نجعل من هذه السنة المقبلة ، سنة استكمال حريتنا واستقلالنا الترابي

شعبي العزيز تعلم أننا غداة الاستقلال كنا وقعنا على وثيقة مع الحكومة الاسبانية يوم 12 ابريل 1956 ، تضمن للمغرب استقلاله وتضمن وحدته الترابية ، ولكن مع الاسف ، ورغم المطالبات العديدة ، ورغم ما اظهره المغرب من مرونة ، ورغم ما اظهره المغرب من تشبث على الطريقة السلمية والمنطقية كل المشاكل لم يستجب الى رغبة المغرب ولم يجد المغرب مخاطبا في مستواه ، وفي مستوى حسن نيته .

واستمرت بعد ذلك المفاوضات والمشاورات والمناقشات ، الى حد اننا سنة 1966 حينما احتفلنا بالسنة العاشرة لاستقلال المغرب وكان احتفالنا ذاك يوم ثاني مارس في مدينة فاس ، واقتبلنا وزير اسبانيا الذي جاء يمثل حكومته وقلنا له بالحرف : « اننا نطالبكم باسترجاع الاراضي المغتصبة والصحراء التي تديرونها ، ولكننا لا نريد ان نقع في مثل الاغلاط التي وقعنا فيها مع بعض الدول الافريقية ، ولذا فاذا لم ترد اسبانيا ان ترد الينا حقنا ، فسنطالبها اذ ذاك أمام هيئة الامم المتحدة .

وكان بالنسبة الينا حق تقرير المصير ، هو طرح السؤال بصفة واضحة « هل تريدون البقاء مع الدولة التي تحتلكم أم هل تريدون الرجوع الى حظيرة الوطن ؟ » وطالبنا بأن يجرى الاستفتاء على هذا الاساس ، وفي اطار هذا السؤال المحدود بضمان من هيئة الامم المتحدة والمجموعة الدولية ، وكنا دائما ننبه اسبانيا وحكومتها الى خطورة اقدامها - فيما هي اذا اقدمت - على عمل انفرادى يمكن من اعطاء الاستقلال او استقلال داخلي .

وعندما سافرنا الى اسبانيا سنة 1970 ودارت بيننا وبين الجنرال فرانكو محادثة خاصة كان عرضنا لهذه المشكلة اعمق وكان موقفا اكثر مرونة ، وسياستي ليس فيها ما يخفى لانها واضحة كالشمس في وسط النهار ، واذاك طرحنا على الحكومة الاسبانية الاختيارات التالية :

● اننا نعلم الموقع الاستراتيجي لمدينة العيون وفيلاسيسنيروس بالنسبة لجزر كناريا

● اننا نعلم انكم تولون لهذه الجزر اهمية بالغة من الناحية العسكرية ، فنحن مستعدون اذا أنتم ارجعتم للمغرب سيادته على التراب الى ان نضع رهن اشارتكم قواعد عسكرية لمدة ما نتفق عليها تجعلكم تطمئنون على كنارياس علما منا ان القواعد العسكرية في الاخير لا ينتفع بها الا البلد التي هي على أرضه

وعلما منا ان التطورات الاستراتيجية وتطورات الاسلحة تجعل دائما من القواعد العسكرية شيئا يتطور .

وقلنا أيضا اما اذا كانت خيرات الصحراء سواء التي على الارض او التي في قعر البحار تهمكم كذلك فالمغرب مستعد ليبرم معكم اتفاقية يشترك بموجبها معكم في عمليات الاستخراج والتسويق وكل ما من شأنه ان يستخرج ويسوق

وكنا نعتقد ان تفتحا مثل هذا لا يكون من شأنه الا ان يرجع الاسبانيين عن غيهم وينظروا الى مصالحنا العليا ويعلموا أنه لا محل ولا موضع لبلد اجنبي في افريقيا

وهذه القاعدة تزيد وضوحا وحقيقة يوما بعد يوم .

لا يمكن تنصيب دولة مزيفة

اما الان وقد احسسنا بان اى مطلب من مطالبنا لم يستجب اليه . وان اسبانيا تسير الى اقرار نظام الاستقلال الداخلي - ونحن نعلم طبيعة هذا الاستقلال فالسياسة الخارجية والدفاع تبقى في يد الدولة الحامية - فاذا حقيقة اتجهت اسبانيا هذا الاتجاه فانا شخصيا ، كمسؤول على وحدة هذه البلاد من جهة وعلى صيانتها من الاخطار في المستقبل اترك هذا وصية لكل مغربي مغربي انه لا يمكن ان يعقل او يتم تنصيب دولة مزيفة لا حقيقة لها في جنوب ترابنا لانه من الناحية الستراتيجية والناحية الهيدرولوجية ومن ناحية المنافذ على بحر المحيط الاطلسي لا يعقل مثل هذا لانه سيكون خطرا مستمرا على سلامة البلد وحرمتها وعلينا وعلى ابنائنا ومستقبل أبناء أبنائنا .

فهذه ليست مسالة عاطفية فحسب بل مسالة حيوية لكل مغربي مدنيا كان ام عسكريا مسؤولا كان أم موظفا ، رجلا أعمال أو عاملا ، ولذا ساقول للاجانب هنا الذين سيعلقون على خطابي هذا

— وتعرفون « العطف الذي يكنه هؤلاء الاجانب المعلقون للمغرب — وما ذلك الا حسد — وبالاخص بعض المعلقين الذين «ذاقوا» الاستعمار في المغرب لم يريدوا ان ينسوا المغرب هو اول دولة فلتت من ايديهم ، ثم تبعته جميع المستعمرات ولم ينسوا ان هذه الفلتة اتت على يد العلويين وبالاخص على يد جلالة محمد الخامس واسرته فاذا ماعرفنا « العطف » الابدي الذي يكنه لنا بعض المعلقين ، فان هؤلاء ذاقوا » الاستعمار في تعليقاتهم « ان المغرب يريد تغطية مشاكل بهذه الوثبة التي يريد قفزها » .

الحمد لله ، وكما قلت ليست لدينا مشاكل ، وما كنا قد قررناه انجزناه ، وانجزنا فوق ما قررنا ، وظهرنا مرفوعي الراس في الداخل والخارج وكنا قبل الاخرين في دخول المعركة لما حان وقت التحرير وآخر من خرج لما وقع فك الارتباط ، وظهر الجندي المغربي والممرض المغربي والطبيب المغربي والمهندس المغربي والاخصائي المغربي ظهروا بمظهر رائع ، والشعب المغربي تبرع اكثر من اي شعب آخر

حقيقة من الناحية الخارجية ومن ناحية سياستنا في الخارج وحرمتنا في الخارج لا مشاكل لنا تضطرنا الى تغطيتها ، ففي الداخل والحمد لله سياستنا تسير في خطاها الطيبة ، حيث ان الخزينة مليئة وبأكثر من المطلوب ، ولدينا اكثر مما نحتاج من العملة الصعبة ، وفرسفاطنا في نمو ، المحصول الزراعي كان كما كنا نتمنى ، التخطيط صرفنا عليه خلال الاربعة الاشهر الاولى فوق الاربعين مليار وهذا رقم قياسي لم تشهده التخطيطات السابقة . وبالطبع لنا بعض المشاكل العامة كسائر الدول الاخرى مثل تعميم ، التعليم ، قلة الاساتذة انخفاض المستوى ، عدم كفاية الاطر ، مراجعة الادارة والسلم الاداري والمسطرة الادارية ، ولكن هذه المشاكل ليست مشاكل يضطر الانسان الى تغطيتها وخلق مشكل آخر .

اقول للجميع لا ، اياكم ثم اياكم تحقيق وجودكم مع المغاربة في هذا الميدان ، المغاربة قد لا يمكن ان يتفقو على منهج تعليمي وقد لا يتفقون على اصلاح قضائي

قد لا يتفقون على السياسة في الميدان الاقتصادي فيما يتعلق بوجوب حرية الاقتصاد او تدخل الدولة بتوجيه صارم منها

هذا اختيار ، وشغل يهمنا فيما بيننا وهذه مشاكلنا تخصنا وكل فينا حر في ان يشرق او يغرب ولكن حينما نصل الى قضية التراب الوطني والوحدة الترابية وبالاخص وأوكد ضمان مستقبل المغرب اقول للجميع اياكم ثم اياكم فان المغاربة ، وانتم تعرفون هذا — يقفون وقفة واحدة كيفما كانت مشاربهم السياسية وكيفما كان مستواهم الاجتماعي

ولذا أتوجه الى رعايانا في الصحراء واقول اياكم ثم اياكم ان يصيبكم الغرور وتركبون خطة تنمون عليها في المستقبل نحن نعرف جيل الاستعمار وحاربناه من قبل ، ويوما ما جميع السادة الذين يكونون الجماعة — جماعة الصحراء — وينتمون الى اسرة محترمة نحترمها ونحترمهم ، سينتبهون ويجدون اسماءهم اسماء معروفة بالعروبة والاسلام وبالغيرة لانها ستكون تحت وثائق لا في مستوى وطنية الصحراويين ولا مستوى اسلامهم وعروبتهم

اذن فلنجعل هذه السنة سنة تجنيد في الداخل والخارج لنسترجع ارضينا ولا نياس من الحوار من جهة اخرى اعتقادا منا بان التغيرات والتطورات وما يحدث بالامس ليس ما يحدث اليوم فان الحوار اذا لم ينفع بالامس قد ينفع في الغد ، ولكن الحوار وحده لا يكفي لابد من المخاطب والمخاطب الاسباني يعلم ان امامه ارادة واحدة وارادة موحدة ، ويجب ان يدرك ايضا ان اصدقاء المغرب من عرب ومسلمين وافارقة وغيرهم سيقفون بجانب المغرب ، كما على المستعمر والمغاربة كذلك ان يعرفوا ان هذه هي الفرصة التي سنعرف بها صديقنا من عدونا

شعبى العزيز مرة اخرى اشكرك جزيل الشكر على ما تظهره فى عيد ميلادى فانا اشعر فـــى احتفالاتك بانها تلقائية من قلبك ، وانك شعب لا يرغم على الخروج الى الشوارع ليغنى ويزغرد ويحتفـل مرغما وانك ان لم تكن تحس هذه الاحساسات لما عبرت عنها هذا التعبير الذي حقيقة يثقل كاهلي كل سنة يجعلنى فى خدمتك ورهن اشارتك وتحت تصرفك اكثر من السنة التي تمضي ، وانتهز هذه الفرصـة لاشكر جميع السادة والسيدات من شعبى العزيـز الذين عبروا لي بالهاتف عن تهانيهم بمناسبة عيـد ميلادى ، وانا بدورى اتمنى لهم وللجميع الصحـة واتمنى العافية والسعادة راجيا من الله سبحانـه وتعالى ان ينصرنا كما ننصره ويعلى شاننا كما نعلى شان دينه وسنة رسوله وان يعطينا ما وعدنا بـه سبحانـه وتعالى

ان يعلم الله فى قلوبكم خيـرا يوتيكـم خيـرا انـه سميع مجيـب

من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر

لن نضحي بشبر من أرضنا ...

القى صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله يوم 20 غشت بمناسبة ثورة الملك والشعب خطابا جامعا تحدث فيه حفظه الله عن هذه الذكرى الوطنية التي اظهرت للعالم اجمع ان المغرب ملكا وشعبا كان وما يزال ذلك الاسد المغوار ، والبطل الغيور الذي لا يرضى الذل والهوان . كما تخلص حفظه الله الى المراحل التي قطعتها الدبلوماسية المغربية في التعريف بقضيته العادلة التي اجمع الشعب على تحقيقها لاستكمال اجزائه المغتصبة ، وجيوب أراضيه الوطنية ...

وهذا هو النص الكامل للخطاب التاريخي لجلالة الملك فى 20 غشت 1974 ...

الحمد لله

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه شعبى العزيز

قال الله تعالى فى كتابه الحكيم ، « وذكر فان الذكرى تنفع المومنين » وقال جل من قائل « وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » صدق الله العظيم

شعبى العزيز

ها انت اليوم . تحتفل ملكا وشعبا . بذكرى 20 غشت تلك الذكرى التى ستبقى للاجيال المقبلة . مثلا يحتذى . وقبسا بنوره يهتدى .

تلك الذكرى التى اظهرت للعالم اجمع ان المغرب ملكا وشعبا كان ولازال ذلك الاسد المغوار . وذلك البطل الغيور الذى لا يرضى الذل والهوان واكثر من هذا — شعبى العزيز — فى هذه المناسبة اعطيت دليلا منذ احدى وعشرين سنة مضت واعطيت دليلا على حيويتك . على ارادتك . على رفضك لكل تلاعب . وعلى تشبثك بالمحجة البيضاء . والحنفية السمحاء والوطنية الحقة . ورجع الحق الى نصابه . والملك الى عرشه . واستعدت ايها الشعب فى آن واحد كرامتك واستقلالك

من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر

ومنذ ذلك اليوم ونحن جميعا نتذكر ما كان قاله مرارا وتكرارا والدنا المنعم محمد الخامس طيب الله ثراه ، حينما رجع من المنفى مقتديا فى ذلك بقول جده صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة : « اننا رجعنا من الجهاد الاصغر لخوض الجهاد الاكبر »

ومنذ ذلك اليوم فى كل سنة نوطد العزم جميعا ، ونقسم جميعا ونبنى جميعا ، ونخطط جميعا حتى نفوز فى جهادنا الاكبر كما كتب لنا النصر فى جهادنا الاصغر ، وكنا سنة بعد سنة ، نحمد الله سبحانه وتعالى ، على ما اولانا من خير ونعم ، ونشكره جلت قدرته على ماوطد لنا من



فتوحات في جميع الميادين سواء منها الاقتصادية او الاجتماعية والثقافية او السياسية

استكمال الوحدة الترابية

اننا – شعبي العزيز – لازلنا نذكر اننا حينما استرجعنا استقلالنا وسيادتنا كنا دائما وابدا نضع تحفظات ونضع كل ما من براهين ودلائل قانونية حتى يمكننا يوما ما ان ندلي بها امام الامم وامام الخصوم لاستكمال وحدتنا الترابية

وبمناسبة تاسع يوليو من هذه السنة توجهت اليك شعبي العزيز وطرقنا جميعا حديثا هاما جدا وموضوعا اساسيا وحيويا الا وهو استرجاع الصحراء التي لازالت تحت الادارة اسبانية ، ولا ارى مناسبة اقدس ، ولا ظرفا احسن لاثارة هذا الموضوع الذى له صلة وثيقة بالاستقلال والتضحية والمقاومة والمنفى الذي كنا فيه والاستقلال المسترجع ، مثل هذه المناسبة – مناسبة 20 غشت – لنتذاكر مرة اخرى حول هذا المضوع

ادرك العالم حقنا

. من تاسع يوليوز الى يومنا هذا شعبي العزيز – من شهر ونصف وفي ظرف هذه المدة تحرك المغرب تحركات جسمية وخطيرة على الصعيد الدبلوماسي والسياسي وهكذا ارسلنا بعثاتنا التي كان على راسها اما شخصيات حكومية او شخصيات ذات وزن في الاحزاب السياسية المغربية لتوضيح المشكلة وتفسير الملف امام المحافل التي تربطنا واياها صدقات ، الا وهي الاسرة الافريقية . والاسرة العربية . والاسرة الاسيوية والاسرة الاسلامية ، واسرة الدول الشرقية والغربية من اوروبا التي بيننا وبينها تعامل قديم . وبينها كذلك دول من الدول العظمى كامريكا وروسيا

لن نتردد في اتخاد طريقة اخرى

وكان الهدف من هذا التحرك تجنب ان نصبح بين يوم وليلة امام الامر الواقع

وان تقوم دولة مصطنعة بجانبنا حتى لا نضطر الى اصطدام عسكري مع الدولة الاسبانيةالتي تجمعنا واياها روابط قديمة وتقليدية من الصداقة ، وكنا دائما ، زيادة على هذا ، نفسر للسادة اصحاب الجلالة والفخامة الملوك والرؤساء الذين زارتهم وفودنا بان المغرب ولو انه يفضل الطريقة الدبلوماسية والسياسية السلمية على اية طريقة اخرى ، فانه اذا رأى ان هذه الطريقة لن ترد له اراضيه فسوف لا يتردد في اتخاذ طريقة اخرى بالرغم عنه متاسفا ولكن في آن واحد موطد العزم وبقرار انه لن ترده اى تضحية من التضحيات

رصيدنا عظيم

ونحمد الله سبحانه لان رصيد بلدنا كان رصيدا هاما وانه له وزنا يحسب له حسابه ، فاينما حلت وفودنا وجدوا الاذن الصاغية والقلوب المفتوحة والافكار المتنورة والارادات التي تسال بتلهف عن حججنا وملفنا ودقائق الامور وتعد كلها وجميعها على انها ستقف بجانب المغرب لا لشيء الا لان المغرب بجانبه الحق

اسبانيا طلبت اجراء الاستفتاء

ولا اخفى عليك شعبي العزيز على انني كنت موجها خطابي هذا توجيها آخر . فاذا بمعلومات تصلني بوسائلي الخاصة . موثوق بها جدا : ان الدولة الاسبانية مقررة العزم ان تكتب الى هيئة الامم المتحدة تطلب اليها رسميا الشروع في مسطرة تقرير المصير

كما بلغني من بعض الايضاحات والمعلومات السرية الخاصة ما يفيد بان اسبانيا طلبت وبوعد منها ان تجرى الاستفتاء في ظرف ستة او سبعة اشهر حسبنا ،،،

لا نخاف من الاستفتاء

نحن لا نتخوف من الاستفتاء وتقرير المصير ولا نتهرب منهما . بل نحن اول من دعا اليهما في يوم من الايام معتمدين قبل كل شيء على عنصرين .

الاول : ايماننا بان اولئك المغاربة الذين ما يزالون تحت السيطرة الاسبانية لارغبة لهم الا الرجوع الى حظيرة الوطن الثاني : انه لا بد من اجراء استفتاء مثل هذا في جو ملائم وتحت ضمانات ورقابات دولية بعد جلاء القوات والادارة الاسبانية

ونحن كما نقول غير متخوفين من الاستفتاء ، ولكن لنا شروط :



جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله مع رعاياه في
الصحـــــراء المغربيـــــة

الاول : هو تطبيق قواعد الاستفتاء الدولية

والثانى : ان يكون المغرب موافقا على صيغة سؤال الاستفتاء ، لان سؤال الاستفتاء اما ان يجعلنا نقبل او نرفض مبدأ الاستفتاء .

فمثلا اذا طرح مشكل استقلال الشعب الصحراوى فان المغرب سيرفض تماما مبدأ الاستفتاء

لماذا ؟ : لان هذا السؤال المطروح يقتضى ان يشمل الصحراويين الموجودين فى المغرب والصحراويين الموجودين فى موريطانيا والصحراويين الموجودين فى الجزائر والصحراويين الموجودين فى مالى والصحراويين الموجودين فى السنيغال .

ان الاستقلال هو مسالة استقلال شعب قبلى ، اذن لابد ان نضع كذلك المشكل على الشعوب الانجلو ساكسونية لكي تستقل ، او على الشعوب اللاتينية التى يجب ان تستقل

فيا للعجب ! كيف يمكن ان تطبق كلمة الصحراويين فقط على الخمسة والعشرين الف صحراوى الموجودين فى الصحراء المغربية ؟ اما الصحراء الموريطانية وصحراء الجزائر كما قلت وصحراء مالى وصحراء السنيغال فلا يطبق على سكانها كلمة الشعب الصحراوى

سنرفض

وبالطبع فاذا طرح السؤال كما هو فان المغرب سوف لا يكتفى برفضه لذلك ، بل سيتنكر لاول مرة فى حياته لقرار من هياة الامم المتحدة

ولن يكون المغرب هو اول من تنكر عند الضرورة لقرار مثل هذا وان كنت شخصيا انزه هياة الامم المتحدة والسادة الذين يوجدون على راسها ان يسقطو فى فخ مثل هذا . بل يمكن لى ان اضيف واقول للامم المتحدة : ان الجمعية العامة واللجان المتفرعة عنها لديها كثير من الاشغال والمشاغل ، فلديها الشرق الاوسط وامامها الان مشكل قبرص ولديها مشكل نزع السلاح ، ولديها المشاكل الاقتصادية ذات الصبغة الاقليمية ، ولديها مشكل اخر مؤتمر حول البحار ، واقول لها : لديك سابقة تجعلك تخرجين من هذه الورطة وتتخلصى من ملف ليست فى حاجة اليه . فطبقى على المغرب واسبانيا الشىء الذى طبقت على اندونيسيا وهولندا فى قضية ايريان الغربية .

تجربة اريان الغربية

وباختصار شعبى العزيز ساقول لك كلمتين على ايريان الغربية : عندما استقلت اندونيسيا ايام الرئيس سوكارنو بقيت جزر من جزرها مهمة جدا تحت السيطرة الهولندية وتسمى تلك الجزر ايريان الغربية . وعندما طالبت اندنوسيا باسترجاع جزرها اجابتها هولندا انها ستجرى استفتاء يسمح لايريان بان تحكم نفسها بنفسها .

وقد وقع الاخذ والرد بين هولندا واندونيسيا واخيرا وقعت بينهما اشتباكات ، فتدخلت الامم المتحدة وكلفت احد الوسطاء هو السيد يونش بالوساطة واخيرا فان الامم المتحدة التى كانت قد قررت ان يحل المشكل بتقرير المصير ، كلفت الطرفين الهولندى والاندونيسى ان يتفقا راسا لراس . وفعلا اتفقا رئسا لراس على ارجاع جزر اريان الغربية لاندونيسيا ولم يجر اى استفتاء ولم يقع تماطل ولم توضع الامم المتحدة فى موقف حرج لا من اندونيسيا ولا من هولندا .

والحقيقة ان هياة الامم المتحدة ستجد نفسها فى موقف حرج ، فاسبانيا لها اصدقاء حتى من العرب انفسهم ومن امريكا اللاتينية ولديهم مصالح . لكن المغرب يتوفر كذلك على اصدقاء من الدول العربية والافارقة ومن الدول الاوربية وامريكا الجنوبية التي تربطنا بها علاقات الصداقة وعلاقات الثقافة .

والحقيقة ان الناس الذين سيكون عليهم الفصل فى هذا المشكل سيجدون انفسهم امام اختيار لهذا الجانب او ذاك ويمكن لهم ان يكونوا فى حل منه ، ولا سيما — كما قلت لك شعبى العزيز — ان المغرب يتحفظ من الآن فيما يخص طرح السؤال المتعلق بالاستفتاء .

لن نضحى بشبر من ارضنا

فاذا ذكر فى الاستفتاء لفظ الاستقلال ساطالب بان يطبق الاستفتاء على الصحراويين كلهم ، فكل من هو صحراوى وجاء من صنهاجة او من اى مكان آخر يجب ان يطبق عليه الاستفتاء .

اذن فلا يعقل ان لا يطبق لفظ الصحراوى سوى على الخمسة والعشرين الف او ثلاثين الف شخص ،

لماذا لانهم فى ارض تقف فى الحقيقة فى وجه عدد من الاطماع ، وتقع على المحيط الاطلسى ، ويوجد عدد من الدول تريد ان تكون لها هناك موانىء وتكون فيها بالنسبة لهم منطلقات قوى .

واذن المغرب غير مستعد مطلقا لان يضحي مرة اخرى بشبر من ترابه .

فاذا كانت هناك فى الحقيقة دولة قدمت مقدار تشبثها بالوحدة الافريقية وبالاسرة الافريقية وتسهيل الامور على افريقيا ، والتى اعطت فى الحقيقة امثلة من التضحية فاننى اتحدى اية دولة افريقية ان تكون اعطت ما اعطى المغرب من الدلائل ومن البراهين ومن للارادة على اقامة علاقات طيبة مع جميع الدول الافريقية .

المغرب ليس ضعيفا

ولكن لا اريد من اسرتنا الافريقية ان تقوم غدا وتقول اننا وقفنا فى وجهها . لذا اقول لها من الآن : يجب عليها ان لا تخلط بين التسامح وبين الضعف . ان المغرب ليس ضعيفا .

فلهذا شخصيا ومن هذه المنصة ، وباسمك شعبي العزيز اناشد هيئة الامم المتحدة التى سوف يأتى امامها هذا المشكل ، انها ربما ستطبق علينا او ستبحث كيف ستطبق على المغرب واسبانيا ما طبق فى سابقه « ايريان الغربية » واندونيسيا .

لن نتنازل عن مطالبنا

مع هذا شعبى العزيز ، مع هذا . لا بد ان تعرف ان الذى سيسهل حل هذا المشكل ، والمغرب مستعد ليبقى واقفا وصامدا الشهور والسنين . ولكن لن يتنازل عن مطالبه . الذى سيسهل نيل النتيجة ويقرب الاهداف هو اننا كيفما كانت اختياراتنا على الصعيد الداخلى او على المناهج التعليمية او على الطرق الاقتصادية ، لابد ان نبقى متحدين كرجل وحاد فيما يخص مطالبنا الترابية ، ذلك لانها هى اساس مستقبلنا ، وان احسن شىء واحسن ارث سنتركه لاولادنا واحفادنا هو ان نترك لهم مغربا يتوفر على متنفس ، وليس مغربا مضغوطا عليه وليس مغربا مخنوقا لا بل مغربا له متنفس ويمكن لرئته ان تتنفس بكل حرية كما اراد طولا وعرضا .

واقول لك — شعبى العزيز — زيادة على هذا ان هذه القضية لابد ان تكون لك ولنا جميعا بمثابة كناش يجب على المغرب ، وحينما اقول المغرب اقصد المغاربة سواء مسؤولى اليوم او مسؤولى الغد ، يجب على المغرب ان يفتح ملفا وسجلا ، لان هذا هو الوقت الذى يجب ان يسجل فى ضلع اولئك الذين كانوا بجانبه وفى ضلع آخر اولئك الذين لم يكونوا بجانبه .

ويجب آنذاك ان نستنتج جميعا النتائج التى يجب ان تترتب عن تسجيلنا للاصدقاء والحلفاء وللخصوم . لانه ، حقيقة ، اذا نازعنا احد فى هذه الصحراء فسوف لا تكون منازعته مبنية سوى على الغش وروح السرقة والعداوة الصريحة للمغرب .

لذا شعبى العزيز لم ار مناسبة اعز واقدس من مناسبة العشرين غشت . ذلك كما قال فيه سبحانه وتعالى : « وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » ، والذى منه انطلق المغرب المستقل ، والذى منه ستنطلق الاجيال المغربية الكريمة ، ذلك العشرين غشت الذى بدا وفتح صفحة تاريخية من النضال ، لا ارى مناسبة احسن منه لاخاطبك لنفتح صفحة جديدة من النضال لاتمام التحرير وتكميل استقلالنا وكرامتنا

ولى اليقين ان الشباب الذى ازداد فى سنوات 53 والذى يبلغ الان عشرين سنة لا يحلم الا بشىء ان يشارك آباءه واجداده فى تسطير ذلك الكتاب وفى بناء ذلك الصرح من المجد ومن التضحية .

كافحنا ومستعدون للكفاح

فنحن ، حقيقة ، واقول نحن . ولو اننا ما نزال فى طور الشباب ، نحن كافحنا ومستعدون للكفاح من جديد . ولكن احس ان هناك شبابا زيادة على الكهول الذين هم على استعداد دائم ، ان هناك شبابا سمع باساطير وسمع بملحمة ، ولا نقول حسد آباءه او اجداده ولكن غبطهم تلك الغبطة الاسلامية ، واصبح هو بدوره يحلم بان يشارك يوما فى ملحمة .

واقول لكم فى بناء مجد المغرب متسع للجميع ، متسع لكل واحد اراد ان يسهم بدمه وقلمه ونشاطه وتفكيره وروحه لاستكمال استقلالنا وعزتنا .

وهكذا سنرضى ضمائرنا ، وبعد ذلك سنرضى ارواح الشهداء التى هى فى مقعد صدق مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين ، او سنرضى الله سبحانه وتعالى لاننا نقوم بهذا كله لاعلاء كلمة الله

ولاعلاء مجد خير امــة اخرجت للناس ، وسنرضى كذلك اجيالنا المقبلة التى ستجد حجة اخرى ودافعا آخر لترحم ارواحنا هى بدورها ، ولتسير على طريقنا وتحذو حذونا .

وهذا كله لا يمكن ان نصل اليه الا اذا تشبثـنا بحبل الله المتين ، وقد اعطانا الله سبحـانه وتعالى حججا ودلائل حينما كان الشعب المغربى شعبا اعزل لا جيش له ولا امنا ولا ماليــة ولا ادارة ، ولكن كان الله معه ، ومن كان معه الله كتب له النصر .

لنتشبث بحبل الله

فلنتشبث شعبى العزيز بحبل الله المتين ، ولنتبع اوامره ولنسر فى هديه ولنتخلق فى حياتنا الوطنية وفى حياتنا الجماعية ولنتخلق بروح الاســلام تلك الروح وتلك الاخلاق التى ان هى درست بامعان وجدهــا الانسان احسن دستور للمواطنة . فالاخلاق الاسلامية هى قبل كل شىء مركزة على حسن الجوار بين الناس وعلى حسن المعاملة ، ولا ادل على ذلك من قولــه صلى الله عليه وسلم : الدين المعاملات .

فاذا نحن فى حياتنا العامة وفى سلوكنا كمواطنين كموظفين كخدام هذا البلد سلكنا المنهــج المستقـيم وسرنا على تعاليم الدين الحنيف وتشبثنا بالله سبحانه وتعالى ، لى اليقين ان الله الذى لا يخلف وعده سيطبق علينا آيته الكريمة ((ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم)) وهو سبحانه وتعالى الذى ارجو من فؤادى وجوارحى ان ينصرنا ويثبت اقدامنا ويلهمنا ســواء السبيل حتى يرى فى شعبــه هذا مــا اراده لامتــه الاسلامية تلك التى قال فيها : كنتم خير امة اخرجت للناس ــ واستعمــال الماضى هنــا من باب تحقـق الواقع ــ حتى يرى فى امته التى ارادها ان تكـون خير امة اخرجت للناس ما من شانه ان يعلى كلمته وينصر دينه وينشر سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، انه سميع الدعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله .

❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊



كانت مطاردة العرش العلوي للاستعمار هي مهمته الأولى ..

جلالة الملك يطلقها صرخة مدوية ضد الوجود الإسباني في أطراف المغرب

للأستاذ عبد الله كنون

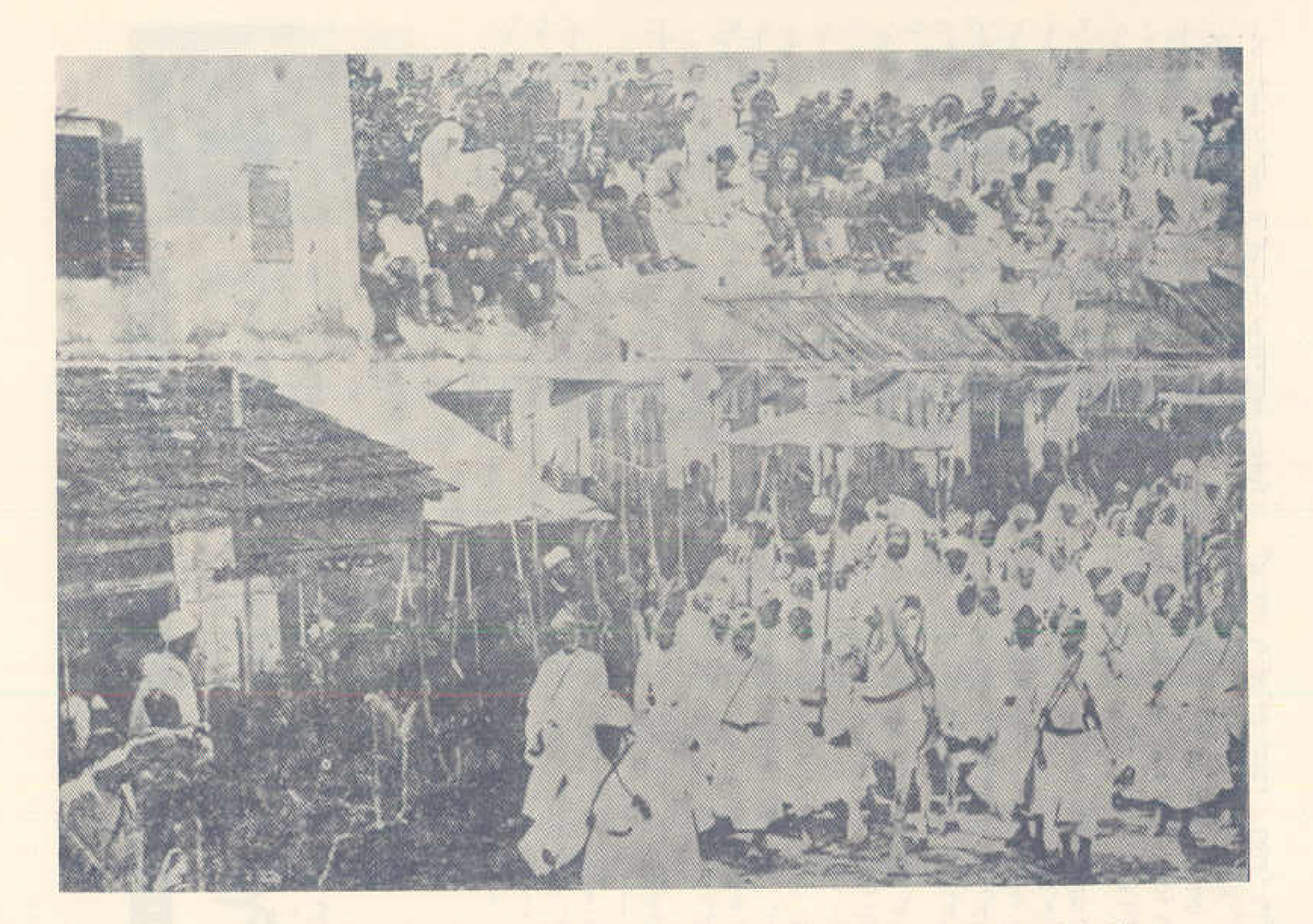
لا يمتري احد قرا تاريخ المغرب في ان مهمة الاشراف العلويين ، منذ اليوم الاول لقيام دولتهم ، كانت مهمة انقاذ وتحرير لارض الوطن ، انقاذ لوحدته التي عبثت بها الاهواء والمطامع ، وتحرير لترابه الذي كان جزء مهم منه يخضع لسيطرة المستعمر الاجنبي ولا سيما في الشواطيء البحرية على المتوسط والمحيط معا .

ففيما يتعلق بالوحدة الوطنية ، كافح المولى رشيد كفاح الابطال حتى قضى على الفوضى الشاملة التي كانت تغطي البلاد ، وصفى محاولة الدلائيين لانشاء دولة جديدة على انقاض الدولة السعدية واستخلص مراكش من يد الشباني المتامر بها ... وذلك بعدما اطاح بسلطان اليهودي ابن مشعل في تازا، وهي عملية تدخل في نطاق التحرير للسيادة الوطنية، بل هي نقطة البدء في هذا المنطلق .

وفي ايام اخيه المولى اسماعيل تمخضت الجهود لتحرير الشواطيء المغربية ، فاستنقذت المهدية من يد الاسبان سنة 1092 ، وطنجة من قبضة الانكليز سنة 1095 ، كما استخلصت العرائش من يد الاسبان سنة 1100 ، واصيلا سنة 1102 وكانت بيدهم ايضا .

وحاصر هذا السلطان العظيم مدينة سبتة وصعد الحرب ضد حاميتها ولكنها لم تستسلم ، لحصانتها ولاستماتة الاسبان في الدفاع عنها ، علما بانها واجهتهم الاولى والمنفذ الاقرب الى بلادهم . وكانت اسبانيا آنذاك في اوج عظمتها وقوتها وغناها ، وكانت امبراطورية تمتد الى القارات الثلاث : افريقيا وءاسيا وامريكا ، فالاقدام على محاربتها هو وحده يدل على اكبر التحدي ، فضلا عن طردها من هذه المدن الشاطئية التي كانت قد جعلت منها حزام وقاية من غزو مغربي جديد !

ومع هذا فقد والى المغرب حملاته على مدينتي سبتة ومليلية في ايام السلطان سيدي محمد بن عبد الله . والح عليهما بالحصار حتى استظهر الجانب الاسباني ببند من معاهدة كانت قد ابرمت بينه وبين المغرب على المهادنة ، فانكر السلطان ذلك ، وبعد الوقوف على البند المذكور ، وجد فيه النص على المهادنة العامة في البر والبحر، وكان السلطان يرى أن لا مهادنة مع الاسبان في البر ، خصوصا وان هذه المدن من تراب المغرب . وظهر ان المعاهدة التي كانت من انشاء السفير الغزال وقع في لفظها بشر ، فحولت الجملة التي تقول : وان المهادنة بيننا وبينكم بحرا لا برا ، الى هذه الصورة : وان المهادنة بيننا وبينكم بحرا وبرا ، فكف السلطان عن شن الحرب على المدينتين ، التزاما بما جاء في المعاهدة ، واخذ بمذهب الاشراف في الوفاء بما اعطوا من امان ولو للعدو ، وان كان لم تخف عليه الحيلة التي ارتكبها الخصم والتزوير الذي لجأ اليه في نص المعاهدة، ولذلك ابعد كاتبه وسفيره الغزال ، وعد هذا من تفريطه ، اذ مثل هذه الاتفاقيات لا يجوز فيها الاختصار المجحف، فكان عليه ان يقول مثلا: والمهادنة بيننا وبينكم انما هي في البحر – يعني حرب



الملك العظيم مولاي الحسن الاول الذي ارغمته التدخلات الاجنبية بالصحراء المغربية للقيام برحلتين اثنين الى قطر سوس ووادي نون والساقية الحمراء سنتي 1882 - 1886

القرصان ، واما البر فلا مهادنة بيننا وبينكم فيه (1) ، ليقطع السبيل على العدو في كل تغيير أو تاويل .

واذا كان هذا موقف السلطان محمد بن عبد الله مع الاسبان ، فان موقفه مع البرتغال الذين كانوا يحتلون مدينة الجديدة كان على الضد من ذلك ، فقد شدد عليها الحصار وطاونهم حتى ضاق بهم الامر وطلبوا الامان ، فامنوا على ان يخلوا المدينة ولا يحملوا معهم شيئا من المتاع ، فاخلوها سنة 1183 .

ولم يتخل السلطان مولاي سليمان عن هذه المهمة المقدسة ، مهمة مطاردة الاستعمار الاجنبي ، برغم اشتغاله بمشاكل البلاد الداخلية ، فقد كان بلغه ما يقع بين جوار مليلية والاسبان من معاملة وتسويق للحبوب والماشية ، فبعث بالقوات العسكرية التي ضربت على ايدي هؤلاء الخونة ومنعت الافتيات على النظام ، وما كان وضعه من قانون منع الوسق الى بلاد العدو لئلا يتقوى بذلك على المسلمين .

وحين استولى الفرنسيون على الجزائر ونهض الامير عبد القادر لمقاومتهم ، لم يقصر السلطان مولاي عبد الرحمن في مساندته ومده بالمعونة من الخيل والرجال والمال والسلاح ، في حين تخلى عنها الاتراك العثمانيون الذين كانت تابعة لهم ، وهم اقوى من المغرب واعظم صلة بها منه ، وهكذا الى ان غلب هذا السلطان على امره وتعرض المغرب لغزو ساحق من طرف الفرنسيين وجرت بينهم وبين المغاربة معركة (ايسلي) الشهيرة التي محص فيها المسلمون ووضعت حدا للتدخل المغربي في القضية الجزائرية .

وعانى السلطان محمد الرابع من حرب الاسبانيين في تطوان ما عانى ، ولم يسعه الا ان يفتدي المدينة العزيزة بعشرين مليون من الريال ، وهي ما هي ، انذاك ، لئلا تتوطد قدم الاسبان في مدينة اخرى من مدن المغرب ، وكانت عملية رائعة في مطاردة الاستعمار ، انقلب بها الانهزام العسكري الى انتصار سياسي لا جدال فيه .

وابتدات المناورات الاستعمارية من طرف الانكليز ثم من طرف الاسبان على احتلال بعض المواقع في الصحراء المغربية المطلة على المحيط ، ووقف مولاي الحسن الاول موقفا صارما من هذه المحاولات ، وانتقل بحكومته وجيشه الى عين المكان في رحلة من رحلاته العديدة التي كا نيقوم بها في كل وقت لتفقد احوال مملكته ، وقطع السبيل بالوسائل الديبلوماسية والمسكرية على كل تدخل او استغلال باسم التجارة او غيرها ، في الارض المغربية وسواحلها المديدة .

ولما وضعت فرنسا أقدامها في شنقيط وتوات والاقاليم الصحراوية انطلاقا من الجزائر ، لم يفتا السلطان يوالي الامدادات لسكانها من اجل المقاومة المسلحة ، وندب المولى عبد العزيز ، الشيخ ماء العينين للنيابة عنه في تلك الاقاليم ، وقيادة الحركة الجهادية فيها ، واستمر العمل على ذلك الى ايام السلطان عبد الحفيظ واعلان الحماية الفرنسية على المغرب .

ان هذا السجل الحافل بمطاردة الاستعمار الدولي من المغرب ، والوقوف بوجهه والتصدي له ، على رغم الفارق العظيم بين قواته الساحقة وقوة المغرب المحدودة ، لهو اعظم برهان على الروح النضالية التي واكبت العرش العلوي منذ تاسيسه ، وجعلت منه ذلك الحارس الامين لوحدة الوطن الحافظ لكيانه من التمزق ، المترصد لاعدائه الموتورين من حكمه لهم ، وبسط سيادته على بلادهم ردحا من الزمن ، وغيرهم من الصليبيين المقنعين بدعوى نشر المدنية والنظام وحماية مصالح الاجانب القاطنين فيه، وان اضطلاعه بهذه المهمة الشاقة ، ونجاحه فيها النجاح المنقطع النظير ، لما تحار الاذهان في تعليله ، خصوصا اذا علمنا انه مع تكالب الدول الاستعمارية الكبرى عليه، وانقطاع المدد عنه من اي جهة كانت ، لموقعه في اقصى المغرب من بلاد العروبة والاسلام ، كان آخر من تغلب عليه الاستعمار ، والاستعمار الدولي الجبار !...

وياتي بعد ذلك موقف العرش العلوي من الحماية الفرنسية والاسبانية في المنطقتين المعروفتين، الدولية في طنجة ، وهنا تضيق العبارة عن تقدير العمل العظيم الذي قام به محمد الخامس قدس الله روحه للاجهاز على هذه الحماية البغيضة ، وانهاء عهدها المشؤوم في أقرب وقت ممكن ، وذلك لما القى بثقله كله في ميدان المعارضة ، فالمقاومة فالمطالبة بالاستقلال ، وعزز الحركة الوطنية الشعبية وايدها في جميع مواقفها ومبادراتها ، ولم يبال بالتهديدات والانتقادات الموجهة اليه سواء من الاقامة العامة بالرباط او الحكومة الفرنسية بباريز ، حتى ادى الحال الى ابعاده عن عرشه ونفيه الى جزيزة مدغشقر حيث بقي هو واسرته الكريمة يعاني الامرين مدة عامين ونصف، ثم عاد معززا مكرما يحمل بيده وثيقة الاستقلال التي لم يقبل بها بديلا ، برغم كل ما عرض عليه من مساومات وما قدم اليه من مغريات ! ومن المحقق انه لولا موقفه هذا،

(1) الاستقصا ج 4 ص 108 .



السلطان سيدي محمد بن عبد الله تابع خطة جده المولى اسماعيل واسترجع من يد البرتغال مدينة الجديدة عام 1769 وقام باكبر حصار عرفته مدينة مليلية وذلك من أواخر سنة 1774 الى اوائل سنة 1775



صورة لمولاي عبد الرحمان بن هشام ملك المغرب
وهو الذي كان قد عين سنة 1858 الشيخ ماء العينين
خليفة له بالصحراء

لما كانت الحركة الوطنية في المغرب تنجح هذا النجاح الباهر ، ولما انتهى عهد الحماية بهذه السرعة الكبيرة ، بل لما قضي على الاستعمار في افريقيا هذا القضاء النهائي، اذ ان المثل الذي ضربه لسائر الاقطار الافريقية المستعمرة، كان درسا عمليا تلقته هذه الاقطار وزعماؤها بالتقدير الكامل، ونسجت على منواله فتهاوى صرح الاستعمار لبنة اثر لبنة، وجدارا بعد جدار، ورفع لمحمد الخامس لواء الرائد والمحرر والزعيم الافريقي الاول .. !

واليوم ياخذ جلالة الملك الحسن الثاني ، الخليفة الراشد لوالده العظيم ، لواء مقاومة بقايا الاستعمار ، ومطاردة فلوله ، المتوطنة بالجيوب الجنوبية في الصحراء والشمالية في مدينتي سبتة ومليلية والجزر الجعفرية وبادس والنكور. ياخذ هذا اللواء بيمينه ، ويتقدم صفوف المقاومين والمناضلين ، فيطلقها صرخة مدوية في وجه المستعمرين الاسبان ، الذين جهلوا انهم يعيشون في القرن العشرين، قرن الحرية والتعاون الدولي، لا في القرن التاسع عشر قرن التسلط واستعباد الشعوب ، ولم ياخذوا العبرة ممن هم اقوى منهم من الدول واكبر شانا ، كبريطانيا وفرنسا، ولا ممن ساواهم في الماضي والحاضر تعصبا وتخلفا كالبرتغال التي صفت مستعمراتها بالجملة ، وعزمت على أن تعيش عصرها وتنظر الى الحياة الدولية وعلاقات الامم بنظر الواقع .

والغريب انها تتهم المغرب في مطالبته بالصحراء ، بالطمع في الثروة الطبيعية التي استكشفت فيها مؤخرا ، والمغرب ما فتىء يطالب بصحرائه قبل أن تظهر فيها اي ثروة معدنية كما هو معلوم، وذاذ عنها الطامعين من الانجليز والاسبان منذ ايام الحسن الاول ، على انه ولو كان باعثه للمطالبة بها هو الفسفاط الذي تحتويه ، فان ذلك لا يسمى طمعا ، لان الطمع لا يقال على ما هو ملك الانسان ، وانما يقال على ما هو ليس له اذا تشوف اليه ، كاسبانيا التي ما يحملها على التمسك بالصحراء والمراوغة في تسليمها للمغرب الا الطمع في استغلال ثروتها الطبيعية الهائلة، ففي مثل حالها يورد المثل : رمتني بدائها وانسلت .

وقد جاء جلالة الملك المعظم ياخذ اسبانيا بالحسنى ، اسوة بسياسة والده المقدس ، في معاملة فرنسا وطلبه للمفاوضة معها في عقد الحماية ، وبجده سيدي محمد بن عبد الله ، الذي كف عن حصار مليلية ، لما احتج الاسبان بالمعاهدة المزورة . ولكن عناد فرنسا واسبانيا كان سببا في التخلي عن سياسة المجاملة ، ومواجهة الصلف والانانية بالقمع والردع . ولذلك امر جلالته مندوب المغرب الدائم في الامم المتحدة بطرح قضية سبتة ومليلية والجيوب الاستعمارية الاسبانية الاخرى على اللجنة الرابعة المكلفة بتصفية الاستعمار ، فوضع حفظه الله الامر في نصابه ، واستجاب لرغبة شعبه في اثارة قضية الاستعمار الاسباني للارض المغربية كاملة ودفعة واحدة ، يائسا من انصاف اسبانيا واعترافها بالحق لاهله ، وتوقعا لكل ما يحتمل من النتائج التي تقتضي التبعية العامة للشعب المغربي ، وتضامن الامة العربية والاسلامية وسائر الشعوب الصديقة مع المغرب في كفاحه لاستكمال وحدته وتحرير ترابه من رجس الاستعمار وسيطرة الاجنبي .

وهكذا يسير جلالة الملك الحسن الثاني على الدرب الذي سار عليه اسلافه الكرام ، ويحقق رسالة العرش العلوي المجيد في مطاردة الاستعمار والحفظ لكيان الوطن ودفع اليد العادية عن المواطنين اينما كانوا وحماية بيضتهم وعزتهم وكرامتهم من ان تهان ، وفتح آفاق المستقبل السعيد ، والعيش الرغيد لكل مغربي في كل بقعة من ارض اجداده سواء كانت هي الصحراء او المدن والجزر التي يمرح فيها الاجنبي ويتمتع بخيراتها ويتحدانا بكبريائه وجبروته .

فليحفظ الله جلالته الملك وليعل امره وليدم عزه ونصره، والى اللقاء ان شاء الله في ارضنا المغتصبة في الجنوب والشمال .

عبد الله كنون

العرش والشعب

يعقد العزم على تحرير الصحراء

يهتف بخوض المعركة الكبرى





للأستاذ الرحالي الفاروقي

عند ما جلس المولى محمد الخامس طيب الله ثراه ، وجعل الجنة مأواه ، على عرش اسلافه العرانين الابطال ، كان المغرب متيمنا بطلعتـه ، ومسرورا بامامته ، وعاقدا الامل على عزيمته ، وكان المغرب آنذاك قد تقاسمته فرنسا واسبانيا بمقتضى اتفاق سري بينهما علاوة على المنطقة الدولية بمدينة طنجة، وقد تألم احرار المغاربة من هذا الاستعمار المزدوج بعد ان عاركوه واوقعوا بغثه وقائع ، وانزلوا بساحته فجائع ، ولكن كان من حكم الله وقضائه ، ان يحتل الاستعمار هذه البلاد برهة من الزمان ، تاديبا لمن أساءوا فى تصرفهم ، وتربية للذين لم يحسنوا تدبير امورهم ، وان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ، وبعد أمة معدودة من جلوس الملك الصالح الهمام ، على عرش الاسلاف الكرام ، وبعد ان تدبر وتبصر فى السياسة المنكرة التي خلقها الاستعمار المريد ، وفيما تخفيه وراءها من ضرر بعيد ، وخطر شديد ، تبين لجلالته ، وتحقق بفراسته وعورة المسلك وخطورة الاتجاه بما كان يبيت لسياسة الاستيطان ، ومحاولة الاشتراك فى المكان اشتراك بين السادة والعبيد وبين الاعيان والاتباع – فأعد رحمه الله للامر عدته وعتاده، وبات يتربص الفرص التي تسمح له بمعالجة الوضع عن طريق الحكمة والمفاهمة، ولكنه ما لبث ان طغى الطغيان ، والمع النذير العريان، واضحت سياسة القوة والعدوان ، بادية لتفرض الخطوط الجوهرية ، ولتنفذ البرامج الاستيطانية ، فكان لزاما على الملك الناهض ان يحمي حمى المغرب، وان يذود عن شرفه ووطنه ، وان يستنبط رايا حسنا ومعنى صائبا يخرج به من طريق المعاملة والمجاملة ، الى طريق المواجهة والمطالبة ، ثم كان السفر الى طنجة وهي المقر الدولي مناسبة سانحة ، وفرصة فاتحة فنادى رحمه الله بحق المغرب فى الاستقلال وانه من المجموعة العربية الاسلامية ، فى ذلك الخطاب الفصيح الصريح الذي زعزع اركان الاستعمار وارهب احزابه واذنابه ونتج عن ذلك بالطبع توتر فى السياسة وتوقف فى المعاملة بين القصر الملكي والاقامة العامة – ويومئذ اكتشف الاستعمار يقظة الملك ونباهته ، وعرف فى نفسه مآله ومستقبله ، بيد انه اصر على كفره وعناده ، واستخدم سائر اعوانه واجناده ، ضد حركة التحرير وتقرير المصير ، فالتف الشعب عن بكرة ابيه حول قائده البصير ، فى نشاط وحماس من دون تخلخل ولا تخاذل الا ما كان من اولئك الذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان .

وبدأ الصراع والصدام ، وتطور الى الفتك والحكم بالاعدام ، وادي الطيش بالاستعمار المسعور ان تطاول على قطب البلاد ورأسها فمد يده الى ابعاده عن الدار والبلد تخفيفا من حدة الثورة السياسية ، وتهديدا لحركة التحرير الوطنية ، التي كان الملك يمدها بآرائه ، ويؤيدها باعماله – ورأى ان ذلك ادعى الى تبريد الدم واسكات الفم واقوى فى الكبت



والقمع ، الا ان النتيجة كانت على العكس مما ظن وراى ، وكأنه انما قضى على نفسه ، واعلن قرب اجله، فاشتعلت الثورة اشتعالا حارا واستفحل الامر ، واستعصى على جهاز الاستعمار تصفية الجو الغائم ، وتهدئة الشعب الناقم ، على الرغم من تخصصه فى فنون القهر والزجر والارهاب .

وهكذا ظل شرر الثورة يتطاير ، ولهب المعركة يتصاعد حتى استجاب وهو راغم الانف الى ارادة الملك والشعب ، فجاء الاستقلال عن طريق الكفاح والنضال، وتلك هي الطبيعة فى نزع الحق من الغاصب المحتال، فان ما أخذ بالعنف لا يرد باللطف .

وها نحن بحمد الله نعيش فى ظل الاستقلال الذي كسبناه بايماننا وفديناه بدمائنا الا اننا نشعر انه استقلال ناقص من اطرافه ، وغاض من كرامة اصحابه، والواقع اننا تراخينا ولم نتابع المعركة فى حينها حتى نحصل على جميع حدودنا وحقوقنا فان معركة الاستقلال لا تتجزأ ولا تتبعض ، وان من شأن الاحداث ان يؤثر بعضها فى بعض ويعين بعضها على بعض ، وان كان بعض السياسيين يعتذرون عن هذا التثاقل بضرورة الاشتغال ، بتسلم ادارة الاستقلال — وبحرب الجزائر التي كان المغرب ملكا وحكومة وشعبا وفيا لها بظاهره وباطنه ، يؤثرها على حقوقه ومصالحه، ويرى ان لا حرية بدون حريته ولا استقلال بدون استقلاله ، وهذا هو ما يجب ان يكون بين الاخوة المومنين اذ لا يكون المومن مومنا حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه — وبما كانت تظهره اسبانيا من مساعدة للتحرير فظن المغرب ، وبعض الظن اثم — ان اسبانيا مدركة لتغيير الاوضاع ومستعدة للتخلي عن الاطماع، ولكن لما طال الامد ، وامتد الاجل قست قلوب الذين كفروا واعتقدوا اننا مللنا المعركة وسئمنا المواجهة فلعب الاستعمار الكافر الاعيبه المكشوفة فى صحراء اخواننا الموريطانيين ، واقدم الاخرون الذين كانوا يتوقعون ان تمتد المعركة اليهم فى الحين — على التصرف فى مصير الصحراويين بالساقية الحمراء ووداي الذهب الذين هم من المغرب بحكم الطبيعة والتاريخ — اقدموا على عمل يشبه عمل الاستعمار الفرنسي ، ولا عجب فان الاستعمار تتشابه مناكبه ، ومذاهبه ، يريدون بذلك تمزيق جغرافية المغرب وتجريده من صحرائه التي هي معدن الاقتصاد ومركز العمل فى العصر الحاضر انطلاقا من استعمار قديم الي استعمار مغلف باستقلال مزيف حتى يتمكنوا من الحصول على ثروتها ، والتفريق بين افريقيا واهلها .

وان سياسة تقرير المصير التي يتشبث بها المستعمرون والمبطلون تمت يوم ان قرر المغرب حريته واستقلاله بجميع ما له من الحقوق والمصالح التي كانت مقسمة بين فرنسا واسبانيا — وان عناصر التاريخ والسياسة والاجتماع الواضحة وضوح الشمس تشهد بمغربية هذه الاقاليم الصحراوية — وان حدود المغرب كانت وما زالت تتصل بحدود افريقيا السوداء .

وان تجزئة الشعوب وتفرقتها لا يقرها شرع ولا قانون ، بل يعتبر ذلك هتكا لحرمة البلاد ووحدتها ، واعتداء على كيانها وتدخلا فى شؤونها وتطاولا على حدودها فهي بدعة وشيطنة وخلق نزاع ، واسلوب من أساليب المكر والخداع ، والتسليم بهذا المصير المجزأ يعد بحق هفوة من الهفوات ، وسيئة من السيئات ، وثغرة تفتح أبواب التأويلات والمناورات.

والان وقد كشر الظلم عن أنيابه ، وجد وعض بنواجذه ، فللمغرب الحق ان يمارس دفاعه المشروع ويسترد حقه المنزوع بكل حيلة وبكل وسيلة .

ومن اجل ذلك اعلن امير المومنين جلالة الحسن الثاني وارث سياسة المولى محمد الخامس — ان المغرب يحتفظ بحقه فى استرجاع اراضيه المغصوبة وثرواته المنهوبة ، واعلنت الطاقات الشعبية باسرها ان الشعب المغربي جند مطواع من ورائه ، ومستعد لخوض المعركة تحت لوائه ، والشعب الصحراوي الكريم ينتظر بحرارة ان تتخلص الصحراء من مؤامرات الاستعمار ومحاولاته الباطلة .

ولا يمكن للمغرب ان يتغاضى عن تلاعب اسبانيا بصحرائه متحدية ارادته ومتناسية حقوقه ومستغلة بسطاء الراي ووسطاء الشر — والمومن لا يلدغ من جحر واحد مرتين — ومن طبيعة الاستعمار اذا ضاق به الامر ، واعوزه المنطق ان يتعلق بخيط العنكبوت ، ويلتجيء الى السماسرة والتحوت .

وان كفاح الملك والشعب الذي تجسم فى الخلاص من الاستعمار الفرنسي لا بد وان يتجسم فى الخلاص من الاستعمار الاسباني ، والا فهي وصمة فى جبين المغرب الذي يستراد لمثله وعار عليه يطول ولا



رسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بتاريخ جمادى الاولى 1277 (1860 م) الى عامله بالصحراء والسودان يخبره فيها بتسلمه هدية من السودان ويظهر فيها ارتياحه للخصب الذي عـم الصحراء وموريطانيا والمناطـق الســوداء ،،،

يزول ـ وكل يعلم ان بطولات المغرب سالت فيها الدماء رخيصة من جراء تخليص الارض من الغصب، وتحرير الامة من الاسر، ومغرب الملك الحسن الثاني لا يقل حماسا ونشاطا وبطولة عن مغرب محمد الخامس رحمه الله، فكما حرر بلاده فى الماضي من الاستعمار الفرنسي وان تشدد وتعصب، هو قادر بحول الله وقوته ان يحررها فى الحاضر من الاستعمار الاسباني وان وكد وكده وقصد قصده.

فاذا لم ترد اسبانيا ان تتفهم سياسة المغرب السليمة والمنطقية ـ واذا لم تتغلب على اهوائها واطماعها فتحترم حقوق الانسان، وخطوط السياسة التي تنهجها الامم المتحدة سياسة استقلال الشعوب واسترداد الاراضي الى اصحابها ـ واذا لم ترغب فى صداقة المغرب وتعاونه معها كجارين يحترم احدهما الاخر ويتبادلان المصالح والمنافع فان ءاخر الدواء هو الكي، ولا مؤاخذة على المغرب وانما المواخذة على الاستعمار الذي ظل يماكر ويحايل.

ومن الصراحة ان من سالمنا سالمناه ومن حاربنا حاربناه كما قال سبحانه: « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ».

وان اسبانيا لهي أول من يعرف مراسة شعبنا وصلابة نبعه فى مساورة النوائب ومواثبة الشدائد عند ما يكون موتورا فى نفسه ومظلوما فى حقه، فالمغرب شعب مستميت ومستقتل تحت الراية العلوية الظافرة التي كتبت فى الماضي وفى الحاضر سجلا مليئا بالبطولات والمعجزات.

وحقا انه من الظواهر التاريخية ان حياة الشعوب كحياة الافراد تمر بها عهود القوة والصعود، وظروف الضعف والهبوط، وقد تستغل دولة، دولة منتهزة فرصة ضعفها وقلة وعيها، وقد تطغى على تخومها وحدودها فتاخذ من ارضها ومواردها، ويسمى هذا فى عرف العصر بالاستعمار والاستغلال

ولكن دوام الحال من المحال ـ ان العالم الحاضر قد اجمع على نبذ الاستعمار والاستغلال وان طال زمنه لان الحقوق لا تبطل بالطول ولا بالتماطل، وان اليقظة والثقافة قد حلت محل الغفلة والجهالة فمن المستبعد جدا ان يسمح الاستعمار لنفسه بالبقاء جاثما على ما استولى عليه سابقا انه جمود وجحود وشيء لم يعد يحتمله العصر الحاضر الذي هو عصر البعث والانبعاث وعصر الحرية والمساواة، وذلك يتطلب استخدام القوة لرد المظالم واخذ الحق من الظالم اذا لم يستجب للحق عن طواعية واختيار، وبطريق التفاهم والحوار والله مع الحق، والشيطان مع الباطل فلا قوة للباطل ولا ضعف مع الحق.

وان الذين يحاولون التأييد لخطة الاستعمار ازاء الصحراء المغربية والتحريش بسياسة المغرب والوقوف فى طريقه لن يكون ذلك منهم الا خدشا لتاريخهم وتشويشا على انفسهم ونقضا لسياسة التضامن العربي الاسلامي التي ابرمت وتبرم فى مؤتمراتهم وتجمعاتهم وبالتالي لن يكون ذلك الا فى صالح الاستعمار وحلفاء الاستعمار، والذي ينبغي ان يكون الاستعمار عدوا مشتركا على الديمة والابد لا انه عدوا تارة وصديق اخرى، ان الاستعمار لا تتبدل طبيعته ولا تتغير عادته وان تقنع باقنعة جديدة وان تاب وغاب فان الشيطان لا يتوب ولا يغيب، بل هو مدسوس فى كل نقطة من الارض يشوش ويوسوس ليفرق ويسود.

واذا كنا وما زلنا نسير فى خط المخاتلة والمخاذلة فحالنا سيئة وكاسفة، ليس لها من دون الله كاشفة.

نسأل الله سبحانه ان يصلح قلوبنا ببشاشة الايمان، ويخلص اعمالنا من شراسة العصيان، والله سبحانه المستعان.

مراكش : الرحالي الفاروق



الصحراء المغربية

مغربية طبيعيا وجغرافيا وتاريخيا وإنسانيا وحضاريا

للأستاذ محمد الفاسي

ان دراسة ارتباط الساقية الحمراء ووادي الذهب بالمغرب (1) كجزء لا ينفصل بوجه من الوجوه عن وحدته الترابية التاريخية تدخل في اطار اوسع وهو مجموع الاراضي الصحراوية التي كانت داخلة في حدود ما يسمى بالمغرب الاقصى شرقا الى الفزان وجنوبا الى نهر السنغال وشمالا الى البحر الابيض المتوسط وغربا الى المحيط الاطلسي . وكون الاقاليم التي تتكون منها هذه الاراضي الصحراوية من ضمن التراب المغربي فليس ذلك لانها خضعت في وقت من الاوقات لحكم سلاطين المغرب والا لكنا نطالب بكل بلاد المغرب العربي الى حدود مصر الجزيرة الايبرية (اسبانيا والبرتغال) لان كل هذه البلاد حكمت مدة قرون من لدن الدولة الموحدية حيث كانت الاوامر الحكومية تصدر لها من مراكش ،عاصمة الدولة. ولكنا نطالب كذلك بكثير من بلاد السودان الغربي التي فتحها المنصور الذهبي ، أعظم ملوك السعديين . ولكننا لا ندعي شيئا من هذا . والفتوحات التي كانت من اعمال الدول الكبرى في كل الامم لا تعتبر كحجة لأدعاء تبعيتها لها . وانما الذي نطالب به والذي تجمع الحجج التاريخية على صحة انتمائه للمغرب فهو الاجزاء التي كانت دائما تابعة للسلطة المركزية بفاس منذ ان استقرت الحدود المغربية شرقا وجنوبا أيام اواخر المرينيين وايام الوطاسيين محيطة بما يدعى المغرب الاقصى ومطبوعة في حياتها الحضارية والاقتصادية والاجتماعية بنفس الطابع الذي يتميز به هذا البلد الذي يعرف عند الجغرافيين والمؤرخين من العرب والعجم بالمغرب الاقصى . فنرى مثلا الرحالة العبدري صاحب الرحلة المغربية يخرج من بلاد حاحة في سنة 688 هـ (1289 م) ويتجه جنوبا ثم شمالا مارا بالصحاري التي بشرق بشار الى ان يصل تلمسان وهو في البلاد المغربية ، وهو من الاولين الذين نجد عندهم اسم المغرب الاقصى للقطر الذي كان تحت النفوذ المريني . أما ما يتعلق باجزاء المغرب الموجودة في جنوب المغرب وشرقه فزيادة على الحجج المعروفة التي وردت في عدة كتابات منذ استقلال المغرب في اواخر 1955 م وقبله فانا نرى رحالة مغربيا آخر يتوجه أربعة قرون بعد العبدري في ركب الحج الذي خرج من مراكش سنة 1040 هـ. (1630 م) أيام الوليد السعدي قاصدا المشرق على طريق الصحراء، وهذا الرحالة هو ابن مليح السراج الذي الف رحلة بعد رجوعه سماها « انس الساري والسارب » (2) . فنراه يمر بعد بلاد درعة بالساورة ، ثم ببئر العظام قريبا من تابلبالت التي اسسها المرابطون حيث التقى باخد قواد السلطان القائد جوهر ثم قطع بلاد تابلبالت ثم دخل أراضي توات ونزل بالركان حيث التقى بالقايد علي بن عبد القادر الشرقي وقد عزم على الذهاب الى الحجاز مع هذا الركب الذي جاء من مراكش ، ثم قطعوا مراحل

(1) كلما وردت في هذه الدراسة الفاظ المغرب ومغربي والمغاربة فالمقصود بها دائما في كلامنا وفي ما نترجمه عن الاوروبيين ما يسمى بالفرنسية مثلا
Les marocains - marocain - Maroc

(2) وقد نشرتها في سلسلة الرحلات رقم 5 ـ حجازية ـ 2 مارس 1388 هـ ـ 1968 م .

في بلاد تديكلت ، وسمى كثيرا من عيونها وآبارها منها بير سيدي موسى بن معرف صاحب ركب فاس الى ان وصلوا بلاد سردلس قريبا من الفزان . وفي ناحيتها التقوا بالركب الآتي من فاس وعلى راسه سيدي محمد الحفيان. وهم في كل هذه المراحل يتلقاهم نواب السلطان الوليد ويحتفون بهم الى ان وصلوا بلاد الفزان التي لم تكن تابعة للمغرب . قال المؤلف : « فاتصل الخبر باميرها وذكر له من كبر محلتها وعظيم رئيسها أن بها شريفا قرشيا ، فحار امره لذلك وطاش عقله هناك . فوجه من فرسان دولته وخدام مملكته نحو اثني عشر فارسا لاختبار احوال المحلة ومن فيها من الرماة واصحاب التروس » الخ . وهكذا نرى هذ المحلة تقطع كل بلاد المغرب من درعة الى الفزان بدون ان يتعرض لها احد ولا ان يشار الى حكم حاكم او الى فرسان دولة خدام مملكة الا قواد المغرب وولاته حتى وصل الى الفزان فهنالك فارق الركب المراكشي التراب المغربي واحتاج الى المفاوضة مع مبعوثي أمير الفزان للمرور في ايالته، وهكذا استمرت الحال في هذه الاراضي الى الاحتلال الفرنسي بالجزائر بل والى السنين القليلة قبل الاستقلال بالنسبة لبعض المناطق .

والامر بالنسبة للصحراء الغربية المغربية معروف كذلك بالتبعية المغربية الفعلية الى اوائل هذا القرن حيث تضافرت جهود الدول الاوروبية الاستعمارية على اقتسامه في اطار التوسع الاستعماري في القارة الافريقية لهذ الدول بالخصوص فرنسا واسبانيا وانكلترا والمانيا وايطاليا ، واخذوا يدبرون المكائد والاتفاقات السرية والعلنية مما هو معروف ومسطر في اكثر كتب التاريخ .

وهذه الصحراء الغربية التي اقتسمها الاسبان والفرنسيون كانت تعرف عندنا وعند جميع العرب باقليم شنقيط . فلما اختص الفرنسيون منها بالقسم الجنوبي اطلقوا عليه اسم موريطانيا وهو الاسم الذي كان يطلقه الرومان على المغرب كله واستدرجها لاستعمال هذا التعبير كما استدرجونا لتعابير اخرى تتعلق بحضارتنا موضعوا لها اسماء تبعدها عن اصالتها المغربية كالموسيقى الاندلسية والفن الاسباني الموريسكي
Art hispano-mauresque
ويعنون به الفن المعماري . وهكذا فان للالفاظ قيمتها القومية في المفاهيم السياسية والحضارية حتى أن كثيرا من علماء المشرق كانوا عندما كنا نقوم بالدعاية المغربية لموريطانيا يقولون لنا : يا سيدي هل ينازع أحد في أن الشاقطة مغاربة وان تنشيط اقليم مغربي؟ ولكن ما لكم ولموريطانيا؟ ظننا منهم ان موريطانيا هي ارض في افريقيا تتاخم المغرب ولا علاقة لها به وهي غير شنقيط المغربية .

هذا وان كانت المصلحة العليا للبلاد دفعت صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله الى التنازل للجزائر عن الاقاليم المغربية المتاخمة لها جنوبا وغربا في اطار سياسته السليمة وما يؤمل من تحقيق وحدة مغربية شاملة ، وان كان الاعتراف بما صار يسمى موريطانيا يدخل ايضا في نفس الاطار ولما يربطنا بهذين القطرين من وشائج الدين والدم واللغة فلا مبرر مطلقا ولا عذر لنا في عدم العمل على استرجاع الاجزاء من التراب المغربي التي لا تزال تحت النفوذ الاسباني في الشمال وفي الجنوب والتي لا يربطها باسبانيا الا الغصب والاستعمار .

وان الحجج التي نقدمها لتاييد تبعية هذه الاجزاء للمملكة المغربية لا يقصد منها اقناع المتعصبين فانهم يعلمون اننا محقون في مطالبنا وانهم لم يستطيعوا الاستيلاء على هذه الاراضي الا بالقوة بعد مقاومة وكفاح داما سنين طويلة، واحتجاجات دبلوماسية من لدن الحكومة المغربية . ولكن القوة العسكرية لدولتنا كانت اضعف من ان تنتصر في ميادين الحرب في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن والاحتجاجات والمعارضات كانت تبقى حبرا على ورق لان التوسع الاستعماري الاوربي كان لا يعرف الا لغة القوة ولا يزال الامر في الحقيقة على هذه الحالة وان ما قامت به اخيرا تركيا في جزيرة قبرص آخر دليل على هذه الحقيقة.

ولكننا نعمد لنشر هذه الحجج لانارة الراي العام الدولي حتى اذا اضطررنا للجوء الى القوة تحقق العالم اننا ندافع عن حق ثابت واضح . وذلك لان الامد بين خروج هذه المناطق من يدنا وبين مطالبتنا بها انسى الاجيال الحاضرة الاجنبية ان هذه الاراضي هي من صميم المغرب والا فاقليم الساقية الحمراء ووادي الذهب كاقليم وارزازات وطرفاية ومدينة العيون هي كمدينة سيدي افني واما مدينتا سبتة ومليلية وان كان أمد احتلالهما اطول من احتلال مناطق الصحراء الغربية المغربية فانهما قريبتان من القارة الاوروبية وداخلتان في اراضي المغرب المحررة والامر بالنسبة اليهما والى جزر راس الماء المسماة «زافرين» وحجرة النكور ، وباديس ، كشان جبل طارق بالنسبة لاسبانيا .

لكل هذه الاعتبارات احتجنا لبيان هذه الحقائق والاتيان بالحجج التاريخية والجغرافية والبشرية لتاييد

مطالبنا واطلاع الراي العام الدولي بكل الوسائل على هذه الحجج والبراهين ، وان كان المغرب لم يفتر في كل حقب تاريخه عن المطالبة بل المحاولات العسكرية لتحرير سبتة ومليلية ولمقاومة النزول الفرنسي والاسباني في الصحراء المغربية .

واولا فان كل المؤرخين من العرب والاوربيين يؤكدون اتحاد الاصول الجنسية بين سكان الصحراء وسكان المغرب الاقصى ، ولا نحتاج الى الاتيان باقوال المؤرخين المسلمين من امثال البكري وابن عذاري وابن خلدون والناصري وغيرهم كثيرين وانما نكتفي بجلب اقوال علماء من الاسبان والفرنسيين وهم المسؤولون في الدرجة الاولى عن تجزيء المغرب وفصل اقطار الصحراء عنه ، وان كان شارك في هذه المؤامرات كل الدول الاستعمارية الاوربية .

يقول الكولونيل اسينسيو Asensio الاسباني : (3) « كل النصوص المتعلقة بهذ الحقبة (اي العصور القديمة التي سبق له الكلام عليها اي من ايام المرابطين الى ايام المرينيين) تجعل قبائل مسوفة ولمتونة يسكنون في شمال النيجر والخرائط المسيحية (مثل خريطة كرسيك في سنة 1375م) تجعل صنهاجة وجزولة في اماكنهم اي صنهاجة في الجنوب وجزولة في الشمال تفرق بينهما الساقية الحمراء ».

ومن المعلوم ان جزولة ومنهم آيت باعمران وتكنة الحاليون من القبائل البربرية المغربية الصميمة .

ويقول ايضا عن الرقيبات اهم قبائل الصحراء الغربية « انهم ينحدرون من سيدي الرقيبي من حفدة مولاي عبد السلام بن مشيش (4). وهو دفين جبل العلم في ناحية تطوان .

وبعد ان تكلم على ما يسمى بلف جزولة اي اتحاد قبائل ينتمون الى هذه القبيلة المغربية الكبرى عدد القبائل التي يتركب منها هذا الاتحاد فذكر قبائل متعددة نرى منها ما هو المغرب المحرر كمجاط وسملال وآيت الرخا وقبائل صحراوية لا تزال الى الآن تحت الحكم الاسباني الروافض وازرقيين وآيت الحسن وتكنة (5) .

ويقول لا شبيل الفرنسي: «ان قبائل آيت عطا كانوا مسؤولين على كل الواحات الصحراوية (زسفانة والساورة وتوات وتديكلت) الى السودان »(6).

وآيت عطا هم سكان جبل صاغرو في جنوب المغرب المحرر .

ونقل لا شبيل المذكور عن الاب فوكو قوله عندما فارق ناحية جبل باني ودخل بلاد الصحراء : « هذه اول مرة باستثناء الزوايا والمدن ارى مغاربة متقفين (7) فسمى سكان الصحراء المغتصبة مغاربة . وبالفرنسية (marocains)

ويقول لا شبيل ايضا : « ومن هنا فان المغرب يكون نقطة انطلاق او نهاية لكل الحركات الصحراوية الكبرى (8) وذلك ان اصل رجال الصحراء المتحد مع قبائل المغرب جعلهم يتجهون دائما نحو هؤلاء لانهم في السودان كانوا يواجهون دائما الجنس الاسود (9) .

والواقع ان القبائل التي تقطن حاليا الساقية الحمراء ووادي الذهب هي نفس القبائل التي نجدها في جنوب المغرب المحرر وفي نواح اخرى منه .

فهناك مثلا بنو ازرقيين الذين يوجدون في طرفاية وفي الساقية الحمراء .

واولاد دليم في ناحية سيدي افني وفي طرفاية وفي الساقية الحمراء .

والرقيبات يمتدون من ناحية اكلميم الى الساقية الحمراء ووادي الذهب وتكنة في جنوب المغرب المحرر وفي الساقية الحمراء .

واولاد ابو السبع (اي ابي السباع) او السباعيون في ناحية مراكش وفي شرقي وادي الذهب .

واولاد الحسن اكثرهم بناحية سيدي افني وبقية اخوانهم نحو الثلث بالساقية الحمراء .

وفلالة في طرفاية والساقية الحمراء واصلهم من تافلالت المغربية .

والشعامبة يتنقلون ما بين جنوب المغرب المحرر والاجزاء المغتصبة التي لا تزال تحت النفوذ الاسباني

وكذلك الوداية والبرابيش والرحامنة .

والفويقات في ناحية طرفاية وفي نواحي مصب نهر الساقية الحمراء وفي راس ابي جذور الذي صار ينطق عند الاسبان بوخاضور . Bojador

---

(3) انظر المؤتمر السابع لمعهد الدراسات العليا المغربية المنعقد بالرباط سنة 1930 ص . 27

Etude, notes et documents sur le Sahara occidental XII' Congrès de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines, Rabat 30 mai 1930.

(4) ص. 29 (5) ص. 31 من المصدر السابق (6) ص. 86 من نفس المصدر السابق (7) ص. 76 من المصدر السابق

(8) يعني الحركات السياسية والدينية (9) ص. 95 من نفس المصدر .

رسالة مولاي الحسن الى بركاش 25 ذي الحجة 1299 هـ حول المباحثات المغربية الاسبانية حول سانتا كروز

وزمور في وادي الذهب وفي وسط المغرب المحرر .

والعروسيون في المغرب المحرر وفي الساقية الحمراء .

الى غير هؤلاء من القبائل التي يعيش بعضها في شمال المغرب المحرر وجنوبه وبعضها الآخر يعيش في مناطق الصحراء المغربية التي تحت النفوذ الاسباني الان والتي اطلقوا على جزء منها اسم الساقية الحمراء اي تركوها على اسمها القديم وسموا الجزء الجنوبي منها Rio de Oro فترجمناه الى وادي الذهب ولكن المغاربة لم يكونوا يطلقون على هذه الاقطار الواسعة اسما واحدا وانما يسمونها في جزئها الشمالي الغربي بلاد التيريس وفي الجزء الشمالي الشرقي بلاد زمور وفي الجزء الجنوبي ادار سطوف.

هذا من حيث اتحاد سكان المغرب في اصولهم مع اخوانهم سكان الصحراء المغربية .

وقد خصص الشيخ احمد بن الامين الشنقيطي في كتابه الوسيط في تراجم ادباء شنقيط (10) فصلا عنونه بقوله « الكلام على شنقيط هل هي من السودان او من المغرب» وهو يعني بلفظة شنقيط كل اراضي الصحراء المغربية الجنوبية واتى بحجة قاطعة بتبعية الصحراء الغربية للمغرب ، وللملوك العلويين في وقته ومما قال : « ورايت في دار كتب المرحوم عارف حكمت بك بالمدينة المنورة كتابا للسيد مرتضى الزبيدي شارح القاموس ، بخط يده يعدد فيه اشياخه ويترجمهم فذكر من جملتهم عبد الرشيد الشنقيطي وذكر انه مر عليهم بمصر متوجها الى فاس . ثم قال رجع الينا وقد صدق له السلطان بانهم من المغاربة وحكم بذلك القاضي ابن سودة (والاغلب أن ذلك السلطان هو سيدي محمد بن عبد الله) » (11)

أما من حيث طبيعة الاراضي الصحراوية في طبقات أرضها وجغرافيتها ومناخها وحيواناتها ونباتاتها فقد حقق العلماء انها امتداد لطبيعة المغرب في جنوبه المحرر .

قال العلامة الجغرافي الفرنسي الاستاذ سليريي الذي كان مدرسا بمعهد الدراسات العليا المغربية : « ان وظيفة المغرب الخاصة ومميزاته الاصيلة هو انه من سائر الحيثيات الرابطة ومكان المرور بين اوروبا والبحر الابيض وافريقيا ما فوق خط الاستواء وتجاهل ما اتاه من الصحراء اول اشعاع عمله في الصحراء يؤدي الى بتر أعضاء منه ويحكم علينا بان لا نعرف حقيقته .

« انظروا الى الجيولوجية والى الجغرافية القديمة . ان مغرب الشمال جزء من اوروبا ابحر الابيض القريبة العهد ومغرب الجنوب يتصل بنواحي افريقيا العتيقة جيولوجيا. ومن حيث المناخ والنباتات فان التأثيرات الصحراوية تصل الىّ داخل المغرب ولكن المغرب نفسه يجعل فيافي الصحراء تتاثر بفضل رياح المحيط التي تحمل له الرطوبة وتعمل على تلبين جوه واكثر من ذلك بفضل الانهار الكبيرة التي تمدها ثلوج الاطلس الكبير ». (12)

اما عن تفاصيل هذا الامتداد وهذا الاتحاد في الطبيعة بين اقطار الصحراء المغربية المحررة وباقي الاجزاء المغصوبة فذلك ما تكلفت به كثير من الدراسات لا نطيل بها حيث تفصل الاصلاحات الجغرافية في كلا القسمين من امثال سبخة ورق وعرق وحمادة ونحوها وحيث تذكر أنواع النباتات والحيوانات الموجودة في جنوب المغرب وفي الساقية الحمراء ووادي الذهب (13).

ومما ورد في احدى الدراسات وهي للاستاذ جوالا الفرنسي في المؤتمر السابع لمعهد الدراسات العليا المغربية المتقدم الذكر تحت عنوان « ملاحظات حول الجغرافية الحيوانية بالصحراء المغربية يمكن أن يعد التمساح (Crocodilus niloticus Laur) الذي نص شودو على وجوده في سبخات تاكانت بموريطانيا »(14) فاذا كانت تاكانت بموريطانيا من جملة الصحراء المغربية فأحرى الاقطار التي في شمالها اي وادي الذهب والساقية الحمراء .

اما من الناحية السياسية والتاريخية فان تبعية الصحراء الغربية للمغرب ثابتة منذ اقدم العصور اي من الفتح الاسلامي الى أن تدخل الاستعمار للاستيلاء عليها وفصلها عن وطنها الاصلي . ولا نحتاج الى الرجوع لعصر المرابطين ولا لعصر الموحدين لاننا قلنا في اول هذه الدراسة ان ما نطالب به هو ما يدخل في حدودنا ما استقر عليه المغرب الاقصى منذ ايام المرينيين الى اوائل القرن العشرين م.

وقد ورد في تقرير تحت عنوان « دراسة وثائقية للحكومة الفرنسية » كتب سنة 1959 ما يلي : « منذ تولي

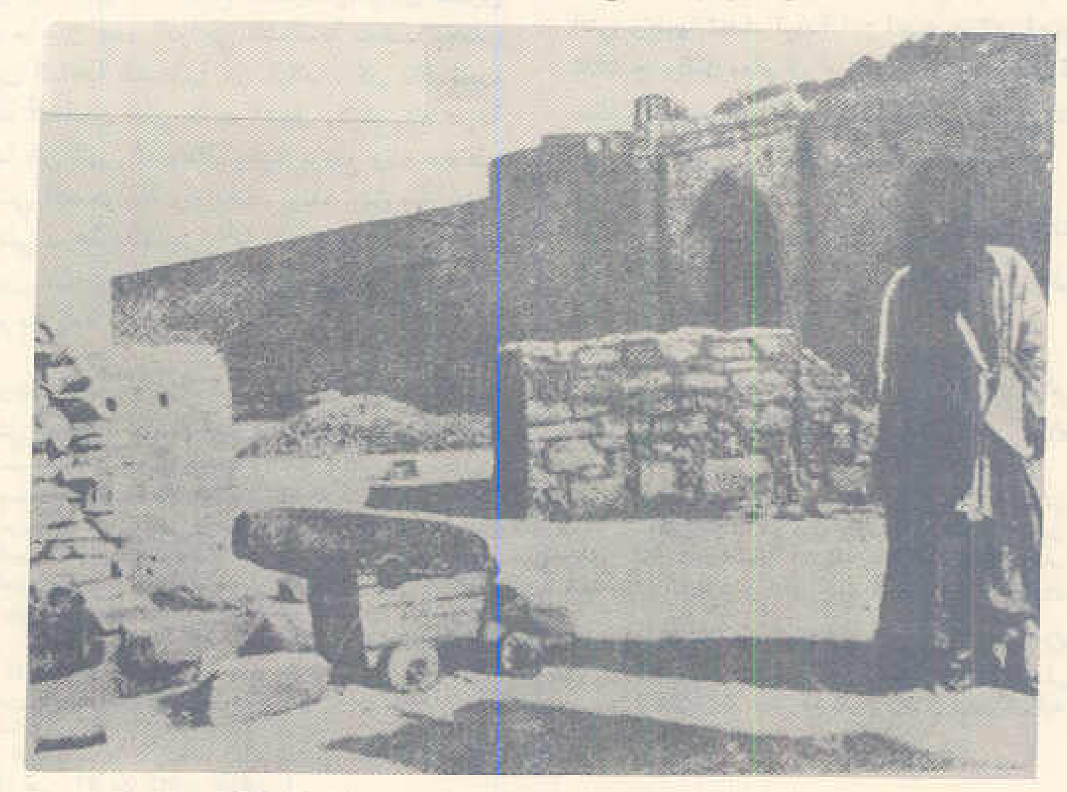
---

(10) ظهرت طبعته الاولى بالقاهرة سنة 1329 هـ اي سنة قبل فرض الحماية الفرنسية والاسبانية على المغرب .

(11) الوسيط ص. 423 من الطبعة الثالثة القاهرة سنة 1380 هـ ـ 1961 م (12) المؤتمر السابع لمعهد الدراسات العليا المغربية المشار اليه سابقا ، ص. 8 (13) انظر كتاب انخيل فلوريس موراليس الاسباني المسمى : EL SAHRA ESPAGNOL مدريد 1946 (14) ص. 149 من الكتاب المذكور



وصول موكب الشيخ ماء العينين الى مدينة فـــاس



احتل الاسبانيون مدينة اسمارة يوم 15 ماى 1934

الحكم بالمغرب المرينيون (في القرن الحادي عشر الميلادي) صار تاريخ تكنة والمور (15) وهو نفس تاريخ الامبراطورية المغربية التي ليس هنا في هذه الدراسة محل الكلام على اعمالها الكبرى وذلك الى تدخل الدول الاوربية في اوائل هذا القرن ».

ونعيد هنا ما صدرنا به هذه الدراسة من ان الكلام على الساقية الحمراء ووادي الذهب يدخل في اطار الصحراء المغربية كلها شرقا وجنوبا وما يصدق على جزء منها يصدق على باقي الاجزاء الاخرى . وان ما يذكر المؤرخون من التبعية المغربية لما صار يسمى موريطانيا ينطبق بالاولوية على ما فوقها لان الساقية الحمراء وبلاد زمور وادرار سطوف هي محل المرور الطبيعي ما بين شمال المغرب وجنوبه .

وقد ورثت الدول التي تعاقبت على عرش المغرب ميراث المرينيين وتابعت عملها في الاهتمام بالاقاليم الصحراوية وتعيين الولاة والقواد والقضاة بها . من المعلوم ان الذي سهل على المنصور الذهبي فتح بلاد السودان (16) قربها وجوارها لاقاليم مملكته الصحراوية .

ومن جهة اخرى فقد كان لهذا الفتح تزايد اعتناء السعديين بالصحراء المغربية وذلك بحفر الآبار واسقاط الضرائب وارساء قواعد الامن مما شجع التجارة وامن طرق المواصلات ما بين هذه النواحي الشاسعة بعضها ببعض وبينها وبين الناحية الشمالية من البلاد . كل ذلك تحت امرة خليفة السلطان الذي كانت تشمل ولايته بلاد درعة وما وراءها الى نهر السينغال واليه يرجع ولاة مختلف تلك الاراضي الصحراوية وقوادها . ونذكر من بين خلفاء السلطان على درعة والصحراء ابا فارس عبد العزيز احد ابناء المنصور الذهبي ومن القواد القائد ابن عزوز ومحمد بن ابراهيم بن بجة .

ولما ظهرت الدولة العلوية تضاعف اهتمام سلاطينها وهم من بني الصحراء هذه الارض الطيبة التي خرجت منها تقريبا كل الدول المغربية : المرابطون والمرينيون والسعديون والعلويون وقد قال لا شابيل المذكور آنفا بهذا الصدد: «من هنا كان تاريخ الصحراء يلقي ضوءا جديدا على سر انبعاث هذه الدول : المرابطية والمرينية والسعدية والعلوية التي كانت بدون شعور الواحدة بعد الاخرى تبحث عن مبعث قوة عند هذه القبائل التي صنعتها مدرسة الصحراء الفاسية » (17) .

وجاء في كتاب « الماضي المغربي لموريطانيا » « لاوديب بويكودو : « ومع العلويين (18) فقدت التدخلات الشريفة صبغة الفتوحات ولم تعد سوى حركات للتفتيش وابراز النفوذ المغربي . ومعنى هذا ان اراضي الصحراء التي في شمال السنغال والتي كانت تابعة للمغرب قبل فتح السعديين للسودان لم تكن الحركات اليها الا للمحافظة على الامن والقيام بالتفتيش الاداري والاهتمام بشؤونها الاجتماعية والاقتصادية .

ولكن بالطبع كان سلاطين الدولة العلوية يحرصون ايضا على الالتزام بالمحافظة على ما خلفته لهم سياسة السعديين في السودان خصوصا لتامين اراضيهم الصحراوية المتاخمة لتلك البلاد . ومن هنا تلك الحركات التي وجهها المولى الرشيد سنة 1665 الى ودان وتيشيت وكذلك حركات المولى اسماعيل الى بلاد السودان ومن جملتها المحلة التي وجهها تحت قيادة ابن اخيه مولاي احمد في سنة 1672 م. والكل يعلم ان ام المولى اسماعيل من قبائل معقل سكان الصحراء المغربية وانه تزوج بسيدة من بنات امير البراكنة القبيلة الشنقيطية المشهورة.

وقد ذكر الزياني في الترجمان المعرب والناصري في الاستقصا ان المولى اسماعيل قاد بنفسه حركة تفتيش بشنقيط الى تخوم السودان .

واستمر الامر على هذا الحال في كل ايام السلاطين العلويين الى الاحتلال الفرنسي والاسباني لبلاد الصحراء

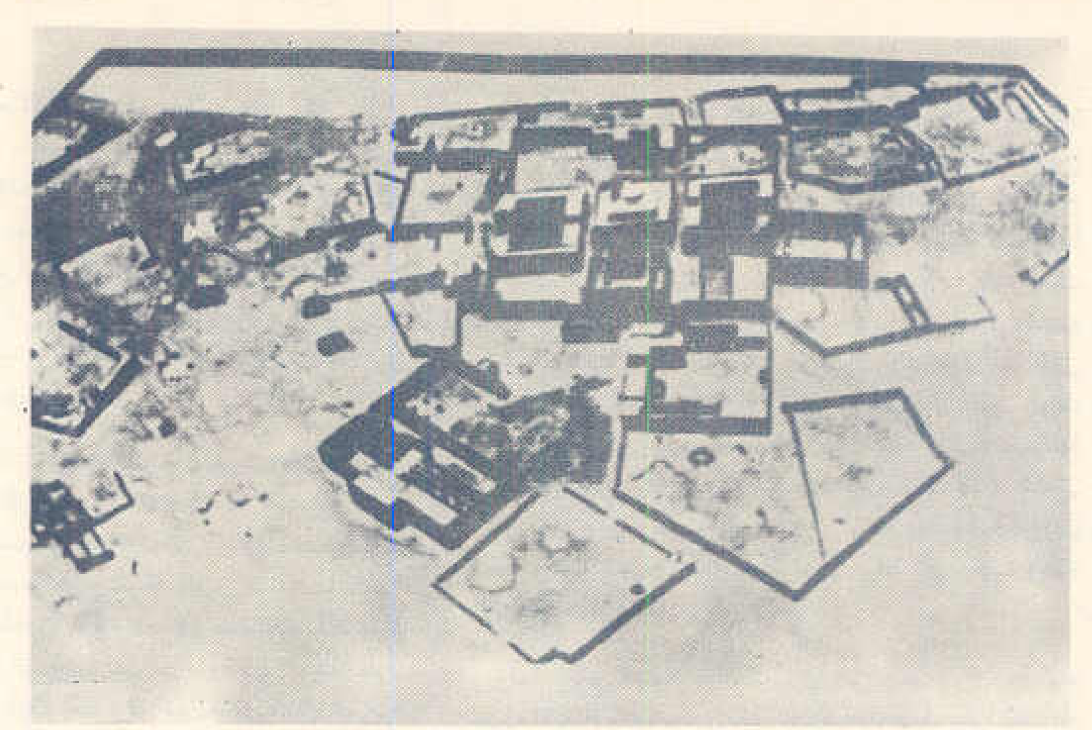
---

15) هكذا يسمى الاوربيون سكان الصحراء المغربية منذ ان اطلق مندوب الولاية العامة لحكومة افريقيا الغربية الفرنسية كسافيي كوبولاني لفظة موريطانيا على الجزء الجنوبي من الصحراء المغربية وذلك سنة 1904 . وكان يقصد من وراء ذلك ربطه بما كان يسمى موريطانيا الطنجية Mauretania Tingitana ايام الرومان حتى يتسنى جعل الامبراطورية الشريفة كلها من البحر الابيض الى السنغال تحت الحماية الفرنسية . وقد كتب في هذا الصدد وزير المستعمرات الفرنسي في شهر غشت 1904 يقول : « وارجو أن لا يغيب عن ذهنكم ان موريطانيا امتداد للمغرب » . انظر
O. Du Puigaudeau Le passé Maghrébin de la Mauritanie. Rabat 1962 pp. 10-11

16) ونكرر ان هذا الفتح لا يدخل في نطاق الكلام على الصحراء المغربية وان كان من اثره زيادة تشبث سكان الصحراء بوطنهم الاصلي لان مرور الجيوش بنواحيهم في اتجاهها نحو السودان ايام السعديين وحتى العلويين في عصورهم الاولى زاد في تمتين الروابط واهتمام السلطة المركزية بشؤونهم .

17) المؤتمر السابع لمعهد الدراسات العليا المغربية سنة 1930 ص . 95 .

(18) ص. 27 من الكتاب المذكور .



منظر جوي لمدينة سمارة مقر الشيخ ماء العينين خليفة السلطان بالصحراء ارسلها سنة 1898 وذلك بفضل أموال الخزينة المغربية مواد بنائية وغذائية مرسلة من طرف السلطان مولاي عبد العزيز وكذلك معلمين وصناع من تطوان وطنجة وفاس ومراكش



سفارة الجنرال الاسباني مارتينير كامبوس لدى السلطان مولاي الحسن الاول على اثر حوادث مليلية سنة 1893

المغربية . فنرى مثلا السلطان مولاي عبد الله يقتبل المختار شندورة ، حفيد الامير علي شندورة ولد عدي الذي كان قد استغاث بالمولى اسماعيل ضد الاوروبيين الذين كانوا اخذوا يهددون السواحل المغربية في الجنوب وسافر من بلاد الترارزة الى مكناس وبصحبته القاضي عبد الله المشهور بولد رازقة وكان من الشعراء الفحول وله امداح في الامير سيدي محمد العالم ولد المولى اسماعيل وخليفته بالقطر السوسي (19) .

واذا كان الملوك العلويين يوجهون الجيوش الى داخل بلاد السودان فقد كان ذلك اولا كما قدمناه لاعتبار الارث السعدي ولكن بالخصوص للدفاع عن رعاياهم ضد اعدائهم من قبائل جنوب السينغال وشرقه الذين كثيرا ما كانوا يغيرون عليهم فيحتاجون لمقاومتهم الى مساعدة حكومتهم الشرعية أي المخزن الشريف المغربي . وكانت احيانا تقوم منازعات بين سكان البلاد خصوصا بين قبائل معقل العربية وبين القبائل البربرية كقبيلة اداوعيش الصنهاجية فيتدخل المخزن لمساندة المظلومين أو حل المشاكل القائمة بين الطرفين بطرق سلمية .

وقد كان للسلطان مولاي الحسن الاول اهتمام كبير باقاليم الصحراء المغربية وقد كان ايام والده سيدي محمد بن عبد الرحمان خليفة له بقطر سوس الذي كانت تتبعه اقاليم الصحراء المغربية .

ولما بويع مولاي الحسن الاول قام عدة مرات بحركات الى نواحي الجنوب سوس ودرعة . وفي سنة 1882 امر في حركته الى الصحراء ببناء ميناء على المحيط الاطلسي ليتسنى الاتصال باقاليم الصحراء على طريق البحر من الناحية العسكرية والاقتصادية . وعين بهذه المناسبة بظهائر شريفة القواد والولاة للبلاد الصحراوية كما فعل في اقاليم المملكة الاخرى . كما امر بتحصين مدينة تزنيت وجعلها مركزا هاما لتامين تلك النواحي ضد كل اعتداء اجنبي .

وفي سنة 1886م قام بحركة ثانية الى نواحي الصحراء المغربية حيث امر ببناء حصن بطرفاية وعين بهذه المدينة خليفة عنه وامده بحامية قوية . وهكذا قضى على امكان كل نزول اجنبي بالسواحل المغربية الصحراوية .

وفي ايامه ظهر الزعيم الشنقيطي الشهير العلامة المجاهد محمد مصطفى ولد الشيخ محمد فاضل وقد عرف الشيخ محمد مصطفى هذا بماء العينين ومواقفه في كفاح الاستعمارين الاسباني والافرنسي معروفة وقد كتبت عنها المؤلفات الكثيرة ونشرت المقالات العديدة . (20) وقد كانت اتصالاته بسلاطين المغرب ومبايعاته لملوك عصره وآخرهم السولى عبد الحفيظ آخر ملوك الاستقلال مما ابرز مكانة ارتباط اهل الصحراء المغربية بوطنهم الاصلي . وقد ترددت زياراته لكافة انحاء المغرب الصحراوية منها والشمالية من ايام مولاي عبد الرحمان حيث قصد شمال المغرب في طريقه الى الحج واتم دراسته بجامعة القرويين تحت رعاية المولى عبد الرحمان وقد كان يقرب والده الشيخ محمد فاضل .

ولما رجع الشيخ ماء العينين الى الصحراء اخذ يضم حوله الاتباع والتلاميذ واتخذ الساقية الحمراء مقرا لنشاطه العلمي والسياسي المبني على مقاومة مطامع الاسبانيين اولا ثم الفرنسيين بعد ذلك واسس مدينة سمارة على نهر الساقية الحمراء بناها ابتداء من سنة 1888 بمساعدة سلطان المغرب الذي وجه له من مرسى الصويرة مواد البناء من خشب ورخام ونحوهما . وقد تم بناؤها سنة 1895 وصارت مركزا مهما لمقاومة التدخل الاجنبي الاسباني والفرنسي وحتى الانكليزي .

ولما توفي المولى الحسن الاول قام الشيخ ماء العينين بمبايعة السلطان مولاي عبد العزيز على راس وفد كبير من رؤساء القبائل الصحراوية . ثم ارجعه السلطان في باخرة مغربية اقلعت من مرسى الصويرة قاصدة طرفاية ومنها توجه الى سمارة وقد زودته الحكومة المغربية بمؤن حربية مهمة ليتابع مقاومته للاسبان اولا ثم للفرنسيين ثانيا .

وقد جاء في وثائق دائرة تاكانت بشنقيط كما نقلتها السيدة بويكودو في كتابها « الماضي المغربي لموريطانيا » ان الشيخ حساني ولد الشيخ ماء العينين كتب للشيخ سيديا بابا بنوليميت ، وقد كان من عملاء الفرنسيين هذه الرسالة سنة 1905 يهدده فيها :

19) أنظر الوسيط في ادباء شنقيط . وقد كنت نشرت دراسة طويلة عن تاريخ الادب العربي بالمغرب الاقصى في الجزء المخصص للمغرب في دائرة المعارف الاستعمارية والبحرية وذلك سنة 1940 أي قبل الاستقلال بخمسة عشر عاما وذكرت من جملة ادباء المغرب الشناقطة ومن جملتهم ولد رازقة هذا ولم اذكر كاتبا واحدا من اهل الاندلس أو من تلمسان مع ان كثيرين منهم قطنوا المغرب وتولوا الوزارة والقضاء به .

20) انظر المصادر المذكورة في آخر كتاب المؤتمر السابع لمعهد الدراسات العليا المغربية وهي خاصة بما كتب عن الصحراء ومن جملتها ما يتعلق بالشيخ ماء العينين . وهذه المصادر تحتوي على 1034 عنوان .

«والغرض من هذا الكتاب أن نعلمك أن المسلمين من أولاد عايدة وامير آدرار وقبائل مشظوف وادا وعيش أهل تاكانت وجهوا للشيخ ماء العينين شكاويهم ضد النصارى وطلبو منه أن يتدخل في هذا الشان لدى السلطان . ولما ابلغ الشيخ هذا النبا للسلطان امر باعلام النصارى ان تراب البيضان (21» هو تابع له وانهم يجب عليهم ان يكفوا عن محاولة الاستيلاء عليه . هذا وقد وجه الان السلطان بعثة تحت قيادة ابن عمه ومعه قاضيه وكاتبه ليتلقوا طاعة المسلمين وليمدوهم بما يحتاجون اليه من عساكر ومؤن حربية .

« فاذا لم يغادر النصارى هذه الارض فسنعلن الجهاد ومن دافع عن قضية الاسلام ايدناه ومن انضم الى النصارى اعتبرناه عدوا » (22).

وقد كتب كذاك أمير آدرار ولد عايدة للسلطان يحثه على الدفاع عن هذا القسم من الوطن التابع لامبراطوريته كما قال الكومندان جيلي في كتابه « التسرب الى موريطانيا » (23)

واما البعثة المشار اليها في كتاب الشيخ حساني فهي التي توجهت من فاس الى سمارة في خريف 1905 ايام مولاي عبد العزيز وكانت تتركب من الشريف مولاي ادريس بن عبد الرحمن ابن سليمان ، خليفة السلطان بالصحراء ، والوزير الفقيه السيد المدني والكاتب الفقيه السيد الغرفي وخليفة قائد المشور السيد محمد الحسن بن يعيش الذي توفي منذ بضع سنين فقط بعد أن تولى الحجابة لملك العظيم محمد الخامس تغمده الله برحمته ثم لجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله . وقد كان من جملة ما كلفت به هذه البعثة دفع اربعة عشر ظهيرا تقتضي تعيين الامراء والقواد على قبائل الصحراء المغربية كلها وكان من جملة هؤلاء الولاة ، كما جاء في تقرير السيد ابن يعيش الذي نشر في صحف المغرب وفي ما كتب عن قضية الصحراء المغربية : احمد بن سيدي علي ، رئيسا للبراكنة وسيدي عايدة رئيس آدرار وسيدي عثمان بن بكر ، رئيس اداوعيش وسيدي أحمد بن ديد رئيس الترارزة .

هذا على سبيل المثال والا فان البعثة بعدما وصلت في باخرة اقلتها من مرسى الصويرة الى ميناء طرفاية ومنها على الابل الى سمارة وجدت في هذه المدينة جموعا لا تحصى من نواب كل قبائل الصحراء المغربية من طرفاية الى نهر السنغال . وقد عددهم ابن يعيش في تقرير وهم : قبائل تكنة أزرقيين ـ آيت الحسن ـ الزوافض ـ ايت يوشي ـ يقوت .

قبائل الداخلة : (24) ووادي الذهب : اولاد دليم ـ اهل الحروسيين ـ اولاد تيدرارين ـ الرقيبات ـ اولاد ابي السباع ـ آيت يقوب ـ اهل الحاج الكور ـ اولاد لاب ـ السكارنة.

قبائل ادرار النمر : اولاد عموني ـ اولاد اقشار ـ اولاد غيلان ـ الطرشان ـ ادي شلي ـ السماسيد .

قبائل شمامة : الترارزة ـ العلب ـ اولاد ببري ـ اهل برك الله ـ تاكات ـ ادا بن الحسن .

قبائل تاكانت : ادا وعيش ـ ادا وعلي ـ تاجاكانت ـ الرقيبات ـ مسومة ـ ادي بوصاط ـ ادا والحاج .

وقد قدمت كل هذه القبائل الطاعة للسلطان مولاي عبد العزيز بواسطة خليفته مولاي ادريس ثم تغلغلت البعثة والجيش الذي كان معها وفي صحبتها الشيخ ماء العينين في داخل البلاد الصحراوية لتدفع لكل قبيلة ما يخصها من سلاح لمواجهة العدوان الاجنبي الاستعماري. وتوجد الوثائق عن سير هذه البعثة في مخطوطات المراكز التي صارت للفرنسيين من بعد . وقد اتحدت كل القبائل امام خطر الزحف الاستعماري الفرنسي بالخصوص لان الاسبانيين لم يحاولوا اذ ذاك الخروج من المراكز الشاطئية التي كانوا نزلوا بها كالداخلة والكويرة باقصى جنوب وادي الذهب ولم يستطيعوا التسرب الى الداخل الا بعد أن تم استيلاء الفرنسيين على بلاد درعة وعلى تيندوف بعدما احتلوا ما اسموه بموريطانيا . وبعد كل الاستعدادات اشتبك المغاربة مع الفرنسيين في مواقع دامية لا فائدة من سردها لانها وان دلت على تصميم الحكومة المغربية اذاك على عدم السماح باستيلاء الاجنبي على اراضيها فان المناورات والمؤامرات التي كانت تحاك ضد المغرب من قبل الدول الاستعمارية لم تسمح للمولى عبد العزيز ولا لخلفه المولى عبد الحفيظ بالانتصار على التكتل الاستعماري العظيم لتقسيم المغرب والاستيلاء عليه بمختلف التسميات من حماية واماكن سيادة ومستعمرات.

---

(21) من اسماء شنقيط   (22) ص ، 95

(23) باريس 1926 ص، 138

(24) المسماة عند الاسبان بيا سيسنيروس Villa Cisneros

ولكن ما يلفت النظر ويدل دلالة واضحة على تشبث المغاربة بوحدة ترابهم وسيادة دواتهم على كل الاقاليم الواقعة داخل حدود المغرب الطبيعية والتاريخية هو أن ما كان يهدد استقلال المغرب لم يمنع لا مولاي عبد العزيز ولا مولاي عبد الحفيظ من بذل الجهود الصادقة في الدفاع عن حوزة الصحراء المغربية .

ولما بويع المولى عبد الحفيظ بمراكش سنة 1907 كان الشيخ ماء العينين بقصد المولى عبد العزيز في جموع كثيرة من قبائل الصحراء المغربية ليؤخذ منه المؤن والسلاح لمتابعة الحرب ضد المتدين ، ولكنه لما وجد اهل المغرب أجمعوا على خلع مولاي عبد العزيز ومبايعة اخيه مولاي عبد الحفيظ دخل في ما دخل فيه مواطنوه وقدم بيعته لمولاي عبد الحفيظ كما فعل رؤساء القبائل الذين جاؤوا معه . وقد نشرت جريدة العلم نص هذه البيعة مع اسماء رؤساء القبائل الصحراوية في عددها الصادر يوم 10 ماي سنة 1961 مع صورة البيعة المذكورة . وقد ذكر في هذه الوثيقة خمسون قبيلة مع اسماء النائبين عنها وعدد افراد كل واحدة منها . وهي منشورة ملحقا لهذه الدراسة.

ونختم هذا القسم من دراستنا باقوال مؤرخين احدهما انكليزي وهو طوماس بلو الذي عاش في المغرب ثلاثا وعشرين سنة في القرن الثامن عشر ، وقد قال في اخبار مغامراته :

« انني اعتبر ان المغاربة والمور (25) يكونان شعبا واحدا بدون ادنى فرق (26) ».

والثاني المؤرخ الفرنسي مارتان في كتابه « اربعة قرون من تاريخ المغرب حيث قال : « ان الساقية الحمراء هي بدورها الذيل السياسي الذي يربط باسلام اهل المغرب مسلمي الصحراء الجنوبية الغربية والاوربيون .. لم يلاحظوا اتحاد حياتهم مع الامبراطورية الشريفة (27) ».

وقبل مارتان قال المقيم العام الفرنسي بالمغرب ليوطي في رسالة وجلها بتاريخ 24 اكتوبر 1920 لرئيس الحكومة الفرنسية جورج ليك مظهرا غضبه لفصل موريطانيا عن المغرب وجعلها مستعمرة تابعة لافريقيا الغربية الفرنسية:

« ان السلطان هو الامام المتوج وصاحب السيادة السياسية وفوق ذلك هو الرئيس الديني لكل المسلمين بالمغرب (28) وحتى من وراء المغرب الى تنبكتوا كما تحصلت لدي الحجج عن هذا في مدة الحرب » (29).

الرباط : محمد الفاسي

(25) انظر تعليقنا رقم 1 ص. 7

(26) Aventures of Thomas Pellaw, mariwe London 1890

(27) A.G.P. Martin : quatre siècles d'histoire maro caine 1923, pp. 368-369

(28) استعمل لفظة Maghreb هنا .

(29) انظر كتاب السيدة بويكوبو السابق الذكر ص . 77

اسماء القبائل الصحراوية
التي بايعت المولى عبد الحفيظ
مع عدد سكانها

ادا وعيش	12.000
	7.000
التراوزة	10.000
البراكنة	6.000
آل سيدي محمود	10.000
مشظوف	14.000
كنت	4.000
القلال	14.000
أهل مدينة شنقيط	
تاجاكانت	7.000
اديبمات	
والمظف	7.000
مسومة	4.000
تركز	3.000
تين واجيق	3.000
تاكات	2.000
أهل الطالب مصطفى	2.000
ادا باسيدي	8.000
تندغ	12.000
أولاد ديمان	4.000
ادابا وحسن	3.000
اديخي	2.000
اهل بارك الله	1.000
الفاغ	2.000
أهل الحاج محمد	1.000
أهل تيشيت أهل غريجبت	4.000
	ج: 142.000

	ج: 142.000
اولاد الناصر	3.000
اجمان	2.000
اهل بردلي	2.000
التناكيد	1.000
اد والحاج	2.000
الجعافر	5.000
اولاد علي	2.000
السماليل	700
الكلاكم	1.000
تافلالت	1.000
الوسر	3.000
اهل ولاتة	2.000
اهل النعمة	1.000
لمتونة	1.000
ادكجمل	1.000
اد وعلي بحكيم	2.000
السماسيد	2.000
اهل ودان	1.500
ادا وعلي القبلة	1.000
تاشد بيت	3.000
تاكنيت	1.000
تاكنانت	2.000
أولاد اللب	500
اهل بودبوس	1.000
	ج: 183.700



ذكريات عيد العرش بهوامشها وتوابعها تكاد تشغل حيزا فسيح الارجاء فى تاريخ كفاح الشعب المغربي ، ولئن كان الكثير من تلك الذكريات يتسم بشيء غير قليل من مظاهر المحنة والاضطهاد التي تجرع فيها العديد من المواطنين المناضلين أصنافا من طعم الصاب والعلقم ، فانها تتسم الى جانب ذلك – وبالاضافة اليه – بوقائع واحداث تختلط فيها المرارة بالطرافة حتى ليكادان يمتزجان ، ويشكل هذه الاقصوصة نموذجا لتلك الوقائع والاحداث .

— ※ —

كان لا يمر عيد من اعياد العرش الا ويخلف وراءه مسرات ومحزنات ، مسرات تنبعث من جو البهجة والحماس ومن القدرة على التحدي للاستعمار ، ومحزنات يسببها عدد الضحايا الذين يقدر عليهم ان يدفعوا ثمن البهجة والحماس ، وان يدفعوا فرادى « فواتير » ذلك التحدي نيابة عن بقية المواطنين المعتقلين .

فقلما كان يخلو عيد العرش من معتقلين أبرياء ، ونادرا ما كان شهر دجنبر من كل عام يمر من دون محاكمات تشترك فيها حواضره وبواديه بقسمة تكاد تكون ضيزى فى الكثير من الاحيان ، وفى اغلب الفترات ، ولا يكاد المواطنون يفرغون من الاحتفال بعيد العرش حتى ينصرفوا انصرافا وينشغلوا انشغالا بأمر تلك المحاكمات وظروفها ، ولكانها مسلسلات ذات حلقات ، اذ تاخذ الاسئلة تتوالى عن عدد المعتقلين ، واماكن اعتقالهم وهل سيتحاكمون ، واذا كانوا سيحاكمون فمتى تجري تلك المحاكمة ، ثم تاخذ روائع التضامن الوطني تتجلى فى مواساة عائلات المعتقلين وفى اعداد المدافعين عنهم خلال تلك المحاكمات الصورية التي كان المندوب المخزني او المراقب المدني يقترح الحكم فيها ، لينطق به فيما بعد الباشا او خليفته والقائد او خليفته .

وفى أحدى هاتيك المحاكمات كان « المتهم » هو عبد الله الزرهوني من مدينة مكناس وكانت التهمة الموجهة اليه هو انه هتف بسقوط فرنسا خلال مهرجان من المهرجانات الشعبية التي اقيمت بمناسبة العيد ، ولما جرى استنطاق المناضل بوشعيب ، انكر ان يكون هتف بسقوط فرنسا ، وانما نادى بسقوط الاستعمار ، ووقع جدال واخذ ورد حول ما اذا كانت المناداة بسقوط الاستعمار ، تعني فوريا وتلقائيا المناداة بسقوط فرنسا ، وتشعب الجدال الى المقارنة فيما بين فرنسا كأمة ودولة ، وفرنسا كادارة استعمارية تتحكم فى المغرب باساليب الحكم المباشر ، وزعم المراقب ، ووافقه خليفة الباشا بهزة من راسه ، على أن المناداة بسقوط الاستعمار تعني تلويحا ان لم تكن تصريحا بسقوط فرنسا ، ولكم حاول الدفاع ان يقنع المراقب بأن الفرق واضح بين وبين العبارتين

وزيادة فى التاكيد وجه السؤال مرة اخرى الى بوشعيب الزرهوني ، فأجاب بأعلى صوته ... لقد نطقت هكذا : ليسقط الاستعمار ، وكررها ثلاثا ، فتردد صداها خارج قاعة المحكمة ، وسرعان ما رددها بعض المواطنين من الذين كانوا يرابطون امام المحكمة واعقب ذلك لغط وهرج ومرج لم ير المراقب معه بدا من رفع الجلسة ، وهو يتميز من الغيظ .

وفى عشية ذلك اليوم بالذات شاع وذاع ، ان الحكم قد صدر على عبد الله بسنة من السجن نافذة المفعول ، وتقرر ان يستانف هذا الحكم ، وبعد اسابيع من صور الحكم واجراءات الاستئناف نقل عبد الله من سجن مكناس الى سجن الرباط .

ومن عجيب الصدف وغرائبها ان اغلبية الملفات التي تنطوي على هذا الصنف من التهم ، كانت تقع في يد عضو من اعضاء المحكمة العليا عرف بوطنيته وخيارته واستقامته فكان ولا بد من ان تسبب له نوعا من الحرج والاحراج اذ كان عليه ان يقرر فى شانها ويدلي برايه فى موضوع « النازلة » المعروضة عليه ، خصوصا وقد جرت العادة فى اغلب الحالات بأن يكون تقرير فى المحكمة العليا هو الراي المعول عليه فى المصادقة على الاحكام او بعضها ، كان يعز على السيد الجيلالي صندال ان يقر احكاما جائرة على اناس يعتبرهم مناضلين مجاهدين ، مثلما كان يخشى من ان تحوم حوله الشبهات من طرف المندوب المخزني للشؤون العدلية .

وبقدر ما كان احساس السيد الجيلالي يزداد لحالتي الحرج والاحراج بقدر ما كانت ملفات الوطنيين تتوارد عليه ، حتى انه اخذ يتساءل مع نفسه : هلا يكون هذا « التخصص » الاداري فى مراجعة ملفات الوطنيين المستانفة مصيدة يحاول المندوب المخزني ان يوقعه فيها . والا فلماذا يكون حظه هذه من الملفات الوطنية المستانفة الاوفى ؟ ثم لماذا يقصر عليه النظر فى مستانفات مخلفات عيد العرش بالذات ، ليقرر فى شانها ؟ أتراهم مطلعين على ميوله الوطنية ؛ ولذلك فانهم يقدمون عن عمد وسابق اصرار على احراجه عسى ان ينزلق فيقر حكما من هاتيك الاحكام الجائرة فيصبح مثارا للقيل والقال كأعضاء آخرين ؟ وفى غمرة من مثل هذه التساؤلات كان السيد الجيلالي جزاه الله خيرا واكرم مثواه يؤثر جانب التأني ، ويسلك سبيل « ستراتيجية » الانتظار ، حتى اذا مر شهر وشهران على وجود المتهم فى السجن ، عكف على الملف والاثنين ليستخرج الحيثيات ، وليجهد نفسه فى الاستقراء والاستنباط للظروف المخففة ولينهي تقريره بهذه العبارة : « وعليه ففيما قضاه المتهم فى السجن كفاية ، والله الموفق للصواب » .

الا ان حدثا وقع فى احد الايام من ايام اكتوبر سنة 1951 صدق ما كان يتوجسه ويخشاه ، ذلك ان المندوب المخزني دعاه للحضور الى مكتبه حيث اسر اليه بشكوكه فيما تتضمنه تقاريره من تبرئة «المتهمين» فدافع عن وجهة نظره كيفما اتفق ، الا انه لم يتردد فى مصارحة المندوب بأنه يجد نفسه امام«تهم واهية» وانه يطلب اعفاءه من تلك الملفات ان لم تكن له ثقة فى كفاءته واجتهاده ونزاهته ، وبعد ما اقر المندوب المخزني بقيمة كفاءته ووضوح نزاهته ، نبهه الى ان الاجتهاد لا ينبغي ان يكون فى كل مرة فى صالح المتهم بل ان المفروض ان يكون اجتهاد العضو المقرر فى جانب السلطة ، « ولو بدون قانون » ، هكذا اجاب السيد الجيلالي المندوب المخزني وبما يشبه الانفعال ، فرد هذا الاخير بقوله : ان القانون هو ما تقره السلطة .

وانتهت هذه المقابلة بتحذير السيد الجيلالي من مغبة الاجتهاد الذي لا يساير السلطة حتى ولو خالف الشرع والقانون ، وذلك بعد ما لاحظ ان اغلبية تقارير السيد الجيلالي تنتهي بعبارة كادت تكون مالوفة فى اغلبية الملفات التي يتولى امرها ، اذ كلها تختم بأن « فيما قضاه المتهم فى السجن كفاية » .

وعاد السيد الجيلالي بعد هذا اللقاء الثقيل الى « البنيقة » حاملا معه خواطر وهواجس اخرى ، وشاء حظ المناضل عبد الله الزرهوني ان يصل ملفه الى المحكمة العليا فى هذا الظرف العصيب ، وكالعادة فانه يكون من حظ السيد الجيلالي صندال .

وبما ان هذا الملف كان قد ابطا فى السير ، وشاء له طالعه ان يتعثر فى الروتين الاداري الذي دشن فى ذلك العهد ، فكان ولا بد من القيام بمساعي حميدة ووساطات خاصة استثنائية لدى السيد الجيلالي صندال من طرف « الاخوان » ولم تكن الصلات الوثيقة بين هؤلاء الاخوان وبينه لتؤخره عن

الافضاء اليهم بما تلقاه من تحذير استشف من عباراته انه ينذر سوء المصير .

ومع انهم اخبروه بأنهم يلتمسون له الاعذار ويقدرون ظروفه ، فان للسجن ايضا ضروفه التي تستلزم التماس الاعذار للسجناء ايضا .

وبقي ملف عبد الله الزرهوني ينتظر مدة والسيد الجيلالي يؤجل ويسوف ويعد خيرا وينتظر الفرصة التي قد يكون المسيو طاسوني ينتظرها هو ايضا وان في شكل آخر .

وفي يوم خميس حمل السيد الجيلالي صندال ملف عبد الله الزرهوني الى منزله وقرر مع نفسه ان « يستخير » في شأنه في يوم الجمعة الموالي ، لانه كان يومن بأن « الاستخارة » لا تخطىء كما عودته .

وبعد ما ادى فريضة العشاء واستخار ، قام ليرى ما ذا سيكون من امر هذه « الاستخارة » وماذا سيكون حظ ملف عبد الله منها . الا انه انه لم ير شيئا في تلك الليلة ولا في الليلة التي تلتها وهي ليلة لم يلذ فيها – كما قال رحمه الله – الى النوم الا قليلا .

أما في الليلة الثالثة فقد استيقظ في جوف الليل وهرع الى « هيضورته » البيضاء ذات الخطوط السود ، فجلس عليها ، ثم تناول من اعلى الفراش ملف عبد الله الزرهوني . واخذ يقلب صفحات مثنى وثلاث ورباع ، ثم يبدأ مفكرا متأملا ، تارة يتراءى له وجه المسيو طاسوني بابتسامته الصفراء المعبرة عن حنكة ودهاء في شؤون « الشرفيان » بينما يطلع عليه تارة اخرى وجه من وجوه الاخوان الذين الفوا ان ينقلوا اليه مساعيهم الحميدة في شأن السجناء المستأنفين .

ويطول التأمل والتدبر بعض الوقت يهمهم على اثرهما السيد الجيلالي وهو يردد : انها الاستخارة ، والاستخارة لا تخطيء ولا تكذب ، وخصوصا في أمر هؤلاء الوطنيين .

ويأخذ القلم بحركة لا تخلو من سرعة ولكأنه يستعجل ان ينهي هذا المشهد بما املته الاستخارة استجابة لاحاسيسه وتعاطفه مع المناضلين ، ثم يشرع في الكتابة لينتهي فيما بعد حين ويتوضأ ويطلي ويؤدي فريضة الصبح ويعود الى فراشه ليشعر بلذة نوم كان ملف عبد الله الزرهوني قد حوله اباه ولثلاث ليال متواليات .

ولو أن احدا أراد الاطلاع على ما ورد في تقرير السيد الجيلالي صندال من حيثيات لقرأ في آخرها العبارات التالية « وبما أن التهمة الموجهة الى المتهم هي انه نادى بسقوط الاستعمار دون أن يعين جنسيته، اذ ان هناك استعمارا انجليزيا وهولنديا وبرتغاليا ، وغير ذلك من الاستعمارات ، وبما انه لم تقم حجة مادية على ان نية المتهم بهتافه كانت موجهة الى الدولة الفرنسية . وبما انه لا توجد اسماء لشهود عيان لتثبت التهمة الموجهة ، فان مقرره يرى ان « فيما قضاه في السجن كفاية ، والله الموفق للصواب » .

الرباط : احمد زياد

في كفاح العرش والشعب

هدف الوحدة اقترن بمبدأ الاستقلال

للأستاذ عبد اللطيف الخطيب

بعد انصرام خمسة وثلاثين يوما على اعتراف فرنسا باستقلال المغرب في ثاني مارس لسنة ست وخمسين وتسعمائة وألف حل بتطوان قادما بالطائرة من مدريد صاحب الجلالة محمد الخامس رحمه الله، مرفوقا بصاحب السمو الملكي ولي العهد ووزراء الدولة في المفاوضات ، وذلك بعد ساعات قلائل من التوقيع في فجر السابع من ابريل التالي على التصريح الذي اعترفت فيه اسبانيا باستقلال المملكة وحقها في وحدة اراضيها . وهكذا كتب لمعظم سكان الشمال ان يروا بطل التحرير لاول مرة ، وهم يستقبلونه ذلك الاستقبال الخالد المشهود ، وهو يحمل اليهم وثيقة الاستقلال وبشارة الوحدة اللتين طالب بهما الشعب وضحى في سبيلهما قبل شهر بشهداء أبرار عديدين في مدن تطوان والعرائش والقصر الكبير واطراف اخرى من منطقة الاحتلال الاسباني بالشمال ، حرصا منه على التمتع عاجلا بهما بمجرد ما اعترفت حكومة باريس بانتهاء الحماية وعودة المغرب الى سالف عهده في الاستقلال والحرية . وهكذا رأينا ان رفع الحماية الاسبانية عن تلك الاقاليم الشمالية بمقتضى تصريح مدريد قد اقترن بالشروع حالا في تحقيق هدف الوحدة ؛ اذ لم تزل شمس اليوم التالي حتى تسابق الاف المواطنين وراء الموكب الملكي ليقفو حول البطل الرائد بمركز «الخضاضرة» وهو يقوض نصب الحدود ويعلن في لحظة مؤثرة شخصت فيها الابصار وخشعت القلوب رفع الحواجز التي فصلت بين المواطنين في المنطقتين لاربعة عقود او تزيد . تلك كانت بداية الوحدة..

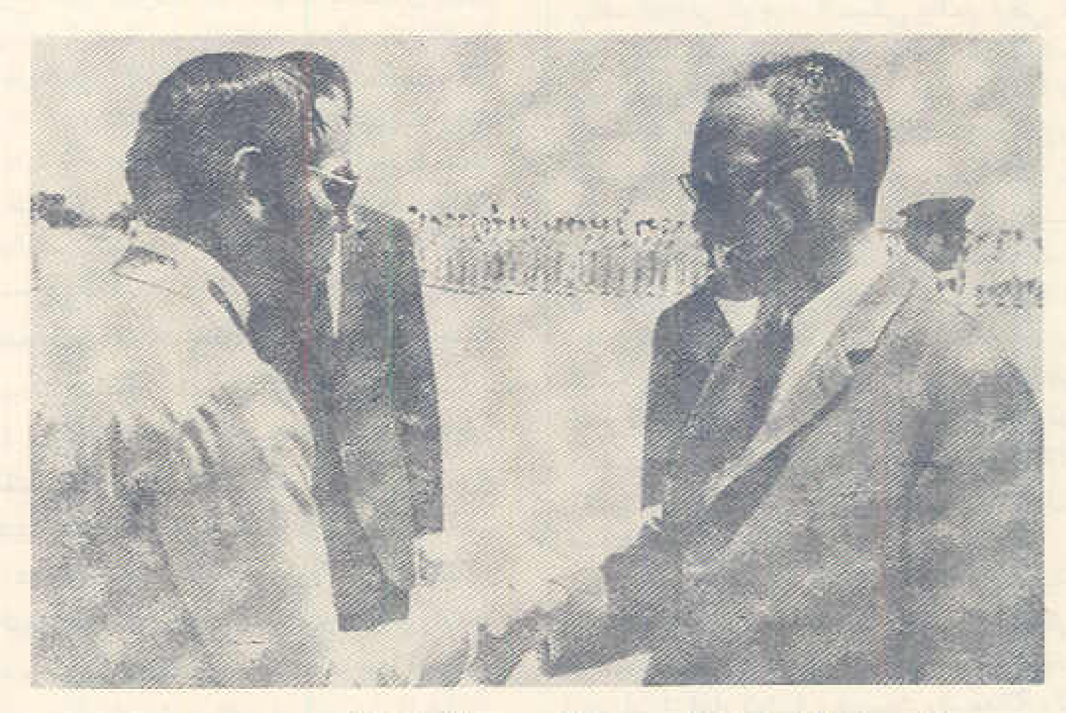
وما هي الا بضعة شهور حتى حضر جلالة الملك المرحوم الى طنجة ، متابعا سيره الحثيث الموفق نحو غايته القومية الكبرى في توحيد اطراف المملكة ، وقد اعلن رفع النظام الدولي عن هذه المدينة ومنطقتها ودخولهما في سلطة الحكومة المركزية .

وفي أواخر شهر نوفمبر لسنة سبع وخمسين وتسعمائة وألف انحسر الوجود الاسباني باقليم ايفني امام مقاومة قبائل آيت باعمران فاصبح مقصورا على بلدة سيدي افني ومطارها وعلى ما يقارب فقط عشر مساحة الاقليم التي بلغت الفا وخمسمائة من الكيلومترات المربعة . وبعد انصراع الديلوماسي بهيئة الامم المتحدة خلال ما يزيد على عشرة اعوام جنحت اسبانيا الى التسليم بحق المغرب فقبلت في الاتفاق المبرم بفاس في ربيع سنة 1969 ارجاع اقليم ايفني الى المملكة . وما حل اليوم الاخير من يونيو للسنة التالية حتى رفع العلم المغربي على مقر الحاكم الاسباني العام للاقليم الذي سعد سكانه وسكان الاطراف المجاورة في اواسط ماي 1972 باستقبال صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله وهو يزوره رسميا لاول مرة بعد عودته الى الوطن .

وكان هذا التوتر الحاد في العلاقات المغربية الاسبانية من جراء نشوب ازمة ايفني على النحو الذي ذكرناه بايجاز قد عجل بقطع شوط هام آخر على طريق الوحدة . ففي شهر ابريل لعام ثمانية وخمسين وتسعمائة والف حلت ببلدة طرفاية لجنة مكلفة بتسليم هذا الاقليم من سلطات



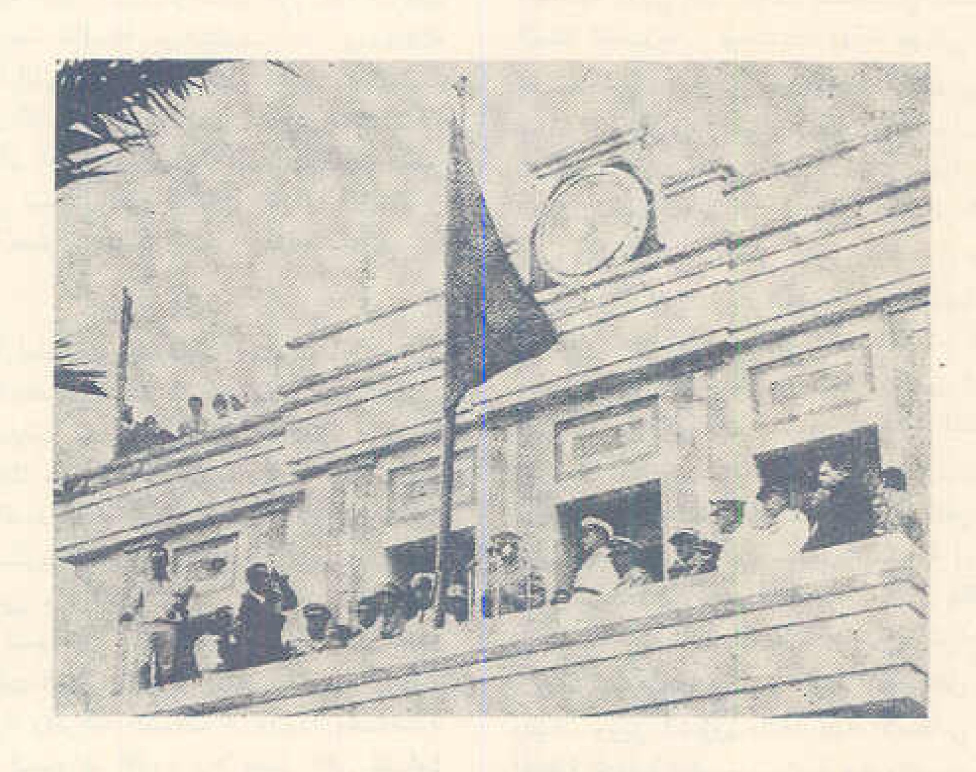
صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يتحادث بقصر الضيافة بالربـــاط مساء يوم الجمعة 11 شتنبر 1970 مع فخامة السيدليوبولـد سيـــدار سانكور رئيس جمهورية السنيكال فى القضايا التي تشغل بال دولتيهما ومن بينها قضية تحرير الصحـــراء المغربيـــة من الاستعمار الاسباني .



صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يستقبل فخامة السيد المختـــار بن دادة بمطار انفا بالدار البيضاء يوم الاثنين 8 يونيو 1970 (3 ربيع الثاني 1390 هـ) ويتحادث واياه فى قضية تحرير الصحراء من الاستعمار الاسباني



جلالة الملك الحسن الثاني يستقبل بالرباط يـــوم الثلاثاء 5 مايو 1970
(28 صفر 1390 هـ) السيد لوبيث برافو وزيـــر الخارجية الاسبانية
السابق ويتحادث واياه فى قضية الصحراء المغربية المحتلـــة

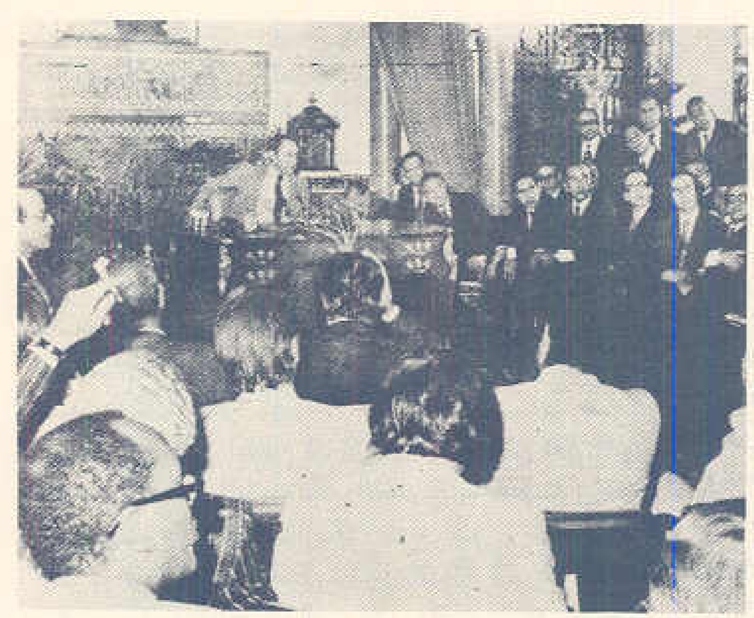


العلم المغربي يرفع على مقر الحاكم الاسباني بسيدي يفني يوم الاثنين 30
يونيو 1969 (14 ربيع الثاني 1389 هـ)

الاحتلال الاسبانية يراسها اللواء محمد بن قاسم الزهراوي وكان كاتب هذه السطور عضوا فيها . الا ان هذه اللجنة وجدت ان المسؤولين الاسبانيين قد التحقوا في اليوم السالف لتاريخ وصولها بقاعدة الجزر الخالدات ، وظل الاقاليم تحت سلطة القادة العسكريين الذين ذكروا ان مهمتهم مقصورة على تنفيذ الاوامر الصادرة الى القوات المستنفرة بالاقليم ولا تتعداه الى المذاكرات السياسية بخصوص تسليم السلطات فيه . وقد صدرت الاوامر الى اللجنة بعدم الرجوع الى الرباط وبوجوب انتظار التعليمات الجديدة ولم تمر الا بضعة ايام حتى توغلت القوات المسلحة الملكية في اقليم طرفاية واتخذ سمو ولي العهد رئيس الاركان مركز طنطان قاعدة لتلك القوات ومقرا لقيادته العسكرية . واستدعيت اللجنة الى هذا المركز فتلقت التعليمات من سمو الامير وهو بلباسه العسكري بين جنوده وضباطه يشاطرهم شظف العيش . ومن تعليماته العودة حالا الى طرفاية وترقب وصول القوات المغربية اليها . الا ان القيادة العليا الاسبانية حرمت استعمال الطريق المعبدة الوحيدة على قافلة الجيش المغربي عند النقطة التي تمتد منها لمسافة طويلة داخل اقليم الساقية الحمراء قبل ان تعود من جديد الى اقليم طرفاية . وبعد ايام عديدة قضتها القوات المغربية في جهد جهيد وابانت خلالها عن باس شديد ، وصلت بسياراتها والاتها عبر الرمال والتلال الى بلدة طرفاية بعد مسيرة قاربت ثلاثمائة من الكيلومترات . وبعد ثلاثة ايام من وصولها الذي اقترن بليلة القدر اعيد فتح المسجد بعد تطهيره من التدنيس الذي الحق به ، واقيمت صلاة عيد الفطر ، فكان العيد عيدين فرح فيهما المؤمنون بنصر الله . وسبق لي تسجيل هذه الفترة ووقائعها المفصلة في مقالات مسلسلة بعنوان «عشرون يوما في طرفاية» نشرتها صحيفة «العلم» .

وفي شهر ابريل لسنة ستين وتسعمائة والف حلت الذكرى المئوية الاولى لامضاء معاهدة الصلح عقب حرب تطوان بين المغرب واسبانيا ، فنشرت بهذه المناسبة في مجلة «دعوة الحق» بحثا حول سبتة ومليلية من جراء ما نصت عليه مواد تلك المعاهدة بشانهما من جهة ، ولا براز مدى المجهودات العسكرية المبذولة لافتكاك المدينتين الاسيرتين في مختلف العصور من جهة اخرى ، انطلاقا من عهد السلطان المولى اسماعيل ، سعيا في استكمال الوحدة الترابية التي كانت الهدف الاسمى الثابت لا فرق في ذلك بين عهود القوة وفترات الضعف ، وتجدد باستعادة الاستقلال عقب السنوات الاربع والاربعين التي قضاها المغرب تحت الحجر والحماية قبل ان يعود الملك المظفر من منفاه السحيق ليبشر شعبه بانتهاء عهدهما في ذلك اليوم الرائع المشهود .

ولقد كان صاحب الجلالة الحسن الثاني بجوار والده المقدس المفدى في قيادة هذا الكفاح من اجل الوحدة ، كما كان من قبل بجانبه يشد ازره ، في الوطن والمنفى ، طيلة الجهاد المبرور في سبيل الاستقلال . فما عاد اقليم ايفني الى الوطن وشرعت الدولة في انعاشه والعناية به حتى راينا جلالة الملك يواصل قيادته للارادة الشعبية الملتفة من حوله والمؤيدة بالاجماع التام الشامل لخطة ، مصارحا الدولة المسيطرة بتصميمه استعادة حق الوطن في الصحراء المغتصبة ، ومبلغا رؤساء الدول والمنظمات الاممية والرأي العام الدولي حرص المغرب ملكا وشعبا واحزابا ومنظمات على تحقيق ذلك المطلب القومي الغالي. ولقد كان لكاتب هذه السطور خلال سبعة عشر شهرا شرف تمثيل جنابه الشريف لدى رئيس الدولة الاسبانية ، واقترنت هذه الفترة بالنزاع حول الصيد والمغربة واسترجاع الاراضي من المعمرين الاسبان ثم بطرح قضية الصحراء وما رافقها من ظروف وملابسات واعلان جلالة الملك حفظه الله سنة تحرير الصحراء في الخطاب التاريخي الملقى بمناسبة ذكرى عيد ميلاده السعيد في تاسع يوليوز من السنة المنصرمة . وصادفت نهاية مهمتي بمدريد الندوة الصحفية الكبرى التي عقدها جلالة الملك يوم سابع عشر شتنبر الفائت والتي اقترح فيها امام تصلب السياسة الاسبانية استشارة محكمة العدل الدولية حول منشا الخلاف . ولا حاجة الى الافاضة في ابراز الصدى البعيد الذي كان للاقتراح الملكي وحسن وقعه في مختلف المحافل الدولية ، اذ ان تصويت الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة بما يقارب الاجماع في تاييد ذلك الاقتراح الهادف قد جاء مبرزا لمدى حكمته ودامغ حجته . ومن الجدير بالذكر والاشارة اليه ان يوم الندوة الصحفية المشهودة لجلالة الملك قد تلا يوم افتتاح الدورة الاخيرة للجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة فسئل عما اذا كان المغرب يعتزم اثارة قضية سبتة ومليلية والصخور الشمالية في نزاعه الترابي مع اسبانيا فاجاب الصحفي السائل بالاثبات ، مبديا بالمناسبة ايثاره لخطة اثارة مجموع النزاع دفعة واحدة بدل طرحه على عدة مراحل . وفي اوائل اكتوبر الفائت وقف وزير الشؤون الخارجية الاسباني خطيبا امام المنظمة الدولية ليشرح سياسة حكومته بخصوص مستقبل



الندوة الصحفية المتعلقة بالصحـــراء من طـــرف صاحـــب الجلالـــة



محمد الخطيب نائب السلطان بمثابة وزير الشؤون الخارجية بطنجة عرف بكثرة تعصبه للاسبان وكانوا يجتنبون المحادثة معه وصار بهم الامر الى ان اشاروا على السلطان بوجوب عزله من منصبه

الصحراء ، وليعلن عزم مدريد على تنظيم استفتاء لسكان الاقليم المحتل خلال النصف الاول من السنة الجارية . وكان طرح الخلاف من الوجهة القانونية وبصفة استشارية على محكمة العدل الدولية يستبعد اجراء ذلك الاستفتاء قبل ان تدلي برأيها في منشأ النزاع . وتشير آخر التطورات سواء في محكمة لاهاي او في لجنة الاربع والعشرين المختصة برفع الاستعمار او بارسال لجنة تقصي الحقائق الى الاقليم الصحراوي المحتل الى ان مدريد لم تعد على كل ما كانت عليه خلال الصيف الفارط بخصوص دور « الجماعة » بالصحراء . ومن المعلوم ان الاعتراض على ذلك الدور والتنديد بالمرامي المبتغاة منه والتصريح بمعارضته ورفضه كان موضوع الكتاب التاريخي الهام الذي وجهه جلالة الملك بواسطة سفيره الى رئيس الدولة الاسبانية يوم سادس يوليوز الماضي والذي نشر وأذيع بنصه وترجمته في الرباط بعد ذلك .

وتنفيذا للخطة الملكية المشار اليها في الجواب على احد الصحفيين الاجانب بخصوص موقف المغرب من سبتة ومليلية والصخور والجزر التي تحتلها اسبانيا على شواطئنا الشمالية تقدم الوفد المغربي في اليوم الثلاثين من يناير المنصرم الى اللجنة المختصة بملتمس يستهدف رفع الاستعمار عن تلك المواقع الاسيرة وارجاعها الى المغرب تلبية لمطلبه المشروع في استكمال وحدته الترابية . وهكذا طرحت لاول مرة بصفة رسمية على المنظمة الدولية قضية المدينتين الاسيرتين والصخور والجزر المحتلة من وطننا في الشمال .

وما قصدت من القضايا التي اجملت ايرادها على تفاوت مراحلها وتباين ظروفها الا أن أشير باقتضاب الى بعض جوانبها ومظاهرها ، لان المبتغي الاول هو استخلاص العبرة منها واثبات الحقيقة الاولى فيها . وما هذه الحقيقة الا ان الوحدة الترابية للوطن كانت في طليعة الاهداف القومية ، وان العرش رعاها ويقود الكفاح في سبيلها كما تزعم فانجح حملة المطالبة وتحقيق الاستقلال . ولعل التذكير بتلك الفترات وابراز معالمها من اوائل واجباتنا وخاصة عند ما تحين ذكرى عيد العرش ، مشفعين ما سلف بالدعاء لجلالة الملك المفدى بدوام العافية وطول العمر مع الحفظ والتوفيق في خدمة الدين والوطن .

الرباط : عبد اللطيف الخطيب



ان الامر بالنسبة للصحراء الغربية المغربية معروفة بالتبعية المغربية الفعلية الى اوائل هذا القرن حيث تضافرت الدول الاستعمارية على اقتسامه فى اطار التوسع الاستعماري بالقارة الافريقية لهذه الدول وبالخصوص فرنسا واسبانيا وانكلترا والمانيا وايطاليا واخذوا يدبرون المكائد والاتفاقات السرية والعلنية

وان الحجج التي نقدمها لتأييد تبعية اجزاء التراب المغربي التي لا تزال تحت النفوذ الاسباني فى الشمال وفى الجنوب ، لا نقصد منها إقناع المغتصبين فانهم يعلمون اننا محقون فى مطالبنا وانهم لم يستطيعوا الاستيلاء على هذه الاراضي الا بالقوة بعد مقاومة وكفاح داما سنين طويلة واحتجاجات ديبلوماسية من لدن الحكومة المغربية ، فاقليم الساقية الحمراء ووادى الذهب كاقليم ورزازات وطرفاية ، ومدينة العيون هي كمدينة سيدي ايفني ، ومدينتا سبتة ومليلية وان كان امد احتلالهما لهما اطول من احتلال مناطق الصحراء الغربية المغربية فانهما قريبتان من القارة الاوروبية وداخلتان فى أراضي المغرب المحررة ، والامر بالنسبة اليهما والى جزر راس الماء (المسماة زافرين) وحجرة النكور كشأن جبل طارق بالنسبة لاسبانيا .

فالحجج التاريخية والجغرافية والبشرية تؤكد مطالبنا اذ المغرب لم يفتر فى كل حقب تاريخه من المطالبة بتحرير سبتة مثلا وعن مقاومة النزول الفرنسي والاسباني فى الصحراء المغربية ،، وكل المؤرخين العرب امثال البكرى وابن عذارى وابن خلدون والناصرى وغيرهم يؤكدون اتحاد الاصول الجنسية بين سكان الصحراء وسكان المغرب الاقصى ، ومما يؤكد المؤرخون الاوروبيون كذلك ان قبائل صنهاجة كانت تسكن فى الجنوب ، وقبائل جزولة فى الشمال ، تفرق بينهما الساقية الحمراء ، ومن المعلوم ان جزولة ومنهم آيت باعمران وتكنة الحالية ولمتونة من القبائل المغربية الصميمة ، والرقيبات اهم قبائل الصحراء الغربية ينحدرون فى سيدى احمد الرقيبي احد حفدة مولاى عبد السلام بن مشيش دفين جبل العلم فى ناحية تطوان ، ومن تلك القبائل ما هو موجود فى المغرب المحرر كمجاط وايدا وسملال ، وآيت ارخا ، ومنها ما هو تحت الحكم الاسباني مثل الزوافض وازرقيين وآيت لحسن وتكنة .

وقد كانت آيت عطا وهم سكان جبل صاغرو فى جنوب المغرب المحرر ، ومستولين على كل الواحات الصحراوية ،، والواقع ان القبائل التي تقطن حاليا الساقية الحمراء ، ووادى الذهب هي نفس القبائل التي نجدها فى جنوب المغرب المحرر ، فهناك بنو ازرقيين واولاد دليم الذين يوجدون فى ايفنى وطرفاية والساقية الحمراء ، والرقيبات وتكنة الذين يوجدون فى ناحية اكلميم والساقية الحمراء ووادى الذهب ، اولاد بو السبع أو السباعيون فى ناحية مراكش وشرقي وادى الذهب ، واولاد لحسن بسيدى ايفنى والساقية الحمراء معا ، وفلالة فى طرفاية والساقية الحمراء واصلهم من تافيلالت ، والشامية المتنقلون مابين جنوب المغرب المحرر والاجزاء المغتصبة وكذلك الوداية والبرابيش والرحمانة والفويقات فى رأس ابى جلود (بوخاضور بالاسبانية) ، وزمور فى وادى الذهب وفى وسط المغرب والعروسيون فى المغرب

المحرر فى الساقية الحمراء ، الى غيرها من القبائل التي يعيش بعضها فى شمال المغرب المحرر وجنوبه ، وبعضها الآخر فى مناطق الصحراء المغربية التي هي تحت النفوذ الاسباني الآن والتي اطلقوا على جزء منها اسم الساقية الحمراء اى تركوها على اسمها المغربي القديم ، وسموا الجزء الجنوبي منها (ريدو اورو) فترجمناها الى (وادى الذهب) ، الا ان المغاربة كانوا يسمونها فى جزئها الشمالي الغربي (بلاد التبريس) وفى جزئها الشمالي الشرقي (بلاد زمور) وفى الجزء الجنوبي (ادار سطوف)

اما من حيث طبيعة الاراضي الصحراوية فى طبقات ارضها وجغرافيتها ومناخها وحيواناتها ونباتاتها فقد حقق العلماء انها امتداد لطبيعة المغرب فى جنوبه المحرر

ويروى لنا التاريخ انه حينما كانت تقوم منازعات بين سكان الصحراء خصوصا بين قبائل معقل العربية وبين القبائل البربرية كقبيلة ايدا وعيش الصنهاجية ، فان المخزن كان يتدخل لمساندة المظلومين ، وحل المشاكل بين الطرفين ،، وقد كان السلطان مولاي الحسن الاول قام عدة مرات فى حركات الى نواحي الجنوب بسوس كان ايام والده سيدى محمد بن عبد الرحمان خليفة له بقطر سوس الذى كانت تتبعه اقاليم الصحراء المغربية ،، ولما بويع مولاى الحسن الاول قام عدة مرات بحركات الى نواحي الجنوب بسوس ودرعة ، وفى سنة 1882 امر فى حركته الى الصحراء ببناء ميناء على المحيط الاطلسي ليتسنى الاتصال باقاليم الصحراء على طريق البحر فى ناحية العسكرية والاقتصادية ، وعين بهذه المناسبة بظهائر شريفة القواد والولاة للبلاد الصحراوية كما فعل فى اقاليم المملكة الاخرى كما امر بتحصين مدينة تيزنيت وجعلها مركزا هاما لتأمين تلك النواحي من كل اعتداء اجنبي .. وفى سنة 1886 قام بحركة ثانية الى نواحي الصحراء المغربية حيث امر ببناء حصن طرفاية وعين بهذه المدينة خليفة عنه وامده بحماية قوية ، وهكذا قضى على امكان كل نزول اجنبي بالسواحل المغربية الصحراوية .. وفى ايامه ظهر الزعيم المجاهد المعروف بماء العينين ، ومواقفه فى مقاومة الاستعمارين الاسباني والفرنسي معروفة

اما عن القبائل التي قدمت الطاعة للسلطان مولاى عبد العزيز بواسطة خليفة مولاى ادريس فهي كما يلي :

1) قبائل تكنة : ازرقين – آيت الحسن – الزوافض – آيت يوسى – يقوتن

2) قبائل الداخلة ووادى الذهب : اولاد دليم – اهل العروسيين – اولاد تيدرارين – الرقيبات – اولاد ابى السباع – آيت يقوب – اهل الحاج الكور – اولاد لاب – السكارنة

3) قبائل ادرار التمر : اولاد عمونى – اولاد اقشار – اولاد غيلان – الطرشان – ادى شلي – السماسيد

4) قبائل شمامة : الترارزة – العلب – اولاد بيرى – اهل برك الله – تاكات – ايدا ابن الحسن

5) قبائل تاكانت : ايدا وعيش – ايدا وعلي – تاجاكانت – الرقيبات – مسمومة – ايدا بوطاط – ايدا والحاج

ومما يلفت النظر ويدل دلالة واضحة على تشبث المغاربة بوحدة ترابهم وسيادة دولتهم على كل الاقاليم الواقعة داخل حدود المغرب الطبيعية والتاريخية هو ان كل ما كان يهدد استقلال المغرب لم يمنع لا مولاي عبد العزيز ولا مولاى عبد الحفيظ من بذل الجهود الصادقة فى الدفاع عن حوزة الصحراء المغربية .

فالمغاربة فى الشمال المحرر وفى الجنوب الصحراوى المحتل يكونون شعبا واحدا بدون ادنى فرق « والساقية الحمراء كما قال المؤرخ الفرنسي فى كتابه « اربعة قرون من تاريخ المغرب » تعتبر الذيل السياسى الذى يربط باسلام اهل المغرب مسلمى الصحراء الجنوبة الغربية ، والاوروبيون لم يلاحظوا اتحاد حياتهم مع الامبراطورية الشريفة

فالسلطان هو الامام المتوج وصاحب السيادة السياسية ، وهو فوق ذلك الامام الدينى لكل المسلمين بالمغرب وحتى من وراء المغرب ، كما سبق ان صرح بذلك المقيم العام الفرنسى بالمغرب اليوطى سنة 1920

واذا كانت الحكومة المغربية مصممة ءانذاك على عدم السماح باستيلاء الاجنبي على اراضيها ، فان المناورات والمؤامرات التي كانت تحاك ضد المغرب



صورة الامير البرتغالي دون اين فيكى ايل نافيكانطى الذي قام فيوجه الاسبان فى القرن 15 الميـــلادي ومنع عليهم حتى الاصطياد فى شواطىء الصحـــراء المغربية الا ان تدخل البابا سيسكو الثالث فى ابرام معاهدة بين اسبانيا والبرتغال بآل كاسوباس يوم 4 شتنبر 1479 م وبمقتضى هذه الاتفاقيـــة اعترف لاسبانيا بحق التملك لجزر الكناريا واعترفت اسبانيا للبرتغال على ان ليس لها حق فى شاطىء الصحــراء المغربيـــة

صورة تجسم اللحظة التي امضيت فيها الاتفاقية المغر بية الاسبانيـــة بين الامير مولاي العباس والجنرال اوضونيل يوم 26 ابر يل عام 1860

من قبل الدول الاستعمارية لم تسمح للمولى عبد العزيز ولا لخلفه المولى عبد الحفيظ بالانتصار على التكتل الاستعماري البغيض لتقسيم المغرب والاستيلاء عليه .

كيف وقع احتلال الصحراء المغربية

يقول كرديروطريس فى كتابه المذكور : ان الشيء التاريخى الذى يميز المملكة المغربية عن المملكتين التلمسانية والجزئرية هو اجماع كلمة المغاربة حول العرش وتشبثهم به ورفض الخضوع لاية سيطرة اجنبية وذلك هو السبب فى صمود المخزن فى وجه اسبانيا وفرنسا من سنة 1902 1912 .

وبعد خروج العرب من البرتغال سنة 1250 ومن قشتيلا سنة 1492 شن البرتغال واسبانيا هجومات على الشواطىء الاطلسية المغربية ووقع نزاع بين المملكتين امكانوليكتين حول المغرب واتفقتا فى الاخير فى معاهد الكوباسا ALCOBAZA سنة 1480 م على ان يبسط البرتغال نفوذه على مملكة فاس تاركا الجزر الخالدة للاسبان ولكن الاسبانيين نكثوا عهدهم وهجموا على وادان وترودانت وماسة ودرعة وبنى (فرنديس دى لوكو) Fernandez de Lugo قاعا فى نون وقرب ابى نون وقرب ابى جدور فاحتج البرتغاليون واتفقوا مع الاسبان فى معاهدة طردسيس Tordesillas سنة 1494 على الرجوع للاصل وهو معاهدة الكوباسا ولم يلبث الطرفان ان نكثا عهدهما من جديد فاحتلت اسبانيا مليلية سنة 1494 والمرسى الكبير سنة 1504 واحتل البرتغاليون الصويرة (1506) وآسفى (1508) والجديدة (1509) التى كانت تسمى من قبل البريجية) فاشتد النزاع بين المملكتين الاستعماريتين واتفقتا اخيرا فى معاهدة سنترا Cintra سنة 1509 على تقسيم المملكة المغربية واعترف البرتغال للاسبان بحق احتلال منطقة سانتا كروس دى ماربيكينيا ، وبقى هذا الاحتلال الى سنة 1524 ثم لم يعثر المؤرخون بعد هذا التاريخ على اثر لهذه المنطقة الغامضة .

وقاومت الدولتان السعدية والعلوية الاحتلالين البرتغالى والاسبانى كما هو معروف فى التاريخ ومن سنة 1864 الى آخر القرن التاسع عشر كانت منطقة سوس منطقة شاسعة الاطراف خاضعة لادارة سيدى بيروك الذى كان بايع الملك سيدى محمد بن عبد الرحمن ثم مولاى الحسن الاول وباعتراف جميع المؤرخين فان سلطة سيدى بيروك امتدت الى ما وراء أبى جذور اى اقليم الترارزة وكان الانجليز والاسبان يعاملونه على انه المتصرف فى النواحي الصحراوية المسماة بعمالة سوس .

وعند وفاة الملك مولاى الحسن الاول كان المغرب يشتمل على 44 عمالة . منها 35 بفاس ومراكش ، وتسع بسوس وتافيلالت ، فكانت الصحراء المغربية من جملة العمالات وفى المعاهدة الاسبانية المغربية بتاريخ 28 ماى 1767 يعترف ملك المغرب للاسبان بحق انشاء مصنع بجنوب نهر نون ويبيح الكناريين والاسبانيين الصيد فى شمال سانتاكروس .

وسبب هذه المعاهدة هو كون الاسطلاندى كلاس Glaz نزل بمرسى خنيفيس فاراد الاسبان ان ينافسوه باعادة بناء ما كان من قبل بسانتاكروس Puerto Canzavo

وهناك غموض فى الخرائط القديمة حول وادى نون وسانتا كروس ، وجلها يضع نون قبالة الجزر الخالدة وسانتاكروس بالقرب من راس كير حيث كان يوجد من قبل مركز احتلال برتغالى .

وفى معاهدة فاتح مارس 1799 ينص الفصل 29 على اقفال ميناء سانتا كروس دى بربرية Santa Cruz de Berberia وينص الفصل 35 على حق الاسبان فى الصيد ابتداء من مرسى سانتا كروس دى بربرية .

وعند انتهاء الحرب الاسبانية المغربية سنة 1860 ارغم المغاربة على الاعتراف للاسبان بحق دائم فى الصيد فى منطقة واقعة على الشاطىء الاطلسى قرب سانتا كروس دى ماربيكنيس .

وفى معاهدة التجارة فى 2 ابريل 1862 يتعهد السلطان باستعمال سلطته لانقاذ الاسبانيين فى حالة غرقهم على الشاطىء المغربى فى تلك النواحى .

وفى سنة 1876 نزل الانجليزى ماكنزى Mackenzie بطرفاية وافد على الاسبانيين ما يطمعون فيه من استيلاء على الصحراء الغربية المغربية . واسس مصرفا تجاريا . فاتصلت الحكومة المغربية بالحكومة الانجليزية واعترفت



السلطان مولاي عبد العزيز وهو الذي زاره الشيخ ماء العينين خليفته بالصحراء سبع مرات ، أربعة منها بمراكش وثلاثة بفاس

الحكومة الانجليزية بالسيادة المغربية على ناحية طرفاية وتخلى ماكنزى عن مؤسسة سنة 1878 .

ورفض السلطان مولاى الحسن الاول محاولات كوهن سنة 1880 وكورتيس curtis سنة 1892 لانشاء مصارف اجنبية على الشواطىء الاطلسية الصحراوية . واعاد الكرة كورتيس سنة 1894 بدون جدوى . ووقعت محاولات اخرى بعد وفاة السلطان فى سنة 1897 و 1900 .

وفى شتنبر 1881 م وفبراير 1884 م استطاعت الشركة الكانارية الافريقية التجارية انشاء مصارف فى ما يسمى الان بوادى الذهب وفى الراس الابيض .

وفى تاسع مارس 1884 وقع اول هجوم لقبائل اولاد دليم على المصارف الاسبانية الاجنبية .

وفى ثالث نونبر من نفس السنة بنى التجار الاسبانيون دورا خشبية فى خليج وادى الذهب مدعين القيام باعمال تجارية محضة .

واشترى السلطان مولاى عبد العزيز فى سنة 1895 مؤسسة ما كنزى وارسل منها المواد اللازمة لبناء مدينة سجارة بواسطة ماء العينين كما راينا سابقا .

وكان الاسبانيون اعلنوا من تلقاء نفسهم حمايتهم على الشاطىء الصحراوى المغربى ابتداء من راس ابى جذور نحو الجنوب ، وذلك فى 26 دجنبر 1884 واعتبروا ما يسمونه بوادى الذهب مستعمرة لهم .

وفى 24 مارس 1887 وقع هجوم مسلح جديد من طرف المغاربة ضد مصرف الدخلة Villacisneros

وفى ثانى مارس 1892 نظم ايوب تلميذ الشيخ ماء العينين وفعل خاله القائد صالح ابن بيروك هجوما ضد الباخرتين التجاريتين (تريس دى ماى) و (لاس مارياس) .

وفى ثانى نونبر 1894 هجم من جديد اولاد دليم واولاد بوسبع والروسيون على مصرف شركة الترانزاتلانطية .

وفى 27 يونيه من سنة 1900 حددت فرنسا واسبانيا ممتلكاتهما الاستعمارية فى افريقيا الغربية .

تم شرع الفرنسيون والاسبان يقسمون المغرب فيما بينهم فكان مشروع المعاهدة الاسبانية الفرنسية سنة 1902 مدخلا تندوف فى منطقة الاحتلال الفرنسى ومعترفا لاسبانيا باحتلال ما هو بجنوب راس ابى جذور ، ومعترفا اذن بالسيادة المغربية على تندوف وعلى وصول منطقة سوس الى وادى الذهب التى احتلها الاسبان غصبا .

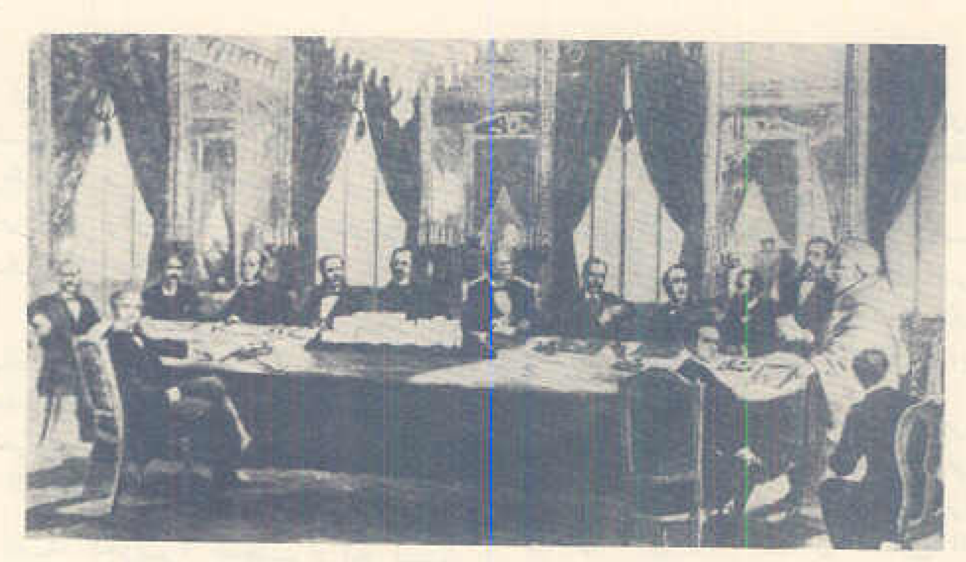
ولم تخرج معاهدة 1902 للوجود ولكن معاهدة 8 ابريل 1904 اعترفت لاسبانيا بحق احتلال منطقة سيدى افنى ومنطقة وادى الذهب تاركة الساقية الحمراء وطرفاية للمغرب ، ووقع كذلك اتفاق سرى ضد المغرب بين رئس جمهورية فرنسا وملك اسبانيا بتاريخ 3 اكتوبر 1904 يحدد المناطق الفرنسية والاسبانية ووقع اتفاق سري بين الدولتين الاسبانية والفرنسية بتاريخ فاتح شتنبر 1905 لتطبيق اتفاق 3 اكتوبر 1904 المشار اليه آنفا .

وهناك كذلك فصول سرية مضافة الى التصريح الفرنسى الانجليزى الموقع بتاريخ 8 ابريل 1904 حول اعتراف فرنسا لانجلترا بحق بسط نفوذها على مصر مقابل اعتراف انجلترا لفرنسا بنفس الحق فى المغرب ، وهذه الفصول تشمل الاعتراف لاسبانيا بالاستيلاء على بعض المناطق الصغيرة فى نواحى سبتة ومليلية .

ووقعت كذلك بباريس فى 3 اكتوبر 1904 معاهدة سرية بين فرنسا واسبانيا امضاها ديلكاسى وزير خارجية فرنسا وليون اى كاستيو سفير اسبانيا بباريس ، تصادق فيها اسبانيا على المعاهدة الفرنسية الانجليزية (8 ابريل 1904) وتضمن اسبانيا لنفسها منطقة نفوذ فى المغرب مع التصريح بتشبث اسبانيا بوحدة التراب المغربى تحت سيادة السلطان .

وبتاريخ فاتح شتنبر 1915 وقع اتفاق سرى بين اسبانيا وفرنسا بشأن تنفيذ المعاهدة السرية بتاريخ 3 اكتوبر 1904 .

وفى 8 يوليوز 1905 تبودلت تصريحات رسمية بباريس بين روفيى رئيس الحكومة الفرنسى ووزير الخارجية وبين الامير رادلين سفير المانيا فى المغرب حول تهيء مؤتمر الجزيرة الخضراء اكد فيه الموقعان مبدأ سيادة السلطان واستقلاله ومبدأ المحافظة على وحدة التراب المغربى .



معاهدة مدريد المبرمة سنة 1880 كانت بمثابة اول خطوة لتدويل قضية المغرب في الصورة نرى الممثل المغربي بركاش يحاول ان يرفع راس المغرب عاليـــا



وصول البعثة المغربية الى الجزيـــرة الخضـــراء للمشاركة فى المؤتمر الدولي الذي قرر تدويـــل قضية المغـــرب

وفى 7 ابريل 1906 وقعت بريطانيا العظمى والمانيا والنمسا ،والمجر ، واسبانيا والولايات المتحدة الامريكية وفرنسا وايطاليا والمغرب وهولاندا والبرتغال والروسيا والسويد واليابان على عقد الجزيرة الخضراء الذى يرتكز على المبادىء الثلاثة وهى :

اولا سيادة جلالة السلطان على المغرب
ثانيا وحدة التراب المغربى
ثالثا الحرية الاقتصادية بالمغرب بدون ميز بين الدول الموقعة .

واكد عقد الجزيرة الخضراء انه فى حالة نشوء خلاف حول المعاهدات او الاوفاق الدولية السابقة فان نصوص عقد الجزيرة الخضراء هى التى يرجع اليها .

ووقع حول المغرب اتفاق فرنسى ـ المانى بتاريخ 9 فبراير 1909 تمم باتفاق آخر فى 4 نوفمبر 1911 امضاه وزير خارجية المانيا كيدرلى وسفير فرنسا فى برلين جول كامبون ، تعترف فيه المانيا لفرنسا بحق بسط نفوذها الاقتصادى على المغرب وتصادق على الاوفاق الفرنسية الاسبانية المتعلقة بالمغرب وتؤكد بان المغرب يحتوي على جزء من افريقيا الشمالية الممتد بين الجزائر وافريقيا الغربية الفرنسية ومستعمرة وادى الذهب الاسبانية ، ونستفيد من هذا الاتفاق اولا ان المانيا وفرنسا تعتبران فى سنة 1911 الصحراء الاطلسية ما فوق راس ابى الجذور مغربية وكذلك ما يسمى بموريطانيا ابتداء من الداخلة ، وثانيا ان وادى الذهب ليس جزءا من اسبانيا بل هو مستعمرة لها بمعنى ان وادى الذهب مغرب وان اسبانيا استولت عليه واحتلته كما احتلت فرنسا الجزائر وكما احتلت البرتغال غينيا بيساو .

وفى 30 مارس 1912 وقع السلطان مولاى عبد الحفيظ على معاهدة الحماية الفرنسية للمغرب ثم نفذ الفرنسيون اتفاقهم مع الاسبان فسمحوا لهم ببسط حمايتهم على المنطقة الشمالية وجعلوا عاصمتها تطوان ونصبوا فيها خليفة لجلالة الملك ولم يقبل المغاربة التقسيم بين فرنسا واسبانيا فقامت ثورة عبد الكريم الخطابى المشهور فى سنة 1921 ووقعت الانتصارات الباهرة للجيوش المغربية وبعد تكتل الاسبانيين والفرنسيين ووحدات عسكرية امريكية متطوعة غلب عبد الكريم ونفي الى مدغشقر ثم جزيرة لاربنيون ولكن قبائل المنطقة الجنوبية والصحراء تابعت مقاومتها ، ومرت اثنتان وعشرون سنة قبل ان تستطيع الجيوش الاسبانية الارساء فى ارض صحراء المغرب بسيدى افنى وبناحية العيون ، باعانة من جيوش الاحتلال الفرنسية ، بعد ان احتل الفرنسيون ناحية اكادير .

ومن المعلوم ان الجنرال الفرنسي هورى général Hure قاد آخر معركة فرنسية لاحتلال المغرب وبدأ هجومه فى 23 فبراير 1934 . واحتل فى 16 مای من نفس السنة ناحية كردوس التي كان يقطن به الزعيم المقاوم مربيه ربه ، اخو الهبة الزعيم المقاوم الآخر ابن ماء العينين وافلت مربيه ربه ووصل الى طرفاية وبايعه القائد الشيخ ابو القاسم الانجارى .

وفى فاتح ابريل وصلت جيوش الجنرال الفرنسى ترانكى TRINQUET إلى تندوف ، وفى بئر الكردان اتصلت جيوش فرنسا الآتية من شمال المغرب بجيوش فرنسا الآتية من الجزائر والجيوش الآتية من السنغال وفى 16 دجنبر وقع وصل القوات الثلاثية فى عيو ن عبد المالك .

وكان فى سنة 1930 أسس ما يسمى بالقيادة العسكرية الفرنسية للتخوم الجزائرية المغربية واسندت قيادته للجنرال جيرو général Giraud

وفى 6 ابريل 1934 نزل الاسبانى كاباص بسيدي ايفني بعد ان تم احتلال الناحية من لدن السلطات العسكرية الفرنسية واعترف الفرنسيون للاسبان بمنطقة احتلالهم فى اجتماع وقع بالرباط بين لجنتين فرنسية واسبانية فى 19 يَنيه 1934 . ومنذ ذلك الحين وقع تجزيء المغرب الى بريسيوديوس سبتة ومليلية وجزر راس الماء (الزعفرية) وحجرة النكر . على الشاطىء المتوسط والى منطقة سيدى افنى وحماية طرفاية والعيون ، ومستعمرة وادى الذهب على الشاطىء الاطلسي وكل ذلك طبعا تقسيم استعمارى محض تم فى غياب المعنيين بالامر قبل كل احد اى المغاربة .

وقام الجنرال فرانكو فى 1936 بثورته التاريخية لانتشال بلاده من قبضة الشيوعيين الذين كانوا يكادون يسيطرون عليها وبدات ثورثهم من



جلسة من جلسات المؤتمر عام 1906 وبمقتضى العقد النهائي المؤرخ بـ 7 ابريل من نفس السنة الذي امتنع المغاربة من حضوره لانهم كانوا يرون فيه القضـــاء على استقلال البلاد



ممثل المغرب فى مؤتمر الجزيرة الخضراء
الحـــاج محمد الطريس نائب السلطان بطنجة

الجزر الخالدة ومن المنطقة المغربية الشمالية الواقعة تحت النفوذ الاسباني وساعده المغاربة اكبر مساعدة في ثورته وبفضلهم انتصرت جيوشه ودخلت مدريد في صيف 1939 ، اى قبل الحرب العظمى الثانية باسابيع ، وعند انهزام فرنسا في 1940 استغل المناسبة الجنرال فرانكو فادخل جيوشه لطنجة وضمها لمنطقته وبعد انتهاء الحرب سنة 1945 وقع جلاء الجيوش الاسبانية عن طنجة .

وفي 20 يليه 1946 اتخذت الحكومة الاسبانية قرارا بانشاء قسم يسمى قسم افريقيا الغربية الاسبانية تابع مباشرة لرئاسة الحكومة ويتكون من من سيدي افني وما يسمى بالصحراء الاسبانية اى الساقية الحمراء ووادى الذهب .

اما الشعب المغربي في منطقة الحماية الفرنسية التي كانت تمتد من وجدة الى جنوب تندوف التابعة لعمالة اكادير وفي شنقيط التي اعلن الفرنسيون استعمارهم لها وفي طنجة التي كان لها نظام حماية دولية تتزعمه فرنسا واسبانيا . وفي سبتة ومليلية وجزر راس الماء وحجرة النكر وفي مستعمرة سيدي افني وحماية طرفاية وناحية الساقية الحمراء التي كان الاسبان يسمونها ناحية احتلال عسكرى . ووداى الذهب الذى يسمونه مستعمرة اسبانيا . فقد بقي متحدا حول العرش العلوى وكانت صلاة الجمعة تقام باسم جلالة السلطان مولاى عبد الحفيظ ثم جلالة السلطان مولاى يوسف ثم جلالة السلطان سيدى محمد بن يوسف . وكانت الحركة الوطنية موحدة بين جميع الاجزاء المغربية سواء منها الواقعة تحت هيمنة فرنسا او سيطرة اسبانيا او ادارة الدول المشتركة بمنطقة طنجة ، وكان خليفة السلطان بتطوان يمثل جلالة السلطان بمنطقة النفوذ الاسباني ومندوب بطنجة يمثل جلالته ويمثل السيادة المغربية .

وفي ابريل من سنة 1947 قام جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله ورضى عنه برحلته الشهيرة لطنجة عبر منطقة الشمال المحتلة اذ ذاك من طرف الاسبانيين واستقبله خليفته بالمنطقة الشمالية عندما دخل القطار الملكى هذه المنطقة وهب الشعب المغربي من جميع انحاء المنطقة ليهتف بحياة الملك وباستقلال المغرب ووحدة ترابه وصرح جلالة المغفور له محمد الخامس آنذاك باصيلا للصحفيين بان نظام الحمايتين في الشمال والجنوب لا يمنع من كون المغرب بلدا واحدا كما صرح في طنجة بان المغرب بلد عربي اسلامي يجب ان يستقبل ويتوحد ويكون عضوا في جامعة الدول العربية .

وفي غشت 1953 اعتدى الاستعمار الفرنسي على شخص جلالة الملك محمد الخامس وولي عهده الامير مولاي الحسن وبقية اعضاء عائلته ونفاهم الى جزيرة كرسيكا ثم الى مدغشكر فنظم الوطنيون المغاربة – باتفاق وتنسيق مع صاحب الجلالة – حركة المقاومة المسلحة ووجدوا في السلطات الاسبانية بتطوان وعلى راسها الجنرال رافايل غارسيا فالينيو ومدريد وعلى راسها الزعيم الجنرال فرانكو – وجدوا تفهما وعطفا واعانة وكان موقف الاسبانيين من المقاومة المغربية موقفا حبيا وجوابا للموقف الذى وقفه المغاربة مع الجنرال فرانكو في ثورته من سنة 1936 الى 1939 .

وكان المقاومون المغاربة اتفقوا مع فرانكو وفالينيو على مبدا طرد الفرنسيين المستعمرين للمغرب ، ثم اعلان استقلال المناطق المحتلة من لدن اسبانيا وتوحيد جميع اجزاء المغرب وربط علاقات صداقة وود متينة بين المغرب المستقل واسبانيا المستقلة على اساس المساواة والمصالح المشتركة ، ولما كان فالينيو يسال ممثل المقاومة المغربية عن موقف المغرب من سبتة ومليلية كان الجواب دائما : ان موقف المغرب من سبتة ومليلية هو موقف اسبانيا من جبل طارق .

وكان المقاومون المغاربة تعهدوا للسلطات الاسبانية بضمان الامن الداخلي في كل المناطق الواقعة تحت النفوذ الاسباني سواء منها الشمالية او الجنوبية .

وفي ابريل 1956 زار جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله لاول مرة مدريد زيارة رسمية بعد رجوعه من المنفى واعتراف فرنسا في ثاني مارس 1956 بنهاية الحماية الفرنسية وكان مصحوبا باعضاء حكومته ووقعت المفاوضات بين الحكومتين المغربية والاسبانية حول انهاء الاستعمار الاسباني في المغرب . وكان الاستقبال الاسباني لجلالة الملك حارا ووديا للغاية ولكن المفاوضات طالت وتشعب امرها واضطر ممثل المقاومة المغربية للتدخل لدى ارطاخو

وزير الخارجية الاسباني آنذاك وكان الاسبانيون يريدون الاكتفاء باعلان انتهاء حمايتهم على المنطقة الشمالية باستثناء مدن البحر الابيض المتوسط وباستثناء سيدي افني والنواحي الجنوبية .

وكادت المفاوضات تفشل وينقلب الامر الى كفاح مسلح بين صديقين قديمين وشعبين تجمعهما صلات التاريخ والجغرافية والمصالح المشتركة .

وانتهى الامر بتصريح مبهم يعلن انتهاء نظام الحماية ولكن جلالة الملك والمتفاوضين من اعضاء حكومته اصروا على التدقيق بان المغرب يطالب باسترجاع جميع اجزاءه المحتلة من لدن اسبانيا .

واعترفت اسبانيا باستقلال المغرب ووحدة ترابه ووقع التبادل الدبلوماسي بين الدولتين والغيت الحدود الاصطناعية التي كانت تفصل بين المنطقتين الفرنسية والاسبانية وكذلك بين منطقة طنجة والمنطقة الاسبانية . ومرت سنة 1956 وجزء كبير من سنة 1957 ودون ان يحرك الاسبانيون ساكنا او يعيروا انتباها الى مطالب المغرب ملكا وحكومة وشعبا المتعلقة بجلاء الاسبان عن الاراضي والمدن التي يحتلونها غصبا وبدون مبرر .

وكان جيش التحرير الذي بدا اعماله المظفرة يوم فاتح اكتوبر 1955 قد تابع اعماله التحريرية في الصحراء الجنوبية المحتلة من لدن فرنسا . وكان من بين اعضائه جماعات من قبيلة آيت باعمران فشنوا هجوما عنيفا على قاعدة سيدي افني في خريف 1957 وقام الجيش والطيران الاسبانيان بقمع عنيف .

وكانت الحكومة المغربية اظهرت اهتمامها بصحرائها المغتصبة فاسست بوزارة الداخلية بالرباط ادارة خاصة اسمتها ادارة شؤون الصحراء واسندتها الى احد المقاومين البارزين . ثم تطورت الادارة الى وزارة بعد وصول وفود عديدة بالآلاف من الصحراء المغربية الخاضعة للنفوذ الفرنسي او للنفوذ الاسباني .

وانتهت ثورة آيت باعمران بجلاء الاسبان عن منطقة سيدي افني ماعدا الميناء وعن اعترافهم بانتهاء احتلالهم لعمالة طرفاية وفي ربيع سنة 1958 استلم مدير شؤون الصحراء باسم جلالة الملك مدينة طرفاية من الحكم العسكري الاسباني .

واطلعت الراية المغربية تحت زغاريد النساء وهتافات الجماهير وسلمت القيادة العسكرية للناحية الى الجيش المغربي .

ومنذ سنة 1958 ما فتيء المغرب يطالب صديقته اسبانيا بالجلاء عن باقي التراب المغربي المحتل من طرف جيوشها .

وفي سنة 1966 فكرت اسبانيا ــ امام ضغط الراي العام العالمي ــ في حيلة لا بقاء نفوذها على الصحراء المغربية فاوعزت الى بعض عملائها في الامم المتحدة فكرة تنظيم استفتاء في الصحراء تحت مراقبة هياة الامم المتحدة .

وقبل جلالة الملك هذا الاقتراح حرصا منه ــ نصره الله ــ على سمعة المغرب ولكي لا يقال ان المغرب دولة مستعمرة وانها تريد الاستيلاء على جيرانها وايضا لان جلالته يعلم علم اليقين ان سكان العيون او الداخلة هم مغاربة مثل سكان طنجة او الدار البيضاء . واذا ما سئلوا ــ وكانت لهم حرية تامة في ابداء نظرهم ــ هل يريدون الرجوع الى حظيرة الوطن او بقائهم تحت النير الاستعماري الغاشم . فهم لاريب سيعرفون عن رغبتهم الاجتماعية في الرجوع لاصلهم . لذلك قبل المغرب مبدا الاستفتاء وربط قبوله بشروط منها جلاء القوات الاسبانية سلفا عن الصحراء حتى لا يقع ضغط على المصوتين . ومنها مراقبة امية . ومنها السماح للمغرب بان يبين للشعب الحقيقة . ومنها عدم التلميح الى استقلال الصحراء لان الصحراء جزء من المغرب . فاذا سمحنا للصحراويين بالاستقلال عن المغرب . فلم لا نسمح اذن للشعب الباسكي او للشعب الكاطلاني بالاستقلال عن اسبانيا ؟

وتماطلت اسبانيا في حل قضية الصحراء ولكن قلاقل في سيدي افني ومصالح الصيد المشترك بين اسبانيا والمغرب جعلت الاسبانيين في الاخير ينسحبون من ميناء سيدي افني في سنة 1969 .

وبقيت مسالة مصير الساقية الحمراء ووادي الذهب وسبتة ومليلية وما اليهما معلقة .

وان المغرب مصمم العزم على تحرير نفسه . وهو لا يرفض المفاوضات والاستشارات والاتصالات ولكنه لا يرضخ للتهديدات وما النصر الا من عند الله .

عبد الكبير المهدي الفاسي

للحقيقة
والتاريخ



وثيقة تجديد بيعة شمال المغرب التاريخية

للأستاذ محمد الطنجي

نثبت في هذه الصفحة وثيقــة تاريخية هي تجديد شمال المغرب لبيعة بطل المغرب ورائد استقلاله امير المومنين المرحوم المقدس مولانا محمد الخامس اسكنه الله فسيح جناته التي امضاها كبار الوطنيين بالشمال وجماهير اعيانه وتتضمن هذه البيعة الجديدة الرد على عمــلاء الاستعمار الخارجين على امامته الشرعية وقد جدد هذه البيعة وقت محنة المغرب الكبرى من الاستعمار واعوانه وعملائـه ازاء مواقف بطل المغرب الخالدة والمؤامرة على شخصه العظيم التي انتهت بمحنة عشري غشت 1953 وقيام ابطال الفداء والاستقلال الذي ينعم المغرب العظيــم في ظلــه .

وقد انشا هذه البيعة الاستاذ السيد محمد الطنجي باتفاق مع زعيم الشمال المرحوم الاستاذ السيد عبد الخالق الطريس وامضاها كبار الوطنيين وجماهيـر اعيان مدن الشمال وان امتنع عمــلاء الاستعمار من امضائها حتى بعض الــوزراء خوفا على مناصبهم حيــث كان عملاء الاستعمار يبثون الشكوك في نفوس المواطنين من الحركة الوطنية ومصير أهلها وقــد انتسخت هذه البيعة من وثيقتها الاصلية التي اخذت لها هذه الصورة مع امضــاءات الموقعين عليها .

الحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه

الى سـدة الجناب الكريم ، والمقام العالي بالله، عبد الله الخاضع لجلال ربوبيته ، أمير المومنين ، محيي سيرة السـلف الصالحين ، من بواه الله عرش الامة المغربية الكريمة، وبسـط نفوذه بالامامة الشرعية المستديمة ، واقر عين البيت العلوي المجيد ببيعته العامة العظيمة ، الحاصلة من اهل الحل والعقد عن نظر واختيار ، وجدارة واستحقاق ، صاحب العرش المفدى سلطان المغرب الاقصى سيدنـــا ومولانـــا محمد بن المنعم المقدس مولانا يوسف العلوي العظيم نصركم الله وايدكم وملأ القلوب بمحبتكـــم ، وادام جميع الرعية على ولائكم وطاعتكم ، سلاما كريما يدوم

[illegible]

ويستمر عظيما ، يتأكد ويتجدد ، وطاعة دائمة عامة تربط جميع القلوب بسلطانها وامامها المحبوب ، ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير سيدنا نصره الله،

وبعد : فان رعيتكم بشمال المغرب الاقصى المنضوي بجميع مناطقه واجزائه تحت رايتكم المنصورة بالله ، والذي يمثلكم فيه سليل البيت العلوي النبيل خليفتكم المفوض الاكرم ، الامير صاحب السمو الملكي مولانا الحسن بن المقدس مولانا المهدي ايده الله تحمد الله على سلامتكم من الحادث العرضي الذي الم بكم ، وتغتنم هذه الفرصة لتعرب لجلالتكم عن اعتباطها بسلامتكم ، وعن اطيب تمنياتها نحو شخصكم الكريم المفدى وجميع افراد البيت العلوي الكريم كما تحمد الله على ان وفق الامة المغربية لاختيار جنابكم اماما وبواكم عرش مملكتها سلطانا شرعيا هماما ، صرتم راعيها الامين وزعيم قيادتها للنصر المبين ، وما زادتها الكفاءة النادرة التي اظهرتموها ، والمواقف الخالدة التي وقفتموها، والنهضة الشاملة التي بعثتموها ، والوعي القومي الذي احييتموه ما زادها كل ذلك الا تقديرا لعملكم العظيم ، وتأييدا لسلوككم الكريم ، وتفانيا فى ولائكم وطاعتكم ، وتمسكا ببيعتكم الشرعية وامامتكم ، فان بيعتكم الشرعية لا تنفصم عراها وانتم الاوفياء المخلصون ، ولا تقبل الجدل والبحث وانتم بحمد الله على الوفاء بالعهود محافظون ، وعلى مصالح الامة والملة ساهرون وقد اعتبرت جميع الشعوب امامتكم الشرعية لشعبكم الوفي المخلص فيها ، فقامت حكومات وشعوب تؤيد مواقفكم الحاسمة فى ظروف رغبة التحرر العصيبة القول والعمل ، بالاحتجاجات الصارخة على من يعارض رغبتكم ورغبة شعبكم ، وبالمظاهرات المتوالية العظيمة فى مختلف اقطار الاسلام تعزيزا لكم وتأييدا ، فكان ذلك اجماعا عاما شاملا من خواص الامم الاسلامية ، وعموم شعوبها على انكم احق بالامامة واهلها ، ولا يصدق على من نازعكم الامر بعد هذا الا قول الرسول عليه السلام ، من فارق الجماعة شبرا فكانما خلع ربقة الاسلام من عنقه ، وقوله من خلع يدا من طاعة لقي الله ولا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية .

وانا نصارحكم يا مولانا بان بيعتكم الشرعية لا زالت فى سويداء القلوب محفوظة مرعية لم تبل حتى تحتاج الى تجديد ولم تحم حولها افكار الزائغين حتى تتزعزع او تفتقر لتوطيد ، ولكنا سمعنا جماعة لم تذكر فى غير سياق من الجور والشعوذة والمكر خافت على نفسها من وقوفكم مع الحق الذي دام عندها مهضوما ، ونصركم للشعب الذي عاش بيدها مظلوما ، تندحر وتنكسر فقامت تعتمد على الاجانب وتراوغ مراوغة الثعالب ، تدعي نيابتها عن الشعب ، والله يعلم والامة تشهد ان هذا القول كاذب بل هي لا تنوب الا عن بطونها وجيوبها ، تتآمر فى الظلام وتروم ، لا حقق الله لها مرامات ان تفسخ بيعة من اتخذته الامة بالاجماع اماما ، واننا نعلن التبرىء من عمل تلك الجماعة ، ونقر لامير المومنين مولانا محمد الخامس بالسمع والطاعة ، ونمتثل فيكم قول الله العظيم « يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » ، ونجدد بيعتكم على كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام ، وعلى ما بايع عليه الصحابة النبي عليه السلام كما فى صحيح البخاري — عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعنا فكان فيما اخذ علينا ان بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا واثرة علينا وان لا ننازع الامر اهله ، الا ان تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان ، ونعلن لكم ان الامة المغربية ترى فيكم جميع شروط الامامة الشرعية متوفرة ، وتراكم قائمين بجميع ما تحملتم من امانة كبرى ، ومسؤولية عظمى فوق الطاقة البشرية ، وتقدر مكافحتكم فى سبيل سعادة المغرب وحريته واستقلاله، والله المسؤول ان يحفظكم ذخرا للملة والامة وان ينيل المغرب بفضل امامتكم ، وحسن سياستكم ، ونبل مقاصدكم ، ويمن زعامتكم المولوية والموفقة كل ما يصبوا اليه من عز وسيادة ، ورقي وسعادة ، انه نعم المولى ونعم النصير .

تطوان فى 15 شعبان الابرك عام 1372 موافق 29 ابريل 1953

الامضاءات :



من أسباب تخلف المجتمع الإسلامي

في نظر بعض المستشرقين

للأستاذ محمد محي الدين المشرفي

الذين يعودون الى تاريخ الشعوب الاسلامية ليروا ما حققته من رقي مدهش وتقدم مرموق في فترة جد قصيرة من الزمان قبل ان يؤول امرها الى ما اصبحت عليه من ركود وانحطاط يدركون تمام الادراك ان السبب الاول في نهضة المسلمين وتقدمهم على غيرهم من الامم والشعوب هو نتيجة للثورة العارمة التي اعلنها النبي محمد صلى الله عليه وسلم على مجتمع عربي فاسد حملت العرب بعدها على التمسك بالدين الحق والتخلق بالاخلاق السامية التي تفجر بها القرءان الكريم ؛ ومن ثم انطلق المسلمون يضربون اكباد الابل في كل جهة من جهات المعمور ، ينشرون العدل بين الناس ويدعونهم الى الخير والاحسان ، حاملين اياهم على العمل والخلق بايمان ثابت الاصول ؛ ومن اجل ذلك نصرهم الله ومكنهم في الارض بما لم يمكن غيرهم من الشعوب والامم ، وعد الله الذي وعد به عباده المتقين ، حيث قال : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » فانتشرت لغتهم بين الامصار ، واقاموا لهم صرحا شامخا من الحضارة تشهد بأصالتها مدن كثيرة كالقاهرة ودمشق ، وحلب ، واصبهان ، وقرطبة ، واشبيلية ، وغرناطة ، والقيروان ، وفاس ، وتلمسان ، وغيرها من مراكز الحضارة الاسلامية ؛ فذاع صيتهم وعمت حضارتهم ، وانتشرت في الشرق والغرب طالما ظلوا معتمدين على الله ، مخلصين له وللرسول عاملين بتعاليم الدين القويم ؛ فلما حادوا عن المنهاج السوي واستأنسوا بحياة البذخ والكسل ، دخلهم الخوف والجبن ، واستسلموا للجهل متواكلين ؛ فتحجرت قلوبهم ، واخذوا بالانحطاط في كل ناحية من نواحي حياتهم الى ان وقعوا طعمة في ايدي المستعمرين الغاشمين ؛ وما كان الله ليهديهم أو يأتيهم بنصر من عنده وهم عن دعائه معرضون ؛ « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ؛ يستخلص اذن مما سبق ان اسباب نهضة المسلمين واضحة بينة لا ينكرها الا مكابر أو جحود ؛ وهي تكمن اساسيا في تشبثهم بمكارم الاخلاق التي دعا اليها القرآن الكريم بحيث كلما انقطعت بهم هذه الاسباب الا وزلت بهم القدم ، واخذوا في التقهقر والانحطاط، « سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

— * —

بالاضافة الى هذا كله فقد وجهت جماعة من علماء الاستشراق عناية خاصة للوقوف على أسباب وعوامل اخرى كانت في نظرهم من العوامل الرئيسية التي عاقت المسلمين عن متابعة السير والاخذ بالحضارة العصرية على اوسع نطاق ؛ وهؤلاء المستشرقون ينتمون الى طائفتين متباينتي الاغراض والاهداف : اما الطائفة الاولى فتتألف من جماعة تكن العداوة والبغضاء للاسلام والمسلمين بصورة مسبقة

ان صح هذا التعبير ؛ نذكر منهم على سبيل المثال « دوكاستري (De Castries) ، وروبير مونطاني (R. Montagne) ولوبنياك (Loubignac) والفريد بيل (A. Bel) ولوي برينو (L. Brunot) الذي جثم على صدر المديرية العامة للمعارف والفنون الجميلة بالمغرب مدة لا تقل عن ربع قرن ؛ ومعظم البحوث التي كانوا يقومون بها والتي كان يساعدهم على اتمامها بكل اسف بعض عملاء الاستعمار كانت مرتبطة بمخطط استعماري واضح الاهداف ، من ورائه التعرف على أسرار اللغة العربية وآدابها وتسجيل اخلاق المسلمين وعوائدهم ، لا محبة فيهم . والاستنارة ببريق حضارة عربية اسلامية لم يسبق لهم ان تعرفوا عليها من قبل ؛ ولكن كانوا يقومون بتلك الجهود تمهيدا للتسلط على الشعوب الاسلامية التي أفل نجمها وقل نصيرها ، ثم الاستيلاء على خيرات بلادها ؛ هؤلاء المستشرقون اذا ما قرات لهم ما يكتبون او جمعتك بهم الاقدار فصاروا يتحدثون اليك عن اسباب تقهقر المسلمين وتاخرهم حاولوا ما استطاعوا ان يقنعوك بحجج تبدوا انها واضحة البيان ، مفادها ان الجمود الذي طرا على جماعة المسلمين عامة يعود قبل كل شيء الى تشبثهم بديانة أصبحت لا تترك لهم مجالا للعمل المنتج المفيد ، ناسين ان تمسك المسلمين الاولين بتعاليم هذا الدين الحنيف والعمل به هو الذي مكنهم من الاستيلاء على ربع الكرة الارضية فى اقل من خمسين سنة ، وجعلهم يبنون حضارة مشرقة هي التي كرع منها الاربيون ؛ فكانت بالنسبة اليهم نقطة الانطلاق ابتداء من القرن السابع عشر الميلادي؛ ولكنها خطة ميتة تلك التي سار عليها هؤلاء المستشرقون المضللون وهي ما سماه احد الادباء المغاربة بالتضليل المسق .

الا ان الامانة فى الرواية تحملنا على القول بان هناك مبادرات فردية نزيهة فى هذا الميدان ، قام بها مستشرقون آخرون ينعتون بالصدق وحصافة الرأى من أمثال بلاشير (Blachère) ولاووست (Laoust) وليفي بروفانصال (Lévy Provençal) وكاهين (Cahen) وكولميي (Gaulmier) ؛ هؤلاء قاموا بأبحاث قيمة يشهد لهم التاريخ باصالتها للتعرف عن الاسباب اللغوية والسياسية والاقتصادية التي ادت الى تقهقر المجتمع الاسلامي وتحجر اللغة العربية خاصة خلال الفترة التي نسميها بعصر الانحطاط ؛ ولقد مكنتهم هذه البحوث التي اجريت عن نية حسنة الى الادلاء بمجموعة من الملاحظات تتصل بالعراقيل والعقبات التي صدت اللغة العربية مثلا عن القيام بدورها الفعال وتحريك المجتمع العربي والاسلامي المتحجر نتيجة ما أصاب المتكلمين بالعربية من ضعف وانحلال لغوي .

— * —

من اين للمسلمين هذا الجمود الفكري وهذا التقاعس عن العمل المنتج الفعال ؟ سؤال نترك الاجابة عنه لهذه الطبقة الثانية من المستشرقين الذين يؤكدون أن الامر يتعلق — كما يظهر ذلك من بقية هذا البحث — بعوامل مختلفة تتصل اساسيا بعبقرية اللغة العربية نفسها ، كما تتصل بالنظام الاجتماعي والسياسي الذي تعيش عليه طائفة كبرى من المسلمين ؛ تلك الاسباب التي سنعددها بعد قليل مع ما يقتضيه المقام من التحفظ والاحتياط هي التي ادت فى نظرهم الى تحجر الحياة الفكرية واللغوية على الاخص فى البلاد العربية الاسلامية .

ويعتقد هؤلاء العلماء — عن حق أو بدون حق — ان كمال اللغة العربية كما فصلت تفصيلا فى القرءان الكريم والفصاحة التي طبعت آياته الكبرى كل ذلك من العوامل التي بهرت عقول العرب الاولين بما جاء به القرآن من سحر وبيان ؛ فاعجزهم عن محاولة الاتيان بمثله ، وعاق بالتالي علماء اللغة عن اغناء العربية بما يمكنها من الاستمرار فى التقدم والتطور، تطورا يجعلها لا تتخلف عن ركب اللغات الحية الاخرى ؛ بل يضيف علماء الاستشراق الى ذلك — ولا ادري الى اي حد يمكن الموافقة على ما يقولون — ان العجز الذي اصاب اللغويين كان ايضا من حظ الفقهاء والمتكلمين الذين لم يأتوا باحسن مما جاء به القرآن والحديث من احكام وقوانين تشريعية تعتبر آية فى الدقة .

وهناك عامل اساسي كان له الدور الفعال فى تقهقر اللغة هو ذلك النوع من الاستسلام او الخضوع الذي يلاحظ فى الجماعات الاسلامية تجاه حوادث معينة ، حملت المسلمين على الاعتقاد بانها نتيجة

للقضاء والقدر ، لا سبيل الى الفرار منها ؛ هذا النوع من الاستسلام هو الذي ادى بطبيعة الحال ، في نظر هؤلاء المستشرقين ، الى نوع من التحجر الذهني تبعا للرضى بالامر الواقع الذي لا يرتفع ، ومنعهم من البحث عما يغني اللغة العربية بشتى وسائل العمل والتفكير ؛ بل يزيد اولئك الذين يعيبون علينا هذه العقلية المتحجرة انه حتى عندما كانت المجتمعات الاسلامية تتمتع بنوع من التقدم من الوجهة الاقتصادية ، كان من نتيجة هذه العقلية الجامدة ان عاقت المشتغلين في ميدان الصناعة عن البحث عن وسائل جديدة ترقى بالمجتمع الذي ينتمون اليه ؛ فانظر مثلا الى الوضع الاقتصادي الذي كانت تعيش عليه المدن المغربية كفاس مثلا تجد هناك مجموعة من الصناع اوضح ما يوصفون به هو ذلك الرضى بالحالة الاقتصادية التي كانوا يتمتعون بها ؛ كانوا يربحون اقواتهم من صنع يدهم كما انهم كانوا يستخدمون ما كان بيدهم من ادوات وآلات لصنع عدد من الاشياء التي كانت تتوقف عليها حياتهم اليومية ، وذلك حسب اسلوب رتيب وروتين لم يكونوا ليقلعوا عنهما بسهولة ؛ ومن ثم لم تحدثهم انفسهم في يوم من الايام بالتفكير في وسيلة تمكنهم من احداث آلة ارقى من التي كانوا يستخدمونها ، وتعينهم على صنع ادوات احسن واكثر عددا من التي كانوا يصنعونها ؛ بينما كانت الجماعات الاوربية في ذلك العصر بالذات تعيش هي الاخرى في وضع اجتماعي وجغرافي مماثل للوضع الذي كنا نعيش فيه ؛ بل ربما كانت تلك الجماعات متأخرة متخلفة بالنسبة للمجتمع المغربي كما كان يظهر ذلك في العواصم الاسلامية عامة خلال القرون الوسطى ؛ الا ان الصانع الاوربي كان في ذلك الوقت يشعر بضرورة المثابرة على العمل المفيد ، ويتوق الى سلوك احسن الطرق واقربها لتحسين المنتوجات الصناعية التي كانت تخرج من يده كما كان يشعر دائما بنوع من الفضول ويخضع لتساؤلات لا يستطيع ان يتملص منها ، هي التي كانت تحوم في ذهنه حول ما يشاهده من احداث ومظاهر طبيعية تثير انتباهه احب أم كره؛ والملاحظ انه كان يعمل فكره في كل ما يشاهده من حوله بغية معرفة الاسباب الدافعة الى حصول حوادث معينة ؛ ولا شك ان هذا الفضول هو الذي حمل « دوني بابان » (Denis Papin) وكولمبي يركز انتباهه في ارتفاع غطاء القدر نتيجة تصاعد قوة البخار ؛ وقد يكون الحادث المذكور بسيطا في حد ذاته ؛ ولكنه على أي حال كان نقطة انطلاق ابتدا منها تطور العالم بأسره تطورا مدهشا ؛ فنحن لا ننكر ان آلافا من الاشخاص سبق لهم بالتأكيد قبل «دوني بابان» أن شهدوا غطاء القدر يتحرك في صعود وهبوط ؛ ولكن من المؤكد أيضا أنه لم يتفطن واحد منهم من قبل الى استغلال هذه الظاهرة الطبيعية البسيطة حتى طلع علينا القرن السابع عشر ؛ فكان ذلك التحول العميق في سير الحضارة العصرية من حظ عامل بسيط ، له ضمير حي متوقد وارادة تستطيع أن تهز الجبال ؛ ذلك ان ذوي الضمائر الحية هم الذين يوصفون بما يسمونه بالعقلية الصناعية والعقلية الصناعية هي وحدها التي تستطيع ان تدفع بعجلة التقدم الى الامام .

هذا ، ويقول المستشرقون الذين سبق لهم ان تعمقوا في دراسة أسباب التقهقر الذي تشكو منه اللغة العربية اليوم ، ان نوع النظام السياسي قد يكون له اثر في انتشار اللغة العربية واشعاعها ؛ ويعللون ذلك بقولهم انه اذا كان النظام ارستقراطيا فان الامة تكون اذ ذاك تعيش داخل جمعات صغيرة مستقلة بعضها عن بعض بحكم الفوارق التي تفصلها عن بقية الشعب ؛ ولا بد لهذه الجماعات الصغرى من أن تستعمل لغة خاصة قليلة الشيوع ، ومفردات وتراكيب لا تقوى بالتالي على الانتشار ؛ فتبقى اللغة محبوسة الانفاس ، ان صح هذا التعبير ، في دائرة خاصة ؛ في حين ان النظام الديمقراطي يعين بالطبع على ذيوع اللغة بحكم استعمالها من طرف السواد الاعظم من الامة ؛ وفي هذا ما يضمن حياتها وبقاءها ؛ وهذا الرواج الذي يحدث داخل جماعات لا تفصلها حواجز عنصرية عن بعضها لا يضمن للغة امكانية الانتشار والذيوع فحسب ، بل يمهد لها سبيل الاستقرار في الاذهان ؛ ومما يلاحظ في هذا المقام ان النظام الديمقراطي لا يبقي الا على الالفاظ والكلمات التي يتقبلها الذوق السليم من طرف السواد الاعظم من الامة ؛ اما الالفاظ التي تمجها الاسماع فانها تضمحل بسرعة وتتبدد مع الرياح الاربع حتى ولو وضعت من طرف فطاحل العلماء ، وعباقرة اللغويين ؛ يضاف الى ما سبق ان النظام الديمقراطي يعطي المسؤولين فرصة توزيع الارزاق بالتساوي على افراد الجماعات بحسب قدرتهم على العمل والانتاج في وسط غني بالمواد والمقومات الحضارية التي جاءت بها الحياة

العصرية ؛ أو قل ان احببت ، ان النظام الديمقراطي يساعد معظم المواطنين على التمتع بهذه المقومات الحضارية التي تتمثل في الاشياء والادوات التي نستخدمها يوميا ، كما يعطيهم فرصة استعمال الالفاظ والتراكيب الدالة عليها ؛ فتروج اللغة تبعا لذلك وتصبح شائعة بين المتكلمين بها على اختلاف طبقاتهم .

ثم ان بعض علماء الاستشراق يعتقدون ـ وهذا صحيح الى حد بعيد ـ ان انقسام المجتمع الاسلامي الى طبقتين ، طبقة الرجال وهم الذين يستأثرون بدور العمل والنشاط في المجتمع المتخلف مع تحمل جميع المسؤوليات ، وطبقة النساء اللواتي لا يظفرن عادة الا بقدر قليل من ذلك النشاط ، يعتبر حكما على ذلك المجتمع بالعقم والافلاس ، لانه يعوق اللغة عن الانتشار بالسرعة اللازمة حيث ان نصف المتكلمين بها لا يجدون فرصة استعمالها يوميا على الوجه المطلوب ؛ ويضيف بعض المهتمين بمستقبل اللغة العربية أن الداء كله يكمن في عدم توفرنا على المفردات العربية الدالة على المفاهيم التي جاءتنا بها الحضارة الغربية ويذهبون الى القول بانه يكفي لايجاد تلك المفردات وخلقها خلقا عن طريق النحت والاقتباس وغير ذلك من اساليب الاشتقاق لتصبح اللغة العربية قادرة على الذيوع والانتشار ؛ وهذا قول مردود ، اذ لو كان الامر كذلك لكفى المتكلمين بالعربية وجود هذه المعاجم والكتب التي امتلأت بشتى المفردات والتراكيب ليتمكنوا من التعبير عن كل ما يروج في خواطرهم من افكار ومفاهيم تتصل بهذا المجتمع الحي المتطور الذي نحياه .

لكن القضية لا تتعلق بكمية هذه المفردات بقدر ما تتعلق بقدرتنا على استحضار هذه المفردات وترويجها في الوسط الفقير الذي نعيش فيه ؛ وبكلمة اخرى فما دام المحيط الذي يتقلب فيه الطفل المغربي يشكو فقرا في الاثاث والادوات ومقومات الحياة المادية التي يزخر بها عادة بيت الطفل الاوربي الذي ينتسب الى مجتمع متقدم راق ، فان هذا الطفل العربي أو المغربي سيظل فقيرا كذلك من حيث الالفاظ والكلمات التي تنطق بمعالم الحياة المادية لانه لا يجد فرصة لاستعمالها في البيت ولا في الشارع .

ومعلوم ان توفر الادوات التي ترتكز عليها الحياة البيتية في مجتمع متقدم ، دليل قاطع على تقدم البلاد التي ينتمي اليها ذلك المجتمع من الوجهة الاقتصادية ، بحيث كلما توفرت الاشياء والادوات التي تشير اليها الكلمات الجديدة المتولدة عن الحياة العصرية الا واصبحت هذه الكلمات حية رائجة بحكم الضرورة والحاجة الى استخدامها ؛ وهكذا نستطيع ان نقول ان الكلمة لا تروج وتعلق بالذهن الا اذا اقترن استعمالها على الاقل في أول الامر بالشيء الذي تدل عليه ؛ ومن ثم نفهم قيمة النصيحة التي تعطى للمعلمين المبتدئين من انه لا يجمل بهم ان يقدموا درسا في المحادثة او الاشياء الا مقرونا بالاشياء التي يتحدثون عنها للصغار ؛ معنى هذا أن الوسط كلما كان غنيا من الوجهة المادية والاقتصادية اضطر اهله الى البحث عن الالفاظ والتراكيب التي تعبر عما اشتمل عليه ذلك الوسط من ادوات وآلات واشياء هي وليدة الحياة العصرية المادية نفسها ؛ فتطور اللغة رهين اذن بالتطور المادي الذي يتمتع به المتكلمون بتلك اللغة .

وعليه ، فقضية انتشار اللغة لها علاقة وثيقة بالنمو الاقتصادي وتقدم المجتمع الذي يعتمد هذه اللغة أو تلك في حياته اليومية ؛ وهكذا يرى بعض المتخصصين في علمي الاجتماع والاقتصاد ـ ونرى معهم ـ ان التطور الاقتصادي في بلد ما شرط اساسي في التطور الاجتماعي والفكري في ذلك البلد ؛ فهناك نمو وتقدم من الوجهة الاقتصادية والمادية كلما كانت الحياة الفكرية نامية مزدهرة كما يلاحظ ان تقدم الجماعات من الناحية الفكرية والعقلية في احدى الجهات تعبر في الواقع عن تطور ملحوظ في احوالها من الوجهة الاقتصادية والعمرانية. والذين يعودون الى التاريخ يلتمسون منه الاسباب التي دعت الى انتشار اللغة العربية في الاقطار التي بسط المسلمون نفوذهم عليها ، يلاحظون ان هذا الانتشار كان دائما متمشيا جنبا الى جنب مع التطور الاقتصادي في تلك البلاد ، بحيث كلما ازدهرت الحياة الاقتصادية فيها الا وواكبها تقدم لغوي وبالعكس ، وترتب عن ذلك زيادة في الدخل الفردي بالنسبة للسكان عموما ؛ ولنا دليل على ذلك في التقدم الاقتصادي الذي كانت تتمتع به بلاد المغرب العربي خلال القرون الوسطى ، اي عندما كانت الحياة مزدهرة فيها بوجه عام ؛ فقد كان

الناس فى دائرة تلك الحياة البسيطة يعبرون عن مدركاتهم ، وان كانت محدودة ، بكلمات وأسماء دقيقة واضحة ؛ فلا يعوزهم المصطلح للتعبير عما كانوا يقومون به من أعمال ونشاطات مختلفة فى مجتمع متطور ؛ وليس من شك فى ان ازدهار الصناعات المحلية فى ذلك العصر كما يحدثنا عنها ابن خلدون فى مقدمته فى مدن المغرب المحتضر كالقيروان وتلمسان وفاس مثلا كان يواكبه ازدهار فى الثقافة ايضا ؛ فلما تدهورت الحالة فى تلك المدن على الخصوص لحق الحياة الفكرية نوع من التحجر والركود .

هذا ويلاحظ من جهة اخرى أن الدول التي سبقتنا فى طريق النمو والازدهار الاقتصادي كالولايات المتحدة الامريكية وروسيا وفرنسا تتمتع هي الاخرى بازدهار ملحوظ فى حياتها الاجتماعية والفكرية ؛ والذي يدعو الى الانتباه هو أن اثر ذلك التطور لم ينحصر فى الحياة المادية بل انتقل مفعوله الى اللغات التي تتحدث بها تلك الدول ؛ وهكذا اصبحت لكل من تلك الدول لغة طيعة مرنة استطاعت أن تستوعب مفاهيم الحضارة العصرية بدون عناء ؛ وذلك معناه ان هذا التطور المادي والاقتصادي يتمشى مع التطور الفكري واللغوي جنبا الى جنب ؛ فتكون اللغة — وهي وعاء كل حياة فكرية بالطبع — متقدمة راقية متى كان المجتمع الذي تنتسب اليه مجتمعا راقيا متقدما ، والحياة الاقتصادية فيه فى نمو مستمر ، كما أنها تكون متاخرة فقيرة كلماتقهقر الوسط الاجتماعي الذي هو مبعث هذه اللغة .

واذا كان الامر كذلك فينبغي على المسؤولين فى البلاد النامية عموما وفى بلاد المغرب العربي على الخصوص أن يعطوا الاسبقية لكل ما من شانه ان يعين على تحقيق نهضة اقتصادية تدفع بعجلة التقدم فى هذه البلاد الى الامام ، وذلك بتركيز وحدات صناعية فى كل مكان لان ذلك لا يساعد فقط على بعث نهضة اقتصادية فيها تكون بمثابة نقطة انطلاق وتحرر من كل تبعية ، بل هي فى نفس الوقت خير وسيلة لتنمية لغة الوطن واغنائها بما هي فى حاجة اليه من مفردات ومصطلحات علمية وفنية ، من شانها ان تجعل هذه اللغة قادرة على تلبية حاجتنا اليها كوسيلة للتعبير عن مفاهيم الحضارة التي اصبحت من مميزات اللغات الاوربية الحية ؛ ذلك ان اقحام اللغة العربية فى المعمل والمصنع والورش والشارع ، وحمل الصناع والمزارعين على استخدامها يتيح لها لا محالة فرصة التكيف والنمو طبقا لمتطلبات الحياة الاجتماعية باعتبار ان اللغة ظاهرة اجتماعية وثمرة بيولوجية لحياة الفرد ، تخضع كما يخضع غيرها من الوان النشاط الانساني الى عوامل الزمان والتطور والحاجة ؛ فقول عندما تتقدم الصناعة والزراعة وتنتشر التعاونيات ويزدهر من جهة اخرى العلم والثقافة والتربية بالاعتماد على اللغة العربية فى التعليم والادارة معا ، اذ ذاك يرتفع مستوى المواطنين ماديا ومعنويا ، وتتضاعف حتما قدرة اللغة على التعبير ؛ فيزكو محصولها من الالفاظ واذ ذاك — واذ ذاك فقط — يكون فى مستطاع القطاعات الخلاقة التي يؤلفها الصناع والمزارعون والفنيون وارباب الحرف والصنائع على اختلافها ان تمد اللغة بامدادات من اسماء الآلات والادوات وما تتصف به من حركات كما تمدها فى نفس الوقت بكل الالفاظ المعبرة عن الحضارة بما فيها من علوم وآداب وفنون وقدرة على الخلق والابتكار .

— ❋ —

يستخلص من كل ما سبق أن الاقبال بكل حيوية ونشاط على الحياة الصناعية هو الذي يورث العمال تلك العقلية الصناعية ، التي بدونها لا يستطيع بلد من البلدان ان يخطو خطوة الى الامام فى طريق التقدم ، بكل ما في هذه الكلمة من مدلول .

وبما أن رواج اللغة يتصل اتصالا وثيقا بالتطور الذي يعتري الحياة الاجتماعية فى بلد ما ، وان هذا التطور الاجتماعي الذي هو فى الواقع نتيجة « لتقدم مادي ينعكس مفعوله على مجتمع معين ، يخيل الي انه بالامكان ابراز المشكل كله فى شبه معادلة ثلاثية نستطيع ان نعبر عنها بقولنا : الاقتصاد الناهض يفضي حتما الى نشوء مجتمع حي متطور والمجتمع المتطور الحي لا يستعمل اهله الا لغة حية طيعة متطورة كذلك .

على أن ذلك كله لا يتم الا اذا تذرعنا بالصبر والعمل المستمر ، والاكباب على ما نحن مطوقون به بكل جد وفعالية ؛ واذ ذاك نستطيع أن نقفز الى مرحلة الخلق والابتكار .

الرباط : محمد محي الدين المشرفي

بحث ثقافي تاريخي حول

الثقافة العربية المعاصرة في شمال المملكة المغربية

للدكتورة آمنة اللوه

— 4 —

لا بالامس ولا باليوم ، وانما هي فواصل وتقسيمات دراسية لا ضير فيها .

ثانيا : فان تراث سبتة الثقافي العربي انتقل منها بطريقة جلائية جلاء تاما يوم احتلت سبتة من قبل البرتغال سنة 1415 ... فالتجأ هذا التراث الغزير الى النواحي الجبلية المجاورة بعلمائه وخزائنه ونفائسه وذخائره وكل ما يمكن حمله والهروب به من اتلاف المحتلين ... حيث ان جنود البرتغال حطموا المدينة — سبتة العربية — تحطيما كاملا ، فاستقر معظم الفارين في نواحي تطوان، ثم احتضنتهم تطوان بعد تاسيسها من جديد .

علما بان سبتة لم تعرف ازدهارا ثقافيا يذكر بعد جلاء العرب عنها وحتى باللغات البرتغالية والاسبانية ... انها باتت قفرا، قاحلة ... ثقافيا وادبيا بشكل شامل ودائم.. ويحضرني هنا سؤال وجواب حول هذه النقطة وذلك أن بعض المهتمين بالامر سال مفكرا اسبانيا عن سبب فقر سبتة ثقافيا ، بعد جلاء العرب منها ، فاجابه الاسباني ببساطة الاسبان المعهودة قائلا : ان سبتة المسلمة كانت بها عائلات مجيدة اصيلة ، فهي التي اغنتها علما وادبا ... واما نحن الاسبان فقد اتخذنا سبتة سجنا للمجرمين ، فلم نكن نرسل اليها الا من صدرت في حقه احكاما قاسية تقضي بسجنه الى الابد . . . فليس في سبتة عندنا الا سجن « لانشو » ، وليس فيها جامعة ولا بيوتات مجيدة ... وانما هي حثالة الناس من ابناء المجـرمين أو ابناء البحارة

واذا انتقلنا ، تبعا لما سبق ، الى تطوان ونواحيها ، فاننا نجد الامر يختلف ثقافيا عن طنجة من عدة وجوه :

أولا : فان العمارة والنشاط الثقافي تأخر تاريخيا في خصوص مدينة تطوان حيث لم تحظ هذه المدينة بشيء ذي بال من ذلك النشاط الا بعد تاسيسها من جديد سنة 898 هـ — 1493 م. على يد القائد المنظري واصحابه ، اي منذ نحو خمسة قرون الى عصرنا هذا .

... مع سبتة المسلمة

الا ان لتطوان ما يشفع لها ويغطي عن فقرها الثقافي خلال ماضيها الاول العاثر .. وذلك انها كانت تابعة ومعدودة في عهدها الغابر من حساب مدينة سبتة المسلمة الزاهرة .. التي عرفت ازدهارا ثقافيا عربيا مسلما قل نظيره قبل ان يحتلها البرتغال فالاسبان .

ولا شك ان سبتة المسلمة المغربية كانت تقوم في الميادين العلمية والثقافية بما حاولت تطوان بعدها القيام به ..

اذن ، فان تطوان وسبتة تعتبران امتداد من احداهما لاخرى عبر التاريخ القديم والحديث .

وعلى هذا الاساس ، نذكر ان ازدهار سبتة الثقافي العربي ، اي منذ المائة الثانية للهجرة هو بداية الازدهار الثقافي بذلك الاقليم ، اذا صح ان نعزله ثقافيا في تلك الفترة عن القطاع الطنجي ، وهذا الانعزال لا يصح قطعا

القراصنة الصيادين ». هذا جواب ذلك الاسباني نقلا — ولا مؤاخذة — عن مجلة تطوان، عدد 3—4، ويتايد هذا الجواب بما كانت عليه بقية الجيوب الاسبانية في الشمال من الاهمال والضياع، فمعظمها بل كلها ما هي الا سجون ومعسكرات .

احصاءات عن سبتة المسلمة

وتعقيبا على ما اجاب به ذلك الاسباني المنصف اورد هنا بعض الاحصاءات الثقافية والحضارية التي كانت عليها سبتة عند استسلامها حسب ما دونه أحد ابنائها المهاجرين عنها الى قرية بقبيلة انجرة المجاورة لسبتة وهو الفقيه محمد بن القاسم الانصاري السبتي ، احد مؤرخي سبتة المسلمة الكبار ، وذلك في كتابه المخطوط المعروف ،نذكر منها ما يلي :

المساجد : الف مسجد ، واعظمها المسجد الجامع العتيق .

المدارس : مدرستان، (مع التنبيــه على أن مفهوم المدرسة في ذلك الحين غير مفهوم المدرسة عندنا الان)، وهما :

مدرسة ابي الحسن الغافقي المعروف بالشاري ، وتعتبر مدرسة ابي الحسن هذه أول مدرسة من نوعها في المغرب بل ان المحققين يعتبرون ابا الحسن هو اول من احدث مدرسة علمية بالمغرب قبل الموحدين والمرينيين .. فلقد اسس مدرسة ماوى لطلاب العلم ، من ماله الخاص ، وحبس عليها رباعا وعقارات ووقف عليها خزانة عامرة عظيمة .

والمدرسة الثانية هي التي ابتناها ابو الحسن المريني المعروفة بالمدرسة الجديدة .

الخزائن العلمية : 62 خزانة ، كان فيها في الزمن القديم بدور الاكابر وذوي القدر 45 خزانة ... كبني العجوز ، وكان فيها في زمن المؤلف صاحب المخطوط 17 خزانة ، تسع بدور الفقهاء الصدور كبني القاضي الحضرمي وبني ابي حجة ... ومنها ثماني خزانات موقوفة على طلاب العلم ، اقدمها خزانة الشيخ ابي الحسن الشاري التي بالمدرسة المنسوبة اليه التي قلنا انه ابتناها من ماله الخاص ، وهي أول خزانة وقفت بالمغرب على اهل العلم. ولكن اعظم الخزائن هي احدى خزائن الجامع العتيق ، وكانت في الكثرة بحيث لم يشذ منها فن من الفنون ولا نوع من المعارف اصلا . وباقي الخزائن مفترق ، منهــا بالمدرسة الجديدة خزانتان ، وبمسجد انقفال خزانــة ، وبمسجد زكلو اخرى .

الروابط والزوايا : 47 (مع اعتبار مفهوم الزواية يختلف كذلك عن مفهومها الآن).

واضخم الروابط واعظمها الرابطة المعروفة برابطة الصيد ... واعظم الزوايا الزاوية الكبرى التي ابتناها السلطان ابو عنان المريني ، اعدها للغرباء ولمن اضطر للمبيت بها من التجار وغيرهم .

المحارس للحراسة العسكرية : 18 محرسا ، ابتداء من المدينة الى 12 ميلا خارج المدينة من ناحية البحرين وما وراء ذلك الى بلاد الريف والى طنجة .. ولم يدخل في هذا العدد، الطالع الكبير الفذ ، طالع سبتة الذي باعلى جبلها المعروف عند الناس بالناظور ، ابتناه المرابطون هناك ، حصنا للناظر الراتب ، وهو يكشف البرين ويشرف على العدوتين ، ولا يخفى على الناظر فيه ما بالــزقاق (البوغاز) . وكان بناؤه على يد القاضي عياض ..

(وهذا الناظور او الطالع هو البناء الضخم الذي ما زال ماثلا الى الآن على جبل سبتة المطل على الميناء والبوغاز وهو المعروف الان بلانشو المتخذ من قبل الاسبان سجنا للمجرمين حسبما اسلفنا).

الازقة : 250 زقاقا ، وبكل زقاق ، دروب ، وعلى كل درب بيات ، تجرى عليهم الجرايات .

الحمامات : 22 حماما ، واعظمها حمام ابي علي ناصح، غاية في الكبر والاتقان ، يسع المئتين من الناس .

هذا ، وبكل دار حمام ومسجد الا القليل . وقال المؤلف: كان بمنزلنا حمامان ومسجد .

الاسواق : 74 سوقا ، اشرفها واجملها سوق العطارين وسماط العدول المتصل به ، ولكل حرفة وبضاعة سوق .

الحوانيت : 24 الف حانوت

المتجرات : 40 متجرة .

الفنادق : 360 فندقا ، اعظمها واحكمها الفندق الكبير المعد لاختزان الزرع ، بناء ابو القاسم العزفي ، يحتوي على 52 مخزنا ، ويليه في الكبر الفندق المعروف بفندق غانم ، يشتمل على ثلاث طبقات و 80 بيتا ، وهو قديم البناء ، يرجح انه من بناء المرابطين .

الافران : 360 فرنا .

السقايات : 25 سقاية

الميضات : 2 اميضاة

المطامير : 40 الفا ، مفترقة بالديار والحوانيت .

الطواحين : 103 طاحونة وجميعـها تدار بمياهها الخاصة ، وكذا جميع مساكن سبتة متوفـرة على مياهها الخاصة .

الارباض : ستة

الابواب : 50 بابا .

المصلات : ستة .

وعدد المرامي والسباق المعبر عنها بالمجلسات 44 مرمى (ميادين رياضية) و 9 جلسات ، اذ ان الرمي كان طبعا لاهل سبتة طبعوا عليه ، لا تلقى فيهم شريفا ولا مشروفا، كبيرا او صغيرا ، الا وله بصر في الرمي وتقدم فيه ..

المقبرات : 13 مقبرة .

المراسي : 30 مرسى ، بادخال مراسي السواحـل المجاورة .

المضارب : 9 مضارب .

ثم تصدى المخطوط لتعداد ما بقرية بليونش السبتية من المنافع والمرافق ومن البساتين والاشجار والفواكه والمتزهات ، وهو يشيد دائما بآل العزفي ، وبمؤسساتهم العمرانية ومآثرهم الثقافية .

وختم بقوله : فانظر ما كان عليه هذا الثغر الشامخ ، وما اصيب به المسلمون بفقده ..

ثالثا : ان ما وقع لتراث سبتة العلمي العربي هو نفس ما وقع للتراث الاندلسي من بعده ، فلقد انجلى عن تلك الديار عامة، واستقر معظمه في ارجاء الشمال الافريقي، من تونس شرقا الى تطوان وفاس والرباط غربا .. فكان نصيب تطوان ونواحيها الشيء الكثير من ذلك التراث . ولما كانت طنجة في ذلك الحين تحت طائلة البرتغال ، ظلت محرومة من نصيبها الاول من ذلك التراث الاندلسي الوافد .

فلقد انجلى الاندلسيون المعروفون بالموريسكوس عن ديارهم الاندلسية ، فتواردوا على بلاد المغرب تباعا ـ طيلة قرنين : السادس عشر ، والسابع عشر من الميلاد ـ فوجد بعضهم مدينة تطوان خير ملاذ ، وآمن ماوى ، وكان جلهم من مملكة غرناطة ، ولا يخفى أن غرناطة بدورها ورثت بقايا البقايا الاندلسية ، اذ هي وما حولها كانت آخر معقل للحكم العربي وللحضارة العربية والثقافية الاسلامية في تلك الديار ... فكأن تطوان وما حولها صارت اليها مدخرات اندلسية جامعة ، وآلت اليها تركة متنوعة من الفنون الاندلسية وحضارتها كلها ...

مدى تاثير الموريسكوس ثقافيا

الا أن هناك ملاحظة عامة يجب اثباتها ، وهي ان معظم الاندلسيين (الموريسكوس) الذين غادروا ديارهم الاندلسية الى الديار المغربية ... لا يمثلون في جلهم طبقة عالية متنورة مثقفة ، اذ ان أكثرهم هم من طبقة الزراع الفلاحين والصناع الماهرين في الصناعات اليدوية كبناء العمارات والدور والقصور والتفنن في تزينها وزخرفتها بالنقش والتخريم والتفنن في الافرشة والاطعمة وشؤون البيت وغير ذلك من الصناعات اليدوية الجليلة والدقيقة .. أما من ناحية الفكر وتحصيل العلوم النظرية والاستقرائية كما كان عليه اجدادهم ، فان معظم المهاجرين كانوا في ذلك دون اسلافهم بكثير ، لذلك لم ينتفع بهم المغرب كثيرا من هذه الوجهة الفكرية ، وان كان نفعهم في الصناعات وفنون الحضارة جد عظيم .. لذلك ظل ما حملوه ونقلوه من ذخائر ونفائس وصنوف الحضارة والصناعات محفوظا منتفعا به الى اليوم ، وكان لهم تاثير آخر لا ينكر من جهة تعريب البلاد وعمارتها ...

وكنتيجة لذلك فان تاثيرهم الثقافي العلمي ضئيل جدا في الاوساط المغربية في ذلك الحين ، بل ان الامر ربما كان معاكسا ، اذ ان المغاربة كانوا في ذلك الحيـن على حظ عظيم من المعرفة والثقافة العامة ، فانتفع بهم اولئـك الاندلسيون حيث تثقف الكثير منهم على ايدي العلماء المغاربة .. واذا اردنا ان ننصف الجانبين نقول بصدق : ان المغاربة انتفعوا صناعيا وحضاريا ولغويا باولئك المهاجرين ، وانتفع هؤلاء بالمغاربة تثقيفا وتهذيبا .

وهذا الموضوع ، موضوع الاندلسيـين الموريسكوس واسع جدا ، يحتاج الى دراسة عربية وافية ، لم يحظ الى الان من جانبنا نحن المغاربة بما يستحق ،في حين ان الاجانب ـ الاسبان وغيرهم ـ قتلوه بحثا ودرسا ، فعسى ان تتاح لي فرصة اقدم بعض ما عندي من ابحاث ودراسات حول هذا الموضوع.

رابعا – ان الثقافة الاسبانية ، او على الاصح اللغة الاسبانية – ليست جديدة على هذا الاقليم الشمالي ونواحيه ، فلقد وصلت اليه عن طريق البوغاز واحتلال الموانئ الشمالية والاتصالات التجارية والسياحية وغير ذلك ... اضف الى هذا أن كثيرا من الاندلسيين الموريسكوس الوافدين في الافواج الاخيرة لا يحسنون الا اللغة الاسبانية وخاصة المتاخرين منهم ، حتى ان البعض منهم لا يستعملون في كتاباتهم الا الحروف اللاتينية يكتبون بها العربية والاسبانية معا ، او يكتبون الاسبانية بالحروف العربية وهي الكتابة المعبر عنها بـ Aljamiado

فشاعت عنهم اللغة الاسبانية وعوائد اسبانية ، ويتهمهم البعض بانهم نقلوا ايضا أفكارا وتعاليم مسيحية . وليس هذا ببعيد ، لان الكثير منهم تنصروا ظاهرا هناك قبل الجلاء ، وزاولوا كرها الطقوس المسيحية ، فمن الممكن انها بقيت عالقة بهم ، بعد ان عادوا في امان الى حظيرة الاسلام قلبا وقالبا .

وكذلك الجنس الاسباني ، اي الاسبان انفسهم فانهم كانوا منتشرين في هذه الاصقاع بلا عد ولا حساب .. منهم من اندس بين الموريسكوس وزعم انه منهم ، ومنهم من الجاته ظروفه الخاصة الى الفرار الى المغرب .. زد عليهم افواج الاسرى – من جراء القرصنة في البحار – الذين كانت تعج بهم الحواضر ، وغير ذلك من الاسباب .

وكانت هذه الظاهرة تتجلى بوضوح في عهد الدولة السعدية ، وخاصة ايام عبد المالك السعدي – وما بعده – الذي كان محببا اليه ان يتخذ من الاسبان رؤساء حاشيته، وقواد جيشه ... وكانوا يسمون وامثالهم « بالعلوج » ، كما كان محببا الى عبد المالك ان يستعمل في حديثه الاسبانية التي كان يتقنها (مع عدة لغات) ، وان يتشبه بالافرنج في كثير من شؤونه .

لهذا صح القول بان التراث الاسباني على علاته وخطورته سبق الى نواحي تطوان قبل الحماية بكثير ، مما جعل معظم الاسبان أعرف بنفسية المغاربة وبعاداتهم أكثر من غيرهم من الاجناس ، وذلك بفضل المحاككة والاتصالات القديمة والحديثة .. ورغم ذلك فانهم لم يستطيعوا قط ان يتخلصوا من رواسب الاستعمار وطبائع الاستبداد والروح الصليبية .

فلما اعلنت الحماية وكان القطاع الشمالي من نصيب الاسبان اضطروا الى التفكير في سلوك سياسة ملفوفة متسمة ببطء وحذر شديدين في جل معاملاتهم مع المغاربة، املا في أن يأمنوا معها من الاصطدام بمشاعر المغاربة الدينية ومطامحهم الوطنية ، ولا سيما انهم لم يتمكنوا من نشر الويتهم العسكرية على سائر اطراف القطاع الشمالي الا من خلال معارك طاحنة طويلة الامد وذائعة الصيت . وناهيك بما قاسوه وتكبدوه من خسائر فادحة في الحروب الريفية والجبلية ، مما لا يتسع المقام للاستمرار فيه .

ولما استتب لهم الامر بعض الشيء لم يفكروا في وسيلة تهدئة مثلما فكروا في تاسيس نظام تعليمي واقامة مؤسسات ثقافية في قطاع نفوذهم . غير انهم ترددوا طويلا – على عاداتهم – في اختيار النظام الواجب الاتباع.

وبعد مشاورات مستمرة واخذ ورد وطول انتظار جاءت تعليمات عليا من مدريد الى السلطات الادارية بتطوان ، تخطط وتوصي بالمبادىء التي ينبغي أن تراعى في اي سياسة تعليمية وتمدينية بالشمال . وهي مبادىء جديرة بالذكر وبالنظر في مدى صلاحيتها وفي مدى تطبيقها على ما هي عليه .

وذلك ما سنحاوله في الحلقة القادمة ان شاء الله .

الرباط : الدكتورة آمنة اللوه





الوراقة تستهدف النساخة للكتب وتصحيحها وزخرفتها وتفسيرها وما الى ذلك ، وهي مهنة عرفها المغرب – فى وضعها العربي – منذ الفتح الاسلامي، ولحسن الحظ فان تاريخ الوراقة المغربية قبل العصر العلوي ، تناوله بقدر الامكان – دراستان منشورتان (1) ، لتكون هذه المحاولة المستجدة تكملة للسابق بالنسبة الى العصر العلوي الاول : انطلاقا من قيام السلطان الرشيد عام 1075 هـ / 1664 م ، الى وفاة المولى عبد الله عام 1171 هـ / 1757 م .

— * —

وقد عرف المغرب مع الدولة الجديدة حياة الاستقرار ، فانتعشت الحركة العلمية ، وتبعتها الحاجة الملحة الى الكتب ، ولم تكن الطباعة وصلت – آنذاك – للمغرب ولا لاي جهة اسلامية اخرى (2) ، وهنا برز دور النساخة لتلبي طلبات المتعلمين والمعلمين والمؤلفين .

وزاد من اهمية هذه المهنة ، ظهور الرغبة فى تأسيس خزانات جديدة للكتب ، على المستويات الحاكمة ، ومن جهة الميسورين من المثقفين ، وعلى مستوى الزوايا .

وبهذا ظهر وراقون خصوصيون ، الى جانب الوراقين للعموم ، وتبع نشاط الخطاطة وجود طبقة المصححين للمنتسخات ، والمزخرفين لها ، والمخرجين للمؤلفات من المبيضات والتعليقات .

وقد حافظت الخطاطة – مع هذه الفترة – على تنوعها : من التخطيط المغربي ، الى الاندلسي ، الى المشرقي ، الى الكوفي ، مع طبع الانواع الثلاثة الاخيرة بالطابع المحلي .

ومن جهة التصحيح للمنتسخات ، حرص المهتمون بالامر على المحافظة على التقاليد المرعية فى هذا الصدد ، وهكذا يقول المناوي (3) : « اكتب وقابل ، والا اطرح فى المزابل » ، وقبله عاش ابو علي اليوسي مع الفترة التي سبقت قيام الدولة الجديد ، ولاحظ ان الفوضى التي خيمت على المغرب فى ذلك العهد سرت آثارها الى الخطاطة ، ولهذا يوصي بالالتفات الى هذه المهنة ، وتنظيم رقابة على الناسخين ، ويقول فى هذا :

« ... اما اليوم فقد وقع فى الكتب من الفساد ما لا يتدارك ، لولا تفضل الله – تعالى – لحفظ دينه ، وما احوج الناس الى اقامة الحسبة على الناسخين ، وقد اعتنوا بشربة لبن ان يزاد فيها ماء ، وخبزة ان لا ينقص منها وزن قيراط ، واهملوا الكتب التي هي قوام الدين ، ومرجع الامر كله (4) » .

(1) مجلة « البحث العلمي » : العدد 16 ، ص 37 – 65 ، مع العدد 18 ، ص 17 – 47 .
(2) انظر عن مراحل وصول الطباعة للعالم الاسلامي : محمد المنوني : «مظاهر يقظة المغرب الحديث» ج 1 ص 202 – 203 .
(3) « الابتهاج بنور السراج » للمولى احمد البلغيثي ، ط. م ، ج 1 ص 257 .
(4) « القانون » ، ط. ف ، الملزمة 24 ص 4 .

والان : فان شرح نشاط الوراقة في هـذا العصر ، سيسير حسب العناوين التالية :

— وراقون معروفون من خلال تراجمهم .
— وراقون معروفون من خلال منتسخاتهم .
— وراقات من النسـاء .
— وراقون بخطوط منوعة او بزخرفة الكتابة .
— المصححون للمنتسخـات .
— المخرجـون للمؤلفات .
— وراقـون لجهات معينـة .

— ❊ —

ونظرا لوفرة الاحالات على مراكز المنتسخات الواردة في هذه الدراسة ، ستختصر الاشارات لها كالتالـي :

الخزانـة العامـة : خ. ع.
المكتبـة الملكيـة : م. م.
المجموعة الزيدانية بالمكتبة الملكية : م. م ، ز.
خزانة القرويين : خ. ق.
خزانة ابن يوسف : خ. ي.
الخزانة الناصرية بتمكروت : خ. ن.
الخزانة الحمزاويـة : خ. ح.
خزانـة وزان : خ. و.

— ❊ —

وراقون معروفون من خلال تراجمهم

1 — الثعالبي : محمد بن الحـاج محمد بن بن محمد بن عبد الرحمن التطواني ، استمر بقيـد الحياة الى عام 1099 هـ (5) / 1688 م .

2 — العطار : احمد بن ابراهيم الاندلسـي المراكشي ، المتوفى عام 1105 هـ (6) / 93 — 1694م

3 — الوزير : محمد دعي حم بن عبد الوهاب بن ابراهيـم بن امحمد بن ابراهيـم ، الغسانـي ثم الفاسي ، المتوفى عام 1119 هـ (7) / 07 — 1708م

4 — جموع : مسعود بن محمد السجلماسي ثم الفاسي ، السلوي الوفاة عـام 1119 هـ (8) / 1707 م .

---

(5) ورد وصفه بالفقيه الكاتب الناسخ ، العديم المثل في الخط ... كان معاصرا للحـاج محمد الرافعي ، حسب تعليقه بخط محمد بن محمد بن العربي الزعري المباركي ، كتبها على احـدى هوامش كناشة محمد الطيب بن عبد السلام القادري ، خ. ع، ك 1574 ، ص 391 ، ويعرف — الان — من منتسخاته مخطوطان م. م :
— رحلة « تاج المفرق » للبلوي ، عام 1097 هـ — رقم 144 .
— « فصل الخطاب ، في ترسيل ابي بكر بن خطاب » لمؤلف غير مذكور ، عام 1099 هـ — رقم 4605 .

(6) يقول عنه الافراني : « وكان لا ياكل الا من عمل يده ، ينسخ الكتاب فيتبلغ به » ، صفوة من انتشر ، ط. ف ، عند ترجمته ص 214 — 215 .

(7) ترجمته في سلوة الانفاس ط. ف ، ج 3 ص 288 ، وجاء فيها : « وكانت له سرعة في نسخ الكتب لا تعرف لغيره » ، ويوجد — من منتسخاته كتـاب جمهرة الانساب لابن حـزم عـام 1091 هـ م. م، ز 390 .

(8) في ترجمته عند القادري : « لا يـرى الامدرسـا او تاليـا او ناسخـا ، جيـد الخـط » ، « نشر المثاني » المطبوع ، ج 2 ص 100 ، ومن نماذج منتسخاته :
ا — مخطوطة جيدة من الشفا لعياض عام 1086 هـ ، بالمكتبة الاحمدية بفاس ، وقد اشار لهذه النسخة — بالذات — عبد العزيز بن محمد ابن ابراهيم الدكالي المشنزائي ثم الفاسي ، فيما علقه عليه على الصفحة الاولى من كتاب نفائس الدرر تاليف الوراق المعني بالامر ، خ. ع، ك 1843 ، وهكذا يقول : « وقفت على نسخة من الشفا بخطه — اي المؤلف — رحمه الله ، وانه فرغ مـن نسخها عام 1086 ، وكانت ملكا للفقيه العدل الارضى : ابي الحسن علي بن محمد ابن سودة رحمه الله ، ولا زالت — الى الان — بيدهم » .
ب — الجامع الصغير للسيوطي في مجلدين عام 1087 هـ ، م. م 8172 ، وهناك فـرع لهـذه المخطوطة ، كتبه تلميذ ناسخها محمد بن علي المكناسي — عام 1117 هـ — من خط استاذه الذي توجد ملكيته على الكتاب ، خ. ع، ك 1966 .

5 ـ ابو العباس بن يحيى : احمد بن عبد القادر بن احمد بن يحيى ، السوسي اليحياوي ، المراكشي المولد ، الفاسي المنشا والوفاة عام 1124 هـ (9) / 12 ـ 1713 م .

6 ـ ابن ابراهيم : احمد بن محمد الخياط الدكالي المشنزائي ثم الفاسي ، كان بقيد الحياة عام 1126 هـ (10) / 1714 م .

7 ـ الوجاري : احمد بن علي القضاعي الاندلسي ثم الفاسي ، المتوفى عام 1141 هـ / (11) 1729 م .

8 ـ ابن سليمان : احمد بن العربي الغرناطي ثم الفاسي ، المتوفى عام 1141 هـ / (12) 1729 م .

---

(9) كان بارع الخط سريعا فيه ، حسب ترجمته من نشر المثاني ج 2 ص 109 ـ 110 ، وله ذكر فى ذيل « المقصد الاحمد » تاليف المولى عبد السلام القادري ، ط ف ، ص 371 .

(10) تعليقة بخط السيد ابي الاسعاد الكتاني على ترجمة المذكور من سلوة الانفاس ج 2 ص 80 ، وقد جاء فيها : وحج ابو العباس احمد المترجم عام 1126 ، وانتسخ بخطه وضبطه كثيرا من الكتب ... كما انتسخ المذكور عدة مصنفات فى رحلته الحجازية تخرج فى عدة مجلدات » .

(11) يقول عنه القادري : « وكان ضابطا لاحواله ،مجردا يومه للتدريس والمطالعة والنسخ ، ولكل من ذلك وقت يخصه من النهار ، ولا يدخل وقتا عينه لواحد من هذه الاشياء ـ من اول النهار او وسطه او ءاخره ـ فى وقت غيره » ، نشر المثاني عند ترجمته ج 2 ص 136 ـ 137 .

(12) كان ـ حسب القادري ـ مولعا بالنساخة ، وكتب ـ بيده ـ مؤلفات عديدة ، وخطه فى نهاية الدقة والادماج ، حتى انه كتب فتح الباري لابن حجر العسقلاني ـ دون المقدمة ـ فى مجلد واحد اضاف له ـ عند بدايته ـ مؤلفا آخر ، وهذا ما يعلق عليه القادري : « ومن عجائبه ان كتب نسخة من شرح ابن حجر على البخاري فى سفر واحد ، انه يسع ثمانية اسفار ضخمة » ، الاكليل والتاج مخطوط م٠ م 1897 .

وفى هذا الاتجاه يقول عبد السلام اللجائي عن النسخة ذاتها : « رايت بحضرة فاس ـ حفظها الله تعالى ـ مجلدا واحدا اشتمل على جميع شرح الامام ابن حجر لصحيح البخاري ومعه تاليف آخر »، « المفاخر العلية » م٠ م 460 .

وفى تعبير محمد بن جعفر الكتاني : « ومن براعته انه نسخ نسخة من فتح الباري لابن حجر فى سفر واحد » ، « سلوة الانفاس ج 1 ص 292.

وقد صارت هذه النسخة الى الخزانة العامة بالرباط ، حيث تحمل رقم ج 583 ، وهي فى مجلد ضخم ، مسطرة 78 ـ 82 ، مقياس 315 / 215 ، 1293 ص ، وناسخها يذكر اسمه ظهر الورقة الاولى ، عند اثبات سنده الى الامام البخاري .

ومن الباقي من منتسخات المترجم ثلاث نسخ من صحيح البخاري : كل واحد منها فى مجلد . خ٠ ع، ك 95 . م٠ م 3

ونسخة من صحيح مسلم فى مجلد بخزانة خاصة بالرباط . خ٠ ق .

9 ــ التماق : محمد بن احمد بن محمد الفرباطي ثم الفاسي ، المتوفى عام 1151 هـ / (13) 1738 م .

10 ــ الحافي : احمد بن محمد بن عاشر بن عبد الرحمن الحافي السلاوي ، المتوفى عام 1163 هـ / (14) 49 ــ 1750 م .

11 ــ المكاري : عبد القادر بن محمد بن علي الحسني الرباطي ، كان بقيد الحياة عام 1179 هـ / (15) 1765 م.

12 ــ الحضيكي : امحمد بن احمد بن عبد الله الجزولي ، المتوفى عام 1189 هـ / (16) 75 ــ 776 م

— * —

وراقون معروفون من خلال منتسخاتهم

وسيتسلسل عرضهم على ترتيب وفياتهم ، أو حسب التاريخ الاخير لمنتسخات الذين لا تعرف تراجمهم فيما رجعت اليه :

اولا ــ وراقون التزموا مادة أو مواد متقاربة.

13 ــ ابن عزوز ــ محمد العربي بن احمد بن محمد المكناسي ، كان بقيد الحياة عام 1092 هـ / 1681 م .

أ ــ « الجامع المستوفى لجداول الحوفي » لابن غازي : خ. ح 262 .

ب ــ « الشرح الصغير للتتائي على المختصر الخليلي » ، عام 1092 هـ خ. ع، ج 304 .

14 ــ الحريشي : محمد بن احمد بن محمد العربي الفاسي ، المتوفى عام 1102 هـ / (17) 90 ــ 1691 م ، ومنتسخاته المعروفة لا تعدو صحيح البخاري :

أ ــ « نسخة خماسية التجزئة » ، برسم خزانة ابي العباس احمد بن احمد بن داود الهشتوكي، المشهور بلقب « احزي (18) » . خ. ن. 1232.

ب ــ « ثلاثة اسفار » موزعة بين ثلاثة ارقام : الاول : خ. ع، ك 1865 ، والثالث : خ. ع، د 444، والربع الاخير : خ. ع، د 509 .

ج ــ « الثالث والرابع والسادس » وهو الاخير : خ. و. 140 ر 141 ر 142 .

د ــ « الخمس الاخير » : خ. ن. 1365 .

15 ــ الحريشي : عبد القادر بن عبد السلام الفاسي ، بقيد الحياة عام 1108 هـ / 1696 م .

أ ــ « نسخة خماسية التجزئة من صحيح البخاري » ، عام 1103 هـ خ. و. 65 ر 66 ر 67، 68 ر 69 .

ب ــ « نسخة اخرى من نفس الكتاب والتجزئة » ، عام 1108 ، م. م 7786 .

ج ــ « صحيح مسلم في مجلد » خ. و رقم 2

د ــ « الشفا » للقاضي عياض م. م 3334 .

16 ــ الفاسي : ابو القاسم محمد بن احمد بن احمد بن يوسف الفهري ، من الاحياء عام 1110 هـ / 1698 م .

---

(13) سلوة الانفاس ج 2 ص 125 ــ 126 .
(14) يذكر عنه محمد بن محمد بن علي الدكالي : انه نسخ كتبا معتبرة بخطه ، حسب ترجمته من الاتحاف الوجيز ، خ. ع، د 42 ، ومن الباقي بخطه : جزء من مغنى اللبيب لابن هشام خ. ي 66/6
(15) تعليقة باحدى هوامش مخطوطة من مناقب أبي الحسن المكاري ، تأليف حفيده أبي الحسن علي ابن محمد .
(16) المعسول ج 11 ص 304 .
(17) ترجمته في نشر المثاني ج 2 ص 142 .
(18) عالم شهير ، وترجمته في طبقات الحضيكي ج 1 ص 82 ــ 83 ، ثم في فهرس الفهارس ج 2 ص 423 ــ 424 .

ثلاث نسخ من « سمط الجوهر الفاخر » لمحمد المهدي الفاسي : اثنتـــان : م. م. 433 د 7631 ، والثالثة : خ. و. 214 .

17 ــ الدادسي : محمد بن عبـــد العزيـــز السجلماسي ــ عام 1129 هـ / 1717 م ، ومنتسخاته تغلب عليها المادة العلمية :

أ ــ ارجوزة « الاقنوم » لعبد الرحمن الفاسي خ. ع، ك 15 .

ب ــ « الاكتفا » للكلاعي م. م. 5962 . خ. ع، ك 938 .

ج ــ « مجموعة » فيها موضوعـــات فلكيـــة ورياضية عام 1129 هـ م. م 547 .

18 ــ بخارق : محمد الطيب بن علي الحسني القصري ــ عام 1167 هـ / 1754 م .

أ ــ « الشفـــا » لعيـــاض عـــام 1167 هـ م. م. 4190 .

ب ــ « الاكتفا » للكلاعي م. م. 5962 .

ج ــ « مطالع المسرات » لمحمد المهـــدي الفاســـي م. م. 3458 .

19 ــ ابن زاكور : احمد بن محمد بن قاسم الفاسي ، المتوفى عام 1176 هـ / 1762 م .

أ ــ « الاعلام ، بما في المعيار من فتـــاوي الاعلام » ، تأليف أبي العلاء ادريس بن عبد الرحمن العلـــوي (20) خ. ح. 341 .

ب ــ « نفائس الدرر من حواشي المختصر » لمحمد بن أحمد الحريشي سابق الذكر عند رقم 14 . م. م. 4090 .

ثانيا : وراقون غير ملتزمين لمادة معينة

20 ــ السقاط : محمد الطيب بن محمد بن علي العربي الفاسي ــ عام 1116 هـ / (21) 1704 م.

أ ــ الموطا للامام مالك م. م. 7787 .

ب ــ « الشمائل الترمذيـــة » ، بالمكتبـــة العبدلية بتونس (22) .

ج ــ « المقامات الحريرية » عـــام 1116 هـ خ. ع، ك 1695 .

21 ــ العدلوني : عبد السلام بن عبد الرحمن بن علي بن سعيد الصفـــراوي قاضيهـــا ــ عـــام 1131 هـ / (23) 1719 م .

---

(19) ترجمته فى سلوة الانفاس ج3 ص 353 .
(20) اختصر فيه المعيار للونشريسي ، ومؤلفه مذكور عند الفضيلي فى الدرر البهية ج 1 ص 252ــ253.
(21) هناك محاورة شعرية بين الطيب ابن السقاط والمهدي الغزال ، بكناشة خ. ع، ك 2151 .
(22) فهرس المكتبة العدلية ج 1 ص 262ــ263 .
(23) لا تعرف له ترجمة فى المصادر المتداولة ،على أنه عالم مؤلف خلف الموضوعات التالية :
أ ــ شرح الغنيمة الناصرية ، فرغ منه عام 1137 هـ ، خ. ع، ك 2204 ــ خ. ع، ج 332 : الجزء الاول منه .
ب ــ الفتح المبين فى شرح عدة الحصن الحصين ، فرغ منه عام 1152 هـ ، ومن هنا نستفيد انه استمر بقيد الحياة الى هذا التاريخ .ــ خ. ع، ك 1901 . ــ م. م 3595 .
ج ــ تاريخ دول وأحداث المغرب ، دليل مؤرخ المغرب الاقصى رقم 493 .
د ــ طبقات فى التراجم ، نفس المصدر رقم1073 ، ونقل ابو الاسعاد الكتاني عن طبقات العدلوني دون أن يسميه ، غير انه ذكر قبل ذلك اسم العلامة ابي حامد العربي العدلوني ، فهرس الفهارس ج 2 ص 213 .
هـ ــ مجموعة فى الادب المغربي ، دليل مؤرخ المغرب الاقصى ، رقم 1827 .
وفي شرح الهمزية البوصرية للسجلماسي قاضي مكناس ، أجرى ذكره هكذا : «الفقيه عبد السلام العدلوني قاضي صفرو فى قريب من هذه الاعصـــار » .

أ ـ السفر الثاني من « صحيح البخاري » م. م. 9790 .

ب ـ « سمط الجوهر الفاخر » لمحمد المهدي الفاسي عام 1131 هـ م. م. 245 .

ج ـ « مطالع المسرات » لنفس المؤلف خ. ن. 2820 .

د ـ « الرسالة القيروانية » م. م. 5332 .

22 ـ العدلوني : عبد القادر بن عبد الرحمن، أخ المذكور قبله (24) ، كتب « القانون » لليوسي خ. ن. 1923 .

23 ـ ملياض : محمد بن عبد السلام بن علي الاندلسي الرباطي ـ عام 1138 هـ / 1725 م .

أ ـ « جمع الوسائل ، فى شرح الشمائل » لابن سلطان ـ عام 1137 هـ م. م. 4441 .

ب ـ « شرح زكرياء الانصاري على مختصره المعنون بلب الاصول » ، ثاني مجموع خ. ع. د 2121

ج ـ «أوضح المسالك» لابن هشام م. م. 9697

د ـ النصف الاول من « القاموس » المحيط، عام 1138 هـ خ. ن. 423

الرفاس : محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى الحسني التطواني ـ عام 1145 هـ / (25) 1732 م.

أ ـ « تفسير الجلالين » خ. ق. 16 .

ب ـ النصف الثاني من « تحفة الباري ، بشرح صحيح البخاري» لزكرياء الانصاري. خ. و 286

ج ـ النصف الاول من « الشفا » لعياض خ. و. 294 .

د ـ الجزء الثاني من « الترغيب والترهيب » للمنذري خ. ق. 200 .

هـ ـ الاول والثالث من « الاصابة » لابن حجر خ. ق. 235 .

25 ـ الوزير : احمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم بن امحمد بن ابراهيم ، الغساني الاندلسي ثم الفاسي ، المتوفى عام 1146 هـ / (26) 1733 م.

أ ـ الجزءان 19 و 20 يجمعهما السفر الاخير من « صحيح البخاري » م. م. 7386 .

ب ـ « مطالع المسرات للفاسي » خ. ن 969

26 ـ القسطالي : محمد بن محمد بن الصغير بن ابي عمر المراكشي ـ عام 1152 هـ / 1740 م .

أ ـ الخمس الاخير من « المحرر الوجيز » لابن عطية عام 1152 هـ . خ. ع. ج 201

ب ـ مجلد من « ارشاد الساري » للقسطلاني خ. ن. 1395 .

27 ـ الوفلاوي : عبد القاهر بن محمد ـ عام 1164 هـ / 1751 م .

ـــ شرح عبد القادر ابن شقرون المكناسي لارجوزة البسط والتعريف للمكودي ـ عام 1164 هـ ومعه ـ فى مجموعة واحدة ـ شرح محمد بن قاسم ابن زاكور على القصيدة البديعية للحلي خ. ح. 167 .

28 ـ الوزير عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم بن امحمد بن ابراهيم ، الغساني الاندلسي ثم الفاسي ـ عام 1175 هـ / 61 ـ 1762م

أ ـ « تفسير الجلالين » عام 1175 ، فى جوزة الاسرة الوزيرية بتطوان .

ب ـ « الشفا » لعياض خ. ن. 357 .

ج ـ « مطالع المسرات » للفاسي م.م 2542

د ـ «المقرب المستوفي ، لجداول الحوفي» للسنوسي م. م 518 .

---

(24) اورد ذكره اخوه عبد السلام عند مدخل شرحه للغنيمة الناصرية ، محليا له بالعالم الناسك .

(25) كان من عدول تطوان الى 21 رجب من عام 1145 هـ حيث كتب وثيقة عدلية أورد نصها المؤرخ الجليل محمد داود فى « تاريخ تطوان » ج 2 ص 185 ـ 186 .

(26) ترجمته فى نشر المثاني ج 2 ص 156 ـ 157 .

29 ـ العدلوني : محمد بن عبد القـــادر بن عبد الرحمن بن علي بن سعيد الصفراوي ـ عـــام 1178 هـ / 1765 م .

أ ـ « تبصرة الحكام » لابن فرحون ، كتبها بزاوية سيدي عبد الله بن حسين الناصري بفطواكة حوز مدينة مراكش ، م. م. 4194 .

ب ـ نوازل مجهولة المؤلف م. م. 5229 .

ج ـ المستقل بالمفهومية ، في حل الفـــاظ الجروميـــــة م. م. 5231 .

30 ـ الفاسي : ابو مدين محمد بن احمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي الفهري ، المتوفـــى عام 1181 هـ / (27) 1768 م .

أ ـ 1 ـ نسخة رباعية التجزئة من «صحيح مسلم » خ. ن 927 .

ب ـ « لمح الشحر ، من روح الشعر » لابن ليـــون التجيبـــي خ. ح 118 .

وراقـــــات من النســـــاء

31 ـ فاطمة بنت علـــي بن محمد الزبـــادي المنالي الحسني الفاسي ، المتوفاه عام 1142 هـ / 1730 م (28) .

32 ـ عائشة بنت احمد بن عاشر الاندلســـي السلاوي ـ عام 1146 هـ / 1734 م ، وكان اول من عرفها ونوه بها هو المؤرخ محمد بن محمد بن علـــي الدكالي ، حيث وقف على مخطوطـــة من كتـــاب « التوشيح » للسيوطي ، بخزانة الشيخ ابي العباس احمد حجي بسلا ، وهي منتسخة بخط السيـــدة السلاوية ، وفرغت من كتابتها في فاتـــح شعبان ، عـــام 1146 هـ (29) .

33 ـ لال غيلانة بنت محمد غيلان الاندلسـي التطوانية ، المتوفاة عام 1189 هـ / 75 ـ 1776 م ، كتبت ـ بيدها ـ جميـــع كتـــاب « الاكتفـــاء » للكـلاعـــي (30) .

وراقون بخطوط منوعة او بزخرفة الكتابة

34 ـ ابن سودة : محمد بن محمد بن عبـــد الرحمن المري الفاسي ـ عام 1092 هـ / 1681 م ، يجود الكتابة بالخط الاندلسي كانما تخـــرج في دار الانشاء بها ، حسب ابي الربيع الحوات (31) الذي يضيف لهذا « رايت بخطه كم من كتاب ، مع التانق في تنزيل الالوان بالتراجم على اختلاف كيفياتهـــا ، بما يقطع معه بمهارته في الادوات العربية » .

ويوجد ـ بخطه ـ كتاب « فتح الفتاح » للحلبي الفاسي ، فرغ منه اوائل جمادى الاولى عام 1092هـ ، غير انه خال من الزخرفة م. م. 1525 .

35 ـ العلمي : محمد بن الطيب الحسنـــي الفاسي ، المتوفى عام 1134 هـ / (32) 22 ـ 1723م بارع في زخرفة الكتب (33) .

36 ـ الربفي : محمد بن سليمان التطواني ، احد رجال الاندلس المطرب حيث يقول عنه مؤلفه : «وكان ـ رعاه الله ـ مولعا بصنعة التسطير والتشجير ، يصل ـ في العكوف عليهما ـ تعريسه بالتهجيـــر ،

---

(27) ترجمته في سلوة الانفاس ج 1 ص 322 ـ 323 .
(28) انظر محمد المنوني « مركز المصحف الشريف بالمغرب » ، مجلة « دعوة الحق » ، السنة 11 ، العدد 3 ، ص 76 .
(29) نقل هذا ـ عن المؤرخ السلاوي ـ بلدية القاضي المرحوم ابو بكر بن الطاهر زنيبر ، في محاضرة له عن تعليم البنت ، كتبها عام 1362 هـ / 1943 م . م. م 6094 .
(30) تاريخ تطوان للمؤرخ محمد داود ، ج 3 ص 93 .
(31) مخطوطة الروضة المقصودة : عند الباب الاول .
(32) ترجمته في نشر المثاني ج 2 ص 124 .
(33) الانيس المطرب ط. ف ، ص 359 ، حيث وردت الاشارة لهذا خلال تقريظ نفس الكتاب من جهة الاديب محمد بن سليمان آتي الذكر وشيكا .

فبلغ فيهما الغاية،وانتشرت له فيهما ـ بين الاقران ـ اي راية » ، ثم أثبت له نتفة من خمسة ابيات في المفاضلة بين زخرفتي التسطير والتشجير (34) .

37 ـ الغزال : المهدي بن محمد الحميري الاندلسي ثم الفاسي ، المتوفى بعد عام 1140 هـ / 27 ـ 1728 ، كان ـ حسب الانيس المطرب (35) ـ له قدرة على تنميق الطروس والتحبير .

38 ـ الرسموكي ـ علي بن عبد الرحمن السوسي ـ عام 1164 هـ / 1751 م ، حذف الخط الشرقي النسخي ، وكتب به « خلاصة الوفا » للسمهودي ، محتذيا الطريقة المشرقية في رسم الحروف ونقطها ، وفرغ من كتابته ضحوة يوم السبت 20 رجب عام 1164 هـ ، بالمدينة المشرفة في زقاق البدر ، حسب نسخة خاصة منه .

39 ـ الجزيري : عيسى بن الشريف الحسني التطواني ، المتوفى عام 1169 هـ / 1756 م ، جاء عنه في « نزهة الاخوان (36) » : انه كتب القرءان الكريم كله في صفحة كاغد واحدة بخط رائق ، وكتب على لوحة سورة طه بالخط المشرقي ، مع تطويق الكتابة بزخرفة التوريق ، ثم اعاد نفس الكتابة والزخرفة منسوجتين في لواء باشر اعداده بيده .

وبخطه ـ ايضا ـ سائر الكتابات المرقومة على بيوت دار الباشا أحمد بن علي الريفي بتطوان ، وعلى المباني الاخرى لهذه البلدة .

المصححـون للمنتسخـات

40 ـ محمد بن عمران ؟ مصحح مخطوطة من « الشفا » لعياض عام 1123 هـ م. م. 2620 .

41 ـ ابن جلون : محمد بن أحمد الفاسي ، المتوفى عام 1136 هـ 1774 م ، جاء في ترجمته (37) : « ... وانما كان الاهم عنده التقييد والمطالعة وتصحيح المقابلة لما يدخل بيده من الكتب ، مع جودة الخط ، واحكام الضبط » .

42 ـ الحايكي : الحسن بن احمد البشابشي عام 1142 هـ / 1729 م ، قام بتصحيح نسخة من « القاموس المحيط » للفيروزابادي ، حيث وردت الاشارة لها في نسخة اخرى من نفس الكتاب م. م. 8148 (38) .

وكتب نسخة مصححة من « ديوان المتنبي » عام 1142 هـ ، حيث يحتفظ بها بعض المعتنين بمدينة الدار البيضاء .

المخرجـون للمؤلفـات

43 ـ الصنهاجي : محمد بن ابي القاسم الدرعي ، المتوفى عام 1103 هـ / (39) 91 ـ 1692م، وهو جامع « الاجوبة الناصرية ، في بعض مسائل البادية » ، للامام محمد ابن ناصر ، وقد نشرت بالمطبعة الحجرية الفاسية .

44 ـ القاسي : يوسف بن محمد بوعسرية بن علي بن ابي المحاسن يوسف الفهري القصري ،

---

(34) الانيس المطرب ، ص 333 .
(35) ص 155 .
(36) اسم تاريخ في اخبار تطوان لعبد السلام سكريج ، حيث تحتفظ المكتبة الداودية في نفس المدينة بنسخة منه افدت منها شاكرا ، كما أن« تاريخ تطوان » أشار للفقرة التي نعلق عليها ج 3 ص 61 .
وهناك دراسة ـ بالاسبانية ـ عن خطاطة المترجم ، ضمن موضوع « كتابات عربية في قصبة تطوان » ، مجلة TAMUDA سنة 1957 ،العدد 2 ، ص 323 ـ 329 .
(37) الروضة المقصودة لسليمان الحوات ، عند الباب الثالث .
(38) انظر محمد المنوني « نشاط الدراسات اللغوية في المغرب العلوي » ، مجلة دعوة الحق ،السنة11 العدد 4 ، ص 58 .
(39) ترجمته في طبقات الحضيكي ، ج 2 ص 79.

المتوفى عام 1115 هـ / (40) 1703 م ، خرج « حواشي النصف الاول من الشرح الوسط لبرهام على المختصر الخليلي » ، تأليف أبي العباس احمد بن يوسف بن مهدي الزياتي ، فجاءت في مجلد ضخم يشتمل على 575 من الحجم الوسط ، بيد انه مبتور — يسيرا — من الاول .

ولحسن الحظ فان هذه الحواشي لا تزال بقيد الوجود ، وهي — بخط مخرجها — من ذخائر المكتبة الاحمدية بفاس ، وقد جاء في ءاخرها :

« انتهت حواشي النصف الاول من مختصر الشيخ خليل رحمه الله ، المقيدة على الشرح الوسط للشارح ابي البقاء بهرام رحمه الله : للشيخ الفقيه العلامة ، ابي العباس احمد بن يوسف بن مهدي بن يحيى الزياتي العبدلوادي ، وكتب مخرجها وجامعها : عبيد الله : يوسف بن محمد بن علي بن يوسف ، الفاسي لقبا ، الفهري نسبا ، القصري وطنا ، في ءاخر ربيع الثاني ، سنة اربع ومائة والف » .

45 — الحريشي : ... بن محمد بن احمد بن محمد العربي الفاسي — عام 1115 هـ / 1703 م. جمع تعاليق والده على هوامش المختصر الخليلي ، ودونها في مؤلف باسم : « نفائس الدرر في حواشي المختصر » فجاء في مجلد ضخم فرغ منه بتاريخ 10 محرم عام 1115 هـ م. م. 4090 .

46 — اليوسي : محمد العياشي بن الحسن بن مسعود — عام 1119 هـ / (41) 1708 م ، قام بجمع ثلاث موضوعات لوالده ابي علي اليوسي :

أ — كتاب « القانون » الذي فرغ من تخريجه آخر صفر عام 1101 هـ ، حسب مخطوطته : خ. ن. 1923 .

ب — « الديوان » ، اتم جمعه في اواخر شوال عام 1119 هـ ، وقد ورد بخاتمة احدى مخطوطاته — خ. ع، ج 32 — ما يلي : « ... وفي آخر الاصل المنتسخ منه بخط جامعه — ومن خطه نسخت هذا الديوان المبارك — ما نصه : هذا آخر ما وجد من منظوماته ، وهو آخر ما سطر وكتب والف، وكان تمامها بمصر لما حج سنة اثنين ومائة والف ، وكان تمام الديوان على يد عبيد الله تعالى : امحمد بن الحسن بن مسعود اليوسي ، اواخر شوال ، في السنة التاسعة عشر ومائة والف » .

ومن هذا التاريخ نتأكد ان جامع ديوان اليوسي هو ابنه محمد العياشي بفتح اوله ، حيث ان ابنه الاخر الذي يحمل اسم محمد — بضم اوله — كانت وفاته من عام 1106 هـ (42) .

ج — وقد جاء في آخر ديوان اليوسي تقدمة صغيرة لشعر وردت هكذا :

« وادركتنا وغرة شديدة وعطش
بوادي ونحن مشرفون » .

فنستفيد من هذا التعبير ان جامع الديوان : محمد العياشي ، هو الذي رافق والده في حجته ، فيكون هو مدون « الرحلة الحجازية » لابي علي اليوسي .

— ابو العباس بن يحيى : احمد بن عبد القادر سابق الذكر عند رقم 5 ، وهو مخرج غالب مؤلفات المولى عبد السلام بن الطيب القادري (43) .

47 — الرسموكي : احمد بن سليمان الجزولي ثم المراكشي المتوفى عام 1133 هـ / (44) 20 — 1721 م، وقد قام بتهذيب «الاجوبة الناصرية» التي جمعها محمد بن ابي القاسم الصنهاجي سابق الذكر عند رقم 43 م. م. 3260 و 6201 .

48 — الدغمي : موسى بن محمد الراحل العبدلوي الحواري ثم السلاوي ، المتوفى عام 1140 هـ / (45) 1727 م ، الف « مناهج الصفا ، في

---

(40) ترجمته في عناية اولى المجد ص47 — 48 .
(41) ورد اسمه ضمن ترجمة شقيقه محمد من سلوة الانفاس ج 3 ص 81 .
(42) نفس المصدر والجزء والصفحة .
(43) نشر المثاني ، ج 2 ص 110 .
(44) ترجمته في الاعلام . بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ، ج 2 ص 168 — 169 .
(45) ترجمته بالاتحاف الوجيز : المخطوط السالف الذكر .

التقاط درر الشفا » ، وجمعها من الحواشي المقيدة على المتن المشروح بخط استاذه الشيخ مسعود جموع مار الذكر عند رقم 4 . م. م. 355 : ثانية مجموع خ. ع، د 2141 : قطعة منها ضمن مجموع .

49 ــ ابن يحيى : محمد المهدي بن احمد بن محمد الفاسي ــ عام 1140 هـ / (46) 1728 م ، قام بتخريج مبيضة « سمط الجوهر الفاخر » تاليف استاذه محمد المهدي الفاسي ، وفرغ منه فى النصف الثاني من ليلة الخميس 18 ربيع النبوي عام 1096 هـ فى دار المؤلف بحي المخفية جوار الزاوية الفاسية ، حسب اشارة لهذه النسخة وردت عند خاتمة مخطوطة مكتتبة منها ، حيث يحلى المخرج بالفقيه العلامة ، تلميذ المؤلف وخديمه م. م 245 .

وهناك نسخة ثانية من نفس الكتاب ، استنسخها ــ بدورها ــ بدار المؤلف من مبيضته ، وفرغ منها بعد صلاة عصر يوم الثلاثاء 11 ربيع النبوي عام 1100 هـ م.م 366 .

50 ــ ميارة : محمد بن محمد بن محمد (ثلاثا) بن احمد الفاسي ، المتوفى عام 1144 هـ /(47) 1731 م ، خرج تعاليق حرة : محمد بن احمد ميارة على المختصر الخليلي ، باسم : « التقاط الدرر مما كتب على المختصر » ، وفرغ منها عام 1082 هـ بجامع الاباربن من فاس .

خ. ح 369 : النصف الاول فى سفر .

خ. ح 365 : النصف الثاني اول مجموع.

ابن عاشر الحافي سابق الذكر عند رقم 10 ، قام بتخريج مؤلفين اثنين :

ا ــ « حاشية ابن زكري على البخاري » ، من مبيضة استاذه مؤلفها ، وفرغ منها يوم الاربعاء 10 شعبان عام 1147 هـ ، وقد خلت النسخة المنشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية من الاشارة لهذا التخريج ، ووردت فى ثلاث نسخ مخطوطة : م.م. ز 83 ، وهي بخطه عدى بعض الاوراق المكتوبة بخط مغاير .

م. م، ز 155 : قطعة من باب التهجد الى الاخر، بخطه ايضا .

خ. ع، ك 1894 : منتسخة عام 1227 بغير خط ابن عاشر .

ب ــ « ديوان » ابي العباس احمد بن عبد القادر التستاوتي المباركي ، باسم « نزهة الناظر.. »

خ. ع، ك 1669 : قطعة منه .

خ. و. 524 : نسخة تامة بخط جامع الديوان

52 ــ اليحمدي : محمد بن احمد بن الحذن الفحصي نزيل مكناس ، كان بقيد الحياة عام 1166 هـ / (48) 1753 م ، وهو الذي قام بترتيب وتهذيب « كناشة » والده التي كان يقرؤها للسلطان المولى اسماعيل ، وقد دونها ــ عام 1153 هـ ــ برسم السلطان المولى عبد الله بن ابي الفداء ، حيث صارت تحمل اسم « مدد التايبد . فى ترتيب المحفوظات والتقاييد ، محذوفة التكرار والاسانيد»، ولا تزال هذه المجموعة بقيد الوجود ، فى مخطوطة وحيدة من عشرة اسفار : م. م، ز 1034: تسعة منها. م. م، ز 3985 : السفر التاسع.

53 ــ البوسعيدي : علي بن ابي القاسم بن احمد العيسي ، جمع فتاوي استاذه : محمد بن علي المنبهي المراكشي (49) ، ولا تزال مخطوطة م. م. 2500

---

(46) لا تعرف له ترجمة فى المصادر المتداولة ، وله تاليف باسم : « جلاء القلب القاسي بمئاثر سيدي المهدي الفاسي » ، « دليل مؤرخ المغرب الاقصى » ، رقم 788 .

(47) ترجمته فى نشر المثاني ، ج 2 ص 155 .

(48) ترجمته فى الاعلام ، بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ، ج 5 ص 62 .

(49) ترجمته بالمصدر الاخير ، ج 5 ص 92 .

وراقــون لجهــات معينــة

اولا : برسم الامراء

54 ــ اللمطي : عبد الله بن محمد الغماري(50) عام 1136 هـ .

كتب برسم الامير المامون بن السلطــان أبي الفــداء : « الشفــاء » لعياض عــام 1132 هـ
م٠ م 2620

وبرسم الاميــر عبد الله الشريــف بن أبــي الفداء (51) انتسخ المخطوطات التالية :

أ ــ « شرح الفية ابن سينا » فى الطــب ، للحفيد ابن رشد ، عام 1121 هـ م٠ م 3825

ب ــ « ديوان الصفي الحلي » ، عام 1121 هـ
م٠ 275

ج ــ « تلخيص تذكرة السويدي » للمقدسي، عام 1123 هـ م٠ م 1665 .

د ــ «لطائف المنن» لابن عطاء الله، عام 1124هـ م٠م 932 .

هـ ــ « الطبقات الكبرى » للسبكي فى مجلد ضخم ، عام 1132 هـ م٠ م 2624 .

و ــ « عيون الانباء فى طبقات الاطباء » : لابن ابي اصيبعة فى مجلد ، عام 1132 هـ خ٠ ع، ج 28

ز ــ « ريحان الالباب » للمواعيني فى مجلد ضخم ، عام 1133 هـ م٠ م 1406 .

ح ــ مجموعة بها شرح ارجوزة اليواقيــت للدادســي ، مــع رســالــة ــ عــام 1134 هـ
م٠ م 1045 .

ط ــ « حدائق الازهار » لابن عاصم ، عــام 1136 هـ ، بيد انه لم يرد هنا اسم الناسخ المعروف خطه بالمقارنة م٠ م، ز 1601 .

وهناك بكتابة نفس الناسـخ اربع مخطوطــات خلت من اسم المكتوبة برسمه ، وتحمــل الارقــام التاليــة :

م٠ م 1264
م٠ م 6780
خ٠ ع، ج 41
خ٠ ع، ج 368

55 ــ الحاج العربي بن الحاج محمد سكيرج القاسي ــ عام 1122 هـ / 1711 م ، كتب باســم الامير ابي القاسم بن ابي الفــداء « شرح ديــوان الاشعار الستة الجاهلية » للاعلــم الشنتمــري ، عام 1122 هـ م٠م 1883 .

546 ــ الطاهر بن الخضر ؟ نسخ برسم الامير علي بن ابي الفداء كتاب « القاموس المحيــط » فى سفرين ، عام 1134 هـ م٠ م، ز 1636 .

ثانيا : بزاوية تمكروت

57 ــ اليحياوي : محمد بن محمد بن عبــد القادر ، ناسخ شرح الارجــوزة الونشريسيــة فى الفرائض لعلي التازي ، برسم الشيخ ابي العبــاس احمد بن محمد ابن ناصر، عام 1092 هـ ،
خ٠ ن 1683

58 ــ ابن ضيف الله : عبد الرحمن بن عبــد القادر السويدي المكناسي ، ثم الدرعــي الرحلــة والقرار ، حيث كان بقيد الحياة عــام 1094 هـ / 1683 م ، قــال عنــه فى الــدرر المرصعــة : « أحد الاعلام الذين نزلوا بهذه الزاوية ودرسوا بها ، وكان خطه حسـن فنسخ للشيــخ ابي العبــاس ابن ناصــر عدة كتب » .

ويوجد خطــه على آخر النصف الثانــي من « غاية الاماني فى شــرح رسالــة ابن ابي زيــد القيرواني » ، حيث تولى مقابلته ، وفرغ منهــا فى اواسط شوال عام 1094 هـ خ٠ ن 1321 .

---

(50) لا تعرف له ترجمة ، وورد فى مخطوطة « منا قب ابي الحسن العكاري » : ذكر الاديب القاضي عبد الله اللمطي فى لائحة اساتذة ابي الحسن العكاري المعني بالتاليف .

(51) ترجمته عند محمد المكي الناصري فى « الدرر المرصعة » ، خ٠ ع، ك 265 ، ص 167 ــ 169 . وقد جاء فيها : « وكان مغرما باقتناء الكتب لا سيما التاريخ والادب ، فانه جمع منها شيئا كثيرا : شــراء ونسخــا » .

59 ـ الناصري : محمد الكبير بن الشيخ ابي عبد الله محمد ابن ناصر ، المتوفى عام 1126 هـ / 1714 م ، وكان ـ حسب الروض الزاهر (52) ـ جيد الخط ، كتب بيده ـ عدة كتب .

60 ـ حجي ـ محمد بن محمد بن محمد الفاسي ، كاتب « فرع النسخة اليونينية من صحيح البخاري » فى 30 جزءا برسم الشيخ ابي العباس ابن ناصر عام 1128 هـ خ. ن 949 .

ثالثا : بزاويـة بجعـد

61 ـ السيفي : احسن بن محمد البكري ، بقي بقيد الحياة الى عام 1143 هـ / 1730 ، ومدفنه بأكادير من سوس .

وكان معدودا من علماء المغرب ، وهو كاتب « النسخة العشارية من صحيح البخاري » التي كانت معتمدة بزاوية بجعد ، وله ذكر فى « يتيمة العقود الوسطى (53) » ، وصار وراقا للشيخ محمد الصالح والد الشيخ محمد المعطي آتي الذكر ، ومن منتسخات السيفي الباقية :

أ ـ « خلاصة الوفا » للسمهودي ، عام 1131 هـ خ. ع، ك 27 .

ب ـ السفر الاول من « بهجة النفوس » لابن ابي جمرة ، عام 1140 هـ م. م 9707 .

ج ـ « تفسير السفي » فى سفرين ، عام 1143 هـ خ. ع، ك 2062 .

د ـ السفر الاول من « تحفة الباري ، بشرح صحيح البخاري » لزكرياء الانصاري ، خال من التاريخ هو والمنتخين بعده م. م 3874 .

هـ ـ السفر الاخير من « بهجة النفوس » ، لابن ابي جمرة م. م 4017 .

و ـ « شرح البردة البوصرية » للغبريني فى سفرين م. م، ز 776 .

62 ـ ابو عبيدة بن احمد بن الحرار (54) ، وراق الشيخ محمد المعطي آتي الذكر وشيكا ، وبرسمه كتب « الاتقان » للسيوطي عام 1142 هـ م. م 505 .

63 ـ محمد المعطي بن محمد الصالح بن محمد المعطي ، الشرقي العمري البجعدي ، المتوفى عام 1180 هـ / (55) 1766 م ، ومن منتسخاته :

أ ـ « حاشية الدماميني على المغني » لابن هشام ، عام 1126 هـ م. م 3817 .

ب ـ «شرح الجادري على أرجوزة أبي مقرع» فى المواقيت عام 1129 هـ م. م 6237 .

64 ـ العيدوني : محمد بن عبد الكريم الورديغي ، مؤلف « يتيمة العقود الوسطى ... » ، والمتوفى عام 1189 هـ / 1775 م ،

وهو مخرج النسخة الاولى من كتاب « ذخيرة المحتاج » فى خمسة وخمسين سفرا ، وكان يكتبها فى بيت أعده مؤلفها ـ بدار سكناه ـ خصيصا لانتساخ هذا الكتاب ، على أن الوراق العيدوني انتسخ ـ فضلا عن الذخيرة ـ كتبا غيرها بلا عدد ، على حد تعبير المصدر المعني بالامر (56) ، ومن منتسخاته الاخرى باسم استاذه :

(52) نقله فى الاعلام ، بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ج 5 ص 21 .

(53) هذه النبذة التعريف بالسيفي ، مستفادة من خط السيد ابي الاسعاد الكتاني ، على اول النسخة التي كتبها المترجم من خلاصة الوفا للسمهودي خ. ع، ك 27 .

(54) ورد اسمه فى مختصر يتيمة العقود الوسطى، تأليف محمد المكي بن الشيخ محمد المعطي مؤلف ذخيرة المحتاج ، وذكره ـ مرة ـ هكذا : « الفقيه السيد ابو عبيدة بن الفقيه السيد احمد بن الحرار » .

(55) افردت ترجمته بالتاليف ، وتناولها عدد من كتب التراجم ، ونشير ـ بالخصوص ـ الى نشر المثاني ج 2 ص 277 ـ 278 ، ثم فهرس الفهارس ج 2 ص 169 ـ 170 .

(56) مختصر يتيمة العقود الوسطى آنف الذكر ، حيث بدأه مؤلفه بلمحة فى التعريف بمؤلف الاصل .

ا ــ « جزء في احكام السهو في الصــلاة » للمالقي ، عام 1129 هـ   م٠ م 6875 .

ب ــ « المرج النضر ، والارج العطر » ، خال من اسم المؤلف (57) وتاريخ الانتساخ م٠ م 519 .

65 ــ محمد بن احمد الهاشمي لقبا بن البطاح ابن محمد الملقب بالقوري بن عبد القادر بن الشيخ امحمد الشرقي العمري ، الوراق الثالث للشيـخ محمد المعطي ، وقد كتب ــ برسمه ــ سفرين مـن « الفتوحات المكية » للحاتمي : السفر الاخيـر ، وواحدا قبله غير متصل به ، وهما ــ معا ــ خاليـان من تاريخ الانتســاخ   خ٠ ع، ك 172 .

رابعا : **برسم جهات اخرى متعددة**

66 ــ الدخيسي : احمد بن مامو : مجلدان: الرع الثاني والثالث من « الاحياء » للغزالي ، باسم الشيخ المحجوب بن عبد الله بن عبد الكريم ، الغازي الفيلالي ، عام 1095 هـ   م٠ م 8743

67 ــ العدبلي : احمد بن قاسـم بن عبـد الرحمن الاندلسي ثم الفاسي : « شرح ابن وحشـي لكتاب الشهاب » للقضاعي ، برسم المولى التهامي بن محمد بن عبد الله الشريف دفين وزان ، عام 1103هـ خ٠ و 317 .

68 ــ الزياني : حسن بن ابي ابكر : المجلـد الاخير من « نسيم الرياض » للخفاجي ، باسم الشيخ المحجوب الغازي ءانف الذكـر ، عـام 1109 هـ م٠ م 8332 .

عبد الملك : « حديقة الازهار » للوزير الغسانـي ، باسم الشيخ عبد الكريم بن عبد الله بن احمد بن عبد الصادق السجلماسي الرتبـي . عـام 1133 هـ م٠ م 425 .

70 ــ الخميسي : محمد الهاشمي بن محمد ابن حمام : « المختصر الخليلي » برسـم المولـى الطيب بن محمد بن عبد الله الشريـف دفين وزان عام 1137 هـ   خ٠ و 939 .

71 ــ التونسي : امحمد بن عبد القـادر بن محمد بن ابراهيم (58) : نسخة ثلاثية التجزئة مـن « نسيم الرياض » للخفاجي ، باسم المولى الطيب بن محمد بن عبد الله الشريف ، عام 1141 هـ . خ٠ و 88 ر 90 ر 278 وهو رقم السفر الثاني .

الرباط : محمد المنوني

---

(57) في ذيل كشف الظنون : « مرج النضر ، وارج العطر تاليف محمد بن علي بن ابي بكر الاسيوطي المتوفى سنة 856 ... » منشورات مكتبة المثنى ببغداد ، المجلد الثاني ، عمود 465 .

(58) قد يكون من أسرة التونسي المعروفة بمدينة الربـاط



معركة التحرير مازالت مستمرة

للأستاذ عبد العلي الوزاني

ان الاستقلال الذي حصل عليه المغرب كان استقلالا ناقصا ، اذ ان اجزاء هامة من ترابه بقيت تحت الاحتلال الاجنبي ، ولم يشملها التحرير يومئذ ، ذلك ان الدبلوماسية المغربية ارتأت ان يتم تحريرها عن طريق المفاوضات والحوار المباشر ، خصوصا ان الدولة الاسبانية ابدت تفهما للقضية المغربية اكثر من الدولة الفرنسية فى ذلك الوقت ، وقد اتسمت دبلوماسيتنا بالنفس الطويل طيلة هذه المدة، آملة ان تتفهم اسبانيا قضيتنا الوطنية بعقلية اكثر تفتحا وانسجاما مع تطورات السياسة الدولية ، الا ان صبرنا الطويل كان مردوده على عكس ما كنا نامله، اذ ابدت اسبانيا عدم الاستعداد للتفاهم ، واصرت على التمسك باراضينا التي تحتلها فى الشمال والجنوب مما حمل المغرب على اثارة القضية بشكل اكثر ايجابية ، وذلك باخراجها من النطاق الثنائي الى النطاق الدولي ، محتكما الى مبادىء الامم المتحدة والى مقتضيات القانون الدولي ، وهذا الموقف ان دل على شيء ، فانما يدل على تمسك المغرب بمبدا التعايش السلمي وحل المشاكل المتنازع عليها عن طريق المفاوضات ، كما توصي بذلك قرارات الامم المتحدة ، ولم يثبت ان المغرب لجأ الى استعمال العنف فى حل مشاكله المعلقة ، الا عند يأسه من الوصول الى حسن التفاهم عن طريق المفاوضات ، وقد كان حظ المغرب احسن الحظوظ فى عرضه لقضية ارضه المحتلة على الراي العام الدولي ، اذ تعاطفت معه فى شأنها كل دول العالم تقريبا ، وذلك راجع الى عدة عوامل منها ما يتمتع به المغرب حاليا من سمعة طيبة فى الاوساط الدولية ، نتيجة لاعتدال سياسته الخارجية ، ورغبته الاكيدة فى التعايش السلمي مع جميع الدول والشعوب ، ومنها ان المغرب ينتمي الى المجموعة الافريقية والمجموعة العربية ، لكل منهما الان وزنها الخاص فى ميزان العلاقات الدولية ، نظرا للدور الذي تضطلع به كل منهما فى المعترك الدولي ، اما بسبب ارتباطاتها الخارجية او بسبب ما تملكه من ثروات طبيعية لها اثر بعيد المدى فى السياسة الدولية الراهنة . ومنها ان المغرب قام مؤخرا بمحاولة ذكية بارعة للتعريف بقضيته لدى كل الحكومات التي هو مرتبط بها ، وذلك بواسطة البعثات التي وجهها الى الاجهزة الحاكمة فى كل البلاد الشقيقة والصديقة قصد القاء اضواء كشافة على قضيته العادلة ، لتكون على بينة منها عندما تعرض على المعترك الدولي ، ممثلا فى المؤسسات الدولية المعنية بمثل هذه الشؤون .

ويبدو أن الظروف كانت جد مناسبة ، لتحريك القضية المغربية بالاسلوب الجديد . فمن المعلوم أن البرتغال اضطرت تحت تأثير الكفاح المسلح لمستعمراتها فى افريقيا ، أن تمكنها من الحكم الذاتي وحق تقرير المصير ، ومن شأن هذا أن يهيء الوقت المناسب لاثارة قضية الاجزاء المستعمرة من التراب المغربي . ومن المعلوم ايضا أن الاحوال الداخلية فى اسبانيا سيئة للغاية ، لان للشعب هناك ممثلا فى طبقته المثقفة المستنيرة ، يطالب بوضع حد للحكم الدكتاتوري ، والاستعاضة عنه بحكم ديمقراطي تعاد فيه الى الشعب الاسباني جميع السلطات . ومن المعلوم مرة اخرى ان المغرب تربطه اليوم بسائر الدول العربية روابط من الاخوة

والتجاوب وحسن التفاهم فربما كانت اقوى منها فى اي وقت مضى ، وذلك ناتج عن مواقفه القومية المشرقة ، وتجاوبه الايجابي مع كل قضية عربية عادلة . ومعنى ذلك أن تعاطف الدول العربية جمعاء مع المغرب يعطي لقضية اجزائه المغتصبة بعدا عربيا قوميا ، وهذا أمر يحرج اسبانيا ، ويجعلها فى مواجهة الامة العربية كلها فى الوقت الذي تواجه فيه المغرب فى هذه القضية الشديدة الحساسية .

وبالرغم من أن اسبانيا تشعر شعورا حادا بموقفها الحرج الدقيق ، نظرا للملابسات السياسية المحيطة بالقضية المتنازع عليها ، فانها ما زالت مصرة على التمسك بموقعها المتشدد ، دون ان تبدو على سياستها الخارجية مرونة تجاه المغرب ومطالبه الوطنية ، وربما كانت اسبانيا متأثرة فى تشددها بهذه العوامل : العقلية الحاكمة التقليدية فيها ، تلك العقلية المتخلفة عن عصور مضت ، او قل بالضبط عن القرون الثلاثة الاخيرة ، التي تكونت فيها النواة الاستعمارية ، وهي عقلية الكلاسيكيات والمحافظة على القديم ، وتجاهل رغبات الشعوب وفرض أسلوب القوة سواء فى داخل البلاد او خارجها . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فان اسبانيا تعتمد فى تشددها وتماديها فى اضطهاد شعبنا تلك السوابق الخطيرة التي صدرت عن دول اخرى فى وقتنا هذا ، تجاه شعوب صغيرة ، لا تملك قوة رادعة تدافع بها عن نفسها بكفاءة عالية ، ونذكر هنا على سبيل المثال التحالف الصهيوني الاستعماري الامبريالي ، ضد الشعب الفلسطيني وبعض الدول العربية الواقعة جغرافيا فى المجال الحيوي للصراع كما تذكر الجرائم المرتكبة من طرف حكومة جنوب افريقيا وروديسيا ، فى حق المواطنين الافارقة بوحشية ما عليها من مزيد . فما دام القانون الدولي يخرق عمليا ويضرب به عرض الحائط ، وما دامت بعض الدول تبيح لنفسها حرية التصرف خارج ميثاق الامم المتحدة ، فهذا من شأنه أن يجرىء دولا وحكومات اخرى على الاقتداء بها عندما يلذ لها ان تسطو على حقوق الغير . وخصوصا الدول التي ما زالت متشبعة بعقلية استعمارية عتيقة ، فهذه تكون عادة اشد حساسية من غيرها فى انفعالها وتأثرها بالمخالفات العلنية التي ترتكب ضد القوانين الدولية وميثاق الامم المتحدة ، وقد تجنح الى اتخاذها حجة لتأييد موقفها اذا ما وجدت نفسها فى حالة اتهام وحاجة الى تبرير مسلكها والدفاع عن نفسها . وهنا يسجل مع كامل الاسف ان المبادىء والقوانين الدولية أسمى بكثير من تصرفات بعض الشعوب ومواقفها العملية ، لانها تخترق القانون وتعطل المبدا فى وقاحة وعناد ، معتمدة على القوة المادية وحدها ، حتى لقد ارتفعت عدة أصوات في الملتقيات الدولية بأن الصغار وحدهم هم الذين يلتزمون القانون الدولي ، اما الكبار ومن يحتمي بهم ويسير فى ركابهم فلا شأن لهم بأي قانون فيما يبدو من سلوكهم السياسي وتهورهم العسكري ، تجاه بعض الشعوب المغلوبة على امرها .

وربما كان مما تتلمذت فيه اسبانيا على غيرها من الخوارج على القوانين والاعراف الدولية طريقة فرض الامر الواقع ، طالما ان الامر الواقع ، صار اليوم حجة يحتج بها عند الحاجة الى الاحتجاج . وجزء كبير من الراي العام العالمي يسلم بسياسة الامر الواقع ، ويفضلها على النظريات السياسية مهما عظم حظها من الصواب واصابة صميم الحقيقة وهو الاسلوب الذي تاخذ به اسرائيل وكانت تاخذ به البرتغال وكذلك فرنسا فى اثناء احتلالها للجزائر، وتاخذ به اسبانيا اليوم ، فيما يتعلق باراضينا المغتصبة ، ففى منطقها ان مدينتي سبتة ومليلية مدينتان اسبانيتان فى الواقع ، وهذا يكفي ، وقل ان تتنازل لالقاء نظرة على الخلفية التاريخية لهما . اعني أنها تفرض الامر الواقع ، وتعتبره حجتها الكبرى ولكننا نحن من جانبنا لا نعترف بهذا الامر الواقع ، لانه واقع مزيف ، ولا يرتكز على اساس مشروع ، ومن ثم فنحن نرفضه بكل قوانا ، ونعمل على تغييره ما استطعنا الى ذلك سبيلا . وان تقادم هذا الواقع الزائف ، ليس من شانه ان يعطيه صفة المشروعية ، وكم بلد فى العالم استمرت فيه وضعية شاذة غير شرعية ، ثم تغيرت اخيرا ، وانحلت ، مع انها كانت محمية ومحصنة ضد اية آفة .

والامر الذي يجب ان تعرفه اسبانيا جيدا ، هو أن وحدة التراب المغربي واعادة حدوده الطبيعية امر لا بد منه ، ولاتثنينا عنه اية تضحية مهما عظمت، لا لاننا اقوى من اسبانيا فى القوة العسكرية ، وانما لاننا طلاب حق ، ومتاح لنا البحث عنه بكل الوسائل الممكنة . ومن طبيعة المظلوم ان يلتمس الايقاع بظالمه مهما عظمت قوته ، واشتدت شوكته . وقد

بسم الله الرحمن الرحيم

إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم

إخوتنا في الدين والنسب،

يا أبناء عمومتنا

يا أحفاد الأجداد من قبائل الرقيبات وأولاد دليم وتكنة والعروسيين وغيرهم من قبائل الصحراء المغربية.

من هذه البقاع الطاهرة مهبط الوحي، ومنطلق الرسالة المحمدية التي أخرجت [illegible]، ومنبت الدعوة بالخلافة النبوية، والقيادة العلوية. نتوجه إليكم باسم الإسلام والوطن وباسم المروءة والشرف، والخلق، تحية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونؤكد لكم أن العالم الإسلامي يقف إلى جانبكم في جهاد العدو الكافر الغاصب، [illegible]

لن تغلب هذه الأمة ولو اجتمع [illegible] الكفار ما بين أقطار الأرض.

إن الاستعمارية الإسبانية، الذين كان أجدادهم [illegible] بالمسلمين في الأندلس، [illegible] والذين خلفوا [illegible] الغزاة الذين ذهبوا تحت ظل الصليب للقضاء على الإسلام [illegible] المغرب. هم الذين يحاولون اليوم أن يفصلوكم عن [illegible] وبلادكم [illegible] بالدساتير والتمثيليات، وهم [illegible] حتى [illegible] ويبعدوكم عن وطنكم ودينكم ولغة أجدادكم.

إن [illegible]

[illegible] إخوانكم في المغرب

[illegible]

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم.

صدق الله العظيم

المنظمة المغربية لتحرير الصحراء

معركة التحرير ما زالت مستمرة ... وهذه صورة للمناشير التي توزع داخل الصحراء المغربية ...

استطعنا الايقاع بظالمينا فى تاريخنا قديما وحديثا . فقد رددنا عن شواطئنا اساطيل كثيرة ، واخرجنا من ديارنا اعداء اقوياء ، ومستعمرين مدججين بالسلاح، ومنهم اسبانيا نفسها ، فهلا اتخذت من ذلك درسا وعبرة ؟ اما المناورات العسكرية التي قامت بها فى شواطئنا المغربية ، فهي ترمي عصفورين بحجر واحد اذ يراد بها أولا شغل الراي العام الاسباني الهائج فى داخل بلادها وتهدئته وتحويل اتجاهه ، كما يراد بها تخويف المغرب واشعاره بأنها مستعدة للضرب متى اقتضى الحال ذلك ، الا ان هذا التهديد لا يخيفنا ، لاننا عندما طالبنا باسترجاع اراضينا المغتصبة ، كنا مستعدين لكل الاحتمالات ، ومنها طبعا التهديد بالقوة من طرف الخصم ، فنحن بحكم تجربتنا الطويلة المريرة مع الاستعمار ، سواء فى دسائسه او فى استخدامه للعنف ، نعرف جيدا ان الحق الوطني لا يوهب ، وانما ينتزع ، بكل ما يتطلبه نزعه من عرق ودموع وتضحيات .

والذي يجب ان تعرفه اسبانياجيدا ان عصر الاستعمار الكلاسيكي يلفظ انفاسه الاخيرة ، وأن مغرب 75 هو غير مغرب الامس ، وان موازين القوى فى العالم قد تغيرت ، وان التكتلات الكبر للشعوب الصغيرة دفعت الى جسمها بدم جديد ، وفرضت لها مكانة محترمة فى المجتمع الدولي ، وان لبعض هذه التكتلات التزامات ، يجب أن يحترمها كل عضو فيها ، ومنها مقاومة الاستعمار وتصفيته بصفة نهائية . وان عليها أن تعتبر بما جرى فى المستعمرات البرتغالية ، حيث وقع صراع عنيف طويل بين الاستعمار البرتغالي والشعوب المستعمرة من طرفه، ادى فى النهاية الى الحرية والاستقلال ، ولكن بعد مآس كبيرة عانى من ويلها طرفا النزاع . فلو كان هناك تفهم فى أول الامر لمطالب تلك البلاد ، لما وقعت هذه المآسي . فهل لا بد من وقوع انقلاب فى اسبانيا على غرار ما حدث فى البرتغال ، كي يصبح الطريق بعد ذلك مفتوحا للتفاهم مع هؤلاء الناس ؟ الواقع اننا نعلق املا على تغلب الفكر الديمقراطي داخل اسبانيا على الفكر الدكتاتوري الاستعماري المتخلف، اذ بذلك نجد من يحاورنا على أسس منطقية ، وبالاساليب السياسية المعقولة ، فتخرج قضيتنا الوطنية الى جو اكثر نقاء وطاهر من فساد القصد وسوء النية ، وبالرغم من اننا نعلق هذا الامل ، فاننا فى نفس الوقت لا نعتمد عليه ، وانما اعتمادنا على اننا أصحاب حق ، وعلى استعداد شعبنا بكل طبقاته للتضحية فى سبيل استرجاعه .

ان الحدود الحالية للمغرب ليست هي حدوده الحقيقية ، لانها لا تنطبق على حدوده التاريخية . فقد كانت الصحراء ومدينتا سبتة ومليلية والجيوب الاخرى ، دائما اجزاء من ترابنا الوطني ، وداخلة فى صميم الوحدة الوطنية ، وملفنا عامر بالوثائق التاريخية الدالة على ذلك . ومن يكابر فى هذه القضية كان كمن يجحد وجود البحر الابيض المتوسط ومرور سنين طويلة على احتلال اسبانيا لهذه الاجزاء من أرضنا ليس من شانه ان يعطيها مشروعية مواصلة احتلالها او الحق فى ادعاءاتها من اراضيها ، وقد رات اسبانيا فى وقتنا الحاضر ، كيف طرد الاستعمار الاجنبي من بلدان ظل جاثما على صدرها عشرات السنين . وهي لا تحتاج الى ان نعطيها امثلة على ذلك ، ولو احتكمنا الى منطقها الفاسد هذا ، فجاز القول بأن طول وقوع بلاد تحت حكم اجنبي عنها ، يعطي لاصحابه حق ضم هذه البلاد الى وطنهم ، وهذا ما لا يقول به لا عرف ولا قانون .

وتتهمنا اسبانيا باننا نريد التوسع على حسابها ، وهذا كلام غريب . فهل اذا طالب شعب بأرضه يعتبر متوسعا ! واذن فاسبانيا نفسها تريد التوسع عند ما تطالب باسترجاع جبل طارق ، اذا نحن استخدمنا هذا المنطق اننا لا نريد التوسع ، وليس ذلك من تقاليدنا ، وانما نحن قوم اعتدى على اجزاء من وطنهم ويريدون استعادتها ، هذا كل ما فى الامر ، اما التوسع فهو من تقاليد الدول الاستعمارية وبعض الدول الملفقة المزروعة فى قلب بلاد غريبة عنها ، فترفضها هذه البلاد ، كما يرفض الجسم عضوا غريبا عليه ، فلا يكون رد فعلها الا مزيدا من التوسع ، كي تثبت اقدامها فى أرض تهتز تحتها ، وتشعر نفسها بالثقة والتمكن من الارض التي سيطرت عليها. أما نحن فاي شيء يدعونا الى التوسع؟ ان أرضنا كبيرة والحمد لله ، وفيها من الثروات الطبيعية ما يكفينا ، وقد تعرضت اسبانيا ككيان لدورات من المد والجزر ، ونحن موجودون على هذه الارض ، نمارس عليها سيادتنا وتتعاقب فوقها دولنا، وتذهب اجيال وتجيء اخرى ، فنحن اذن خلو من اية عقد نفسية تدفع الى التوسع ، فالراغب فى التوسع يكون عادة يعاني من بعض المركبات . ونحن

ليست فينا مركبات ، ولكن من يعض بالنواجد على اراضي الغير ، ويضع قواته لمنعها من التحرر ، هو الذي يمكن اتهامه بالتوسع ، لانه ملك ما ليس له. انه حينئذ كاللص الذي يقبض عليه متلبسا بجريمة السرقة ، ومع ذلك يدعي بصفاقة وجه ، ان الشيء المسروق هو ملك له .

ان كلمة توسع ، لم تدخل القاموس السياسي، الا عندما شرعت دول قوية في مد رقعتها فعلا على حساب جارة لها لا تكافئها في القوة العسكرية او الطاقة البشرية ، فارتبط التوسع بوجود بلدين متجاورين احدهما اقوى من الآخر ، بحيث يجوز الاقوى على ارض الاخر ، عن طريق القوة ، وهذا ما كان ينطبق على علاقتنا باسبانيا عند ما انتزعت منا اراضينا وضمتها اليها ، ومن ثم كانت قد توسعت على حسابنا فعلا ، فاذا طالبنا اليوم برد ما اخذ منا رمتنا بتهمة التوسع ، ان هذا الموقف غريب . وعندما تقدم ملفاتنا الى الهيئات المختصة ، تسقط تهمة التوسع بطريقة تلقائية ، اذا كان هناك من يصدق بكوننا نريد التوسع فعلا ، والكل يعلم اننا امة خرجت حديثا من الوضعية الاستعمارية ، وهي منصرفة الى البناء الاقتصادي والتنمية الاجتماعية ومحاربة الفقر والجهل والمرض ، فلا مجال عندها للتفكير في التوسع ، وليس التوسع من قواعد سياستها الخارجية . والصحراء وسبتة ومليلية قائمة فوق ارضنا ، لا في اراضي الغير ، ونمدها بكثير من اسباب الحياة ، لان لنا فيها اخوة في اللغة والدين والوطن ، ولاعتقادنا بانها منا والينا .

هذا وان الوطنية نوعان : هناك الوطنية القائمة على صيانة الوطن من كل سوء والمحافظة على وحدته الترابية وحدوده الطبيعية ، وهناك الوطنية القائمة على حب التوسع واحتلال اراضي الغير بالقوة وبالدسائس والمؤامرات ، ووطنيتنا نحن ليست وطنية توسعية ، وانما هي وطنية دفاعية . وقد كنا في علاقتنا الحديثة باسبانيا وما زلنا في موقف الدفاع ، بينما هي في موقف الهجوم . فمنذ ان طرد العرب ـ وضمنهم كثير من المغاربة ـ من بلاد الاندلس التي شادوا حضارتها ووهبوها شخصيتها العلمية والحضارية والسياسية في العصر الوسيط ، ونحن في موقف الدفاع عن انفسنا ، في الوقت الذي تنمرت فيه اسبانيا واخذت تنقض على مراسينا وشواطئنا ، فتلقى مقاومة عنيفة من طرفنا ، فلا تلبث ان تعيد الكرة من جديد ، وقد اسفر هجومها المتكرر عن احتلال اجزاء هامة من اراضينا ، منها ما تحرر فعلا ، ومنها ما نسعى اليوم الى تحريره . اذكر هنا بهذه الحقائق كي توضع تهمة التوسع التي بقذف بها في موضعها الصحيح .

ان قضية تحرير الارض المحتلة، سواء بالنسبة الينا او بالنسبة الى المظلومين في انحاء كثيرة من العالم ، ليست قضية جبل او جيلين او ثلاثة ، وانما هي قضية اجيال بكاملها داخل نطاق الامة الواحدة ، فما دامت قضية التحرير مطلقة ، الا وكل جيل ياتي يطرحها من جديد ، ويبذل جهده الخاص في الدفع بها الى الامام ، حتى تصل الى حلها النهائي ، قد يستغرق ذلك حياة عدة اجيال ، لكن لا بد من وصول القضية الى مصيرها المحتوم ، وهو تحرير الارض ورجوع السيادة القومية اليها ، طال الزمن او قصر . فالجيل المغربي الذي عاصر الاعتداء على التراب الوطني ، ليس هو الذي قام بالتحرير ، وان كان ادى واجبه في المقاومة ، وقدم عددا كبيرا من الضحايا في هذا الصدد ، وجاء بعده جيل ثاني فتابع الكفاح من اجل التحرير ، ولكن التحرير لم يتحقق الا بعد مرور عدة اجيال ، وهاهو جيل اليوم في هذا البلد ، يجد نفسه امام تركة استعمارية ثقيلة ، وان عليه ان يتمم التحرير الذي كافحت من اجله الاجيال المغربية الماضية . ولو فرضنا اننا لم نوفق في التحرير الكامل للارض ، فان الاجيال المغربية المقبلة سوف تواصل المعركة حتى يتحقق التحرير الكامل لكل اجزاء هذه البلاد . فمن كان يظن ان القضية محصورة في جزء من الزمان ، او جيل من الاجيال ، فهو واهم ، ولا يعرف شيئا عن تاريخ نضال الشعوب ، من اجل استرجاع حقوقها المغتصبة . وعندما نقول ان قضية تحرير الارض ، كل الارض هي قضية اجيال بكاملها ، كنا منطلقين من حدود قضية اخرى مسلم بصحتها ، وهي ان الارض ملك للامة كلها ماضيا وحاضرا ومستقبلا ، وليست ملكا لجيل محدود او اجيال محدودة . وما دامت كذلك ، فلكل جيل ياتي الحق في تحريرها بما في قبضته من الوسائل . واذن فالمعركة دائما مستمرة .

فاس : عبد العلي الوزاني

باديس المجاهدة

بقلم : باحث

خلال فترات من الزمن ظلت مناطق ومدن ومراكز ساحلية مغربية – لخصائصها وميزاتها الطبيعية او الاقتصادية او الحربية « الاستراتيجية » مصدار للاضطرابات وهدفا للهجمات العدائية المتوالية ، الامر الذى جعل تربتها الممتزجة بالنجيع الاحمر الداكن اشبه ما تكون بمستنقع دموي ! هذه الحالة تنطبق الى حد كبير على باديس المدينة الشهيدة ، وباديس الجزيرة المجاهدة . وفيما يلي نحاول أن نلقي نظرة تاريخية على كلتيهما :

اولا – باديس المدينة الشهيدة

كانت تقع على شاطيء البحر الابيض المتوسط فى الجزء الشمالي الشرقي من المملكة المغربية ، يحيط بها جبلان شاهقا الارتفاع ، ويصب عندها نهر يحمل اسمها ، ويتحول مجراه الادنى عند هطول الامطار الغزيرة الى مستودع طبيعي للمياه رائع الجمال ، بنيت هذه المدينة على انقاض المدينة الرومانية بريتينا Parietina ويدعي البعض ان الذين بنوها هم القوط ، ولكن الحقيقة أن بانيها هم المغاربة .

كانت مدينة باديس تكتسي اهمية تاريخية عظيمة ، بل كانت اهم مدينة باقليم الريف فى الفترة الممتدة بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين (الحادي عشر والسادس عشر الميلاديين) ، وكانت مرفأ مدينة فاس ، ومنفذ اقليمها الى البحر .

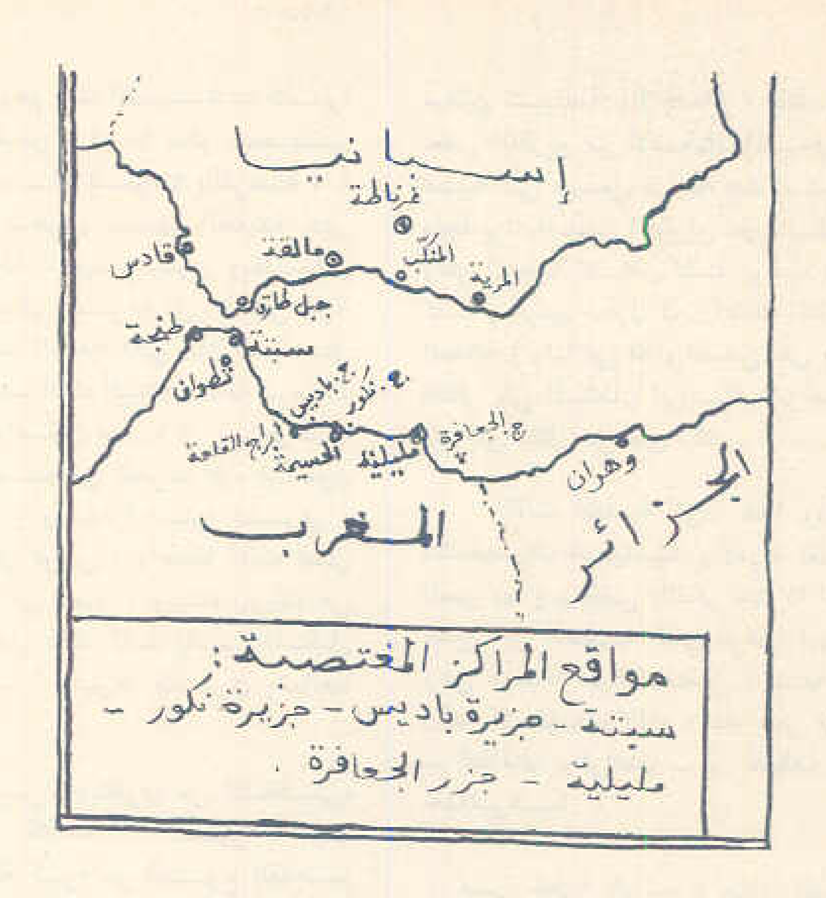
كانت باديس مؤلفة من نحو 600 دار تتوسطها ساحة بها دكاكين كثيرة ومسجد جامع . وداخل المدينة كان يقع حي الملاح ، وهي حي مستطيل وجميل ، وكان يسكنه اليهود بطبيعة الحال ؛ كما كانت تباع فيه الخمر فيرتاد حاناته البحارة وغيرهم ممن اعتادوا الشراب والغناء فى فترات راحاتهم التي كانوا يتركون فيها سفنهم بالبحر فتظل لفترة ما تداعب امواجه الهادئة تارة ، وتقاوم امواجه الثائرة تارة اخرى .

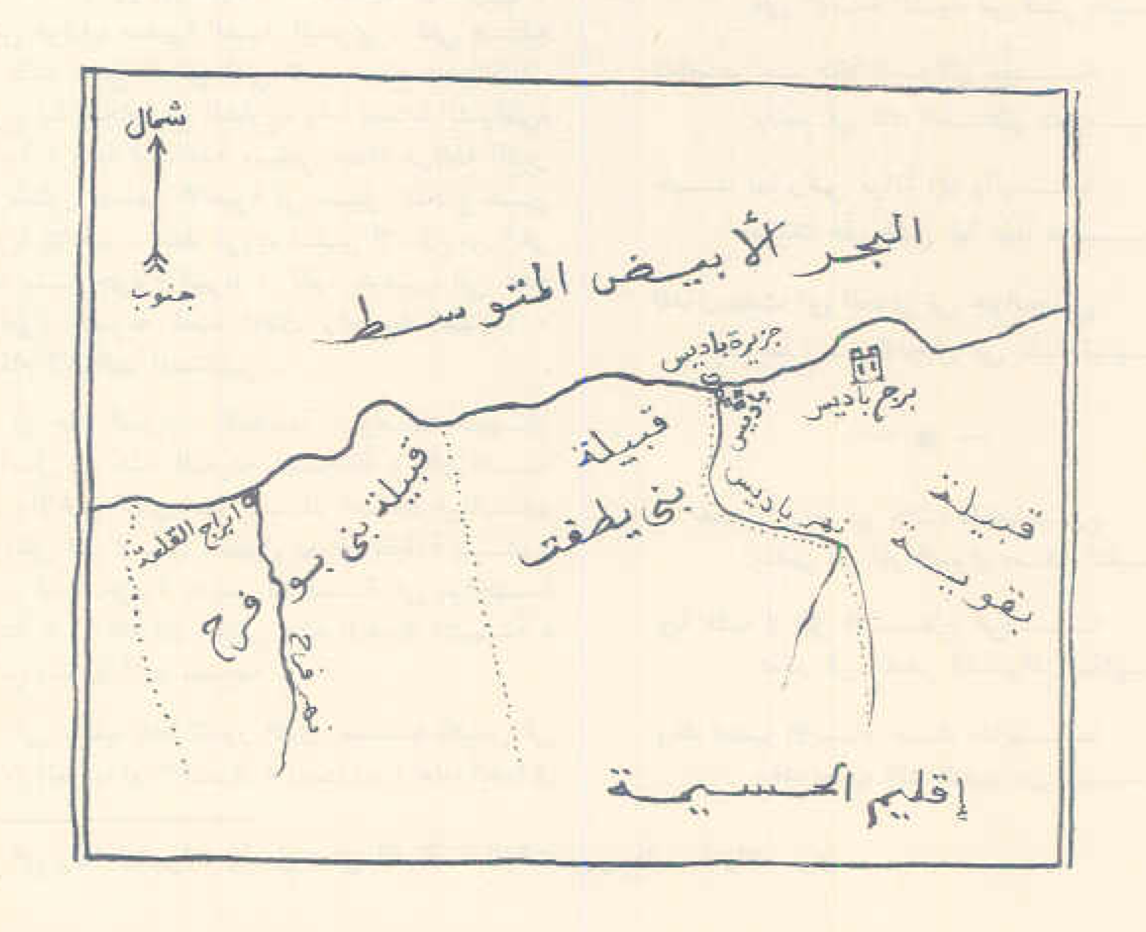
وكان يوجد بالمدينة قصبة (قلعة) جميلة ، يسكنها حاكم المدينة ، كما كان يسكن قصرا بخارج المدينة تحوطه حدائق غناء ، وكانت المدينة تتوفر على مياه الشرب تستقيها من بئر بجوار ضريح ولي الله العارف به ابي يعقوب الباديسي احد ابناء هذه المدينة البررة .

وكان سكان باديس يشكلون ثلاثة أصناف :

1 – احدهم يمتهن مهنة صيد السمك ، فياخذ اهل المدينة والواردون عليها كفايتهم ، ويملح الباقي الفائض على الحاجة ، ويرسل الى القبائل المجاورة او الاسواق القريبة .

2 – وثانيهم يحترف حرفة قطع الاخشاب من الغابات القريبة ، واعداده للصناعة ، ونقله الى مختلف الجهات .


إسبانيا
غرناطة
المنكب
المرية
مالقة
قادس
جبل طارق
طنجة
سبتة
تطوان
ج. باديس
ج. نكور
أبراج القلعة
الحسيمة
مليلية
وهران
الجزائر
المغرب
مواقع المراكز المغتصبة :
سبتة - جزيرة باديس - جزيرة نكور -
مليلية - جزر الجعافرة .


شمال
جنوب
البحر الأبيض المتوسط
جزيرة باديس
برج باديس
قبيلة بني يطفت
قبيلة بقوية
قبيلة بني بوفرح
أبراج القلعة
نهر باديس
إقليم الحسيمة

3 ــ وثالثهم ــ وهم بيت القصيــد ــ كانــوا يمارسون الجهاد في البحر ، أو ما يحلو لبعضهــم ــ غربيين وعربا للاسف ــ أن يسموه « بالقرصنة » ، كان هؤلاء المجاهدون يذهبون بسفنهم الخفيفة حتى شواطيء اسبانيا المقابلة ، فيضربــون ويفتنــون ويسبون . ذلك ان الجبال المشرفة على باديس غنية بالاشجار ذات الاخشاب الجيدة التي كان السكــار يصنعون منها ــ الى جانب اثاث البيت ومتاعه ــ سفنا وقوارب اعتاد الحاكم والسكان معــا أن يسلحوهــا ويرسلوها الى بلدان المسيحيين للحرب تارة فيلحقون بهــا اضرارا فــادحة ؛ وللتجارة تــارة اخــرى ، فكانت تصل بسلعها الى تونس ، واحيانا كانت تصل حتى ميناء الاسكندرية في مصر ، وميناء بيروت في بلاد الشام . وفي مقابل ذلك كانت باديس تستقبل سفن البندقية (بايطاليا) وغيرها فتشتري بضائعها اما نقدا واما مقايضة .

خارج قصبة باديس ، وبالقرب من الشاطــيء كانت توجد دار صنعة Arsenal صغيرة ، حيث كانت تبنى سفن حربية كبيرة من النــوع القديــم ــ طبعا ــ او زوارق خفيفة ذات مجاذيف وصاريين ، او حتى قوارب صغيرة للصيد البحري . ففي هــذه الدار كانت تصنع السفن التي كانت تسلح ــ كما قلنا ــ وتسرح اما للتجارة مع الخارج ، واما لحماية الشواطيء المغربية ، واما لمساعدة مسلمي مملكة غرناطة الذين كانوا يلفظون نفسهم الاخيرة في سبيل الدفاع عــن حرية بلادهم . وبعد غروب شمس الاسلام من آخر معاقله بشبه جزيرة ايبريا ، كانوا يذهبون الى هذه الشواطيء الايبرية قصد اقلاق راحــة اهلهــا ، والانتقام لاخوانهم المسلمين .

ان هذه الغارات الانتقامية ، وهــذا الجهــاد المتواصل من هذه المدينة الشجاعة ، كان السبب الاول والاخير الذي حدا بملــك اسبانيا فرنانــدو الكاثوليكي الى ارسال اسطول بحري بقيادة بيــدرو نفــارو فغزا جزيرة باديس الواقعــة في مواجهــة المدينة ، وبذلك كتم انفاس هذه المدينة الشهيدة ، وضايق سكانها اشد مضايقة .

الى جانب هذا الدور الذي لعبتــه باديس في مجالات الحرب أو الاقتصاد ، لعبت دورا هاما أيضا في ميدان السياسة والاجتماع ، فقد كانت ملاذا يلوذ به بعض الفارين من الاضطهاد المسيحي الذي صب جام غضبه على مسلمي غرناطة بعد استسلامها ؛ كما كانت ملجأ يرتاده بعض الثائرين على السلطة المركزية ... ولكن اريحية السكان كانت ترحب بالاولين ، بينمــا كانت وطنيتهم تحول دون افلات الفاريــن من وجــه العدالة ؛ ولنا في القاء القبض على منصور بن سليمان الثائر على السلطان أبي سالم ابراهيم بن أبي الحسن المريني مثال حي على ذلك .

وكانت المدينة فوق هذا وذاك تستقبل بعض الشخصيات السياسية والادبية لقضاء بعض لحظات العمر بها ؛ ونخص بالذكر هنا ذا الوزارتين لســان الدين ابن الخطيب الذي قرض فيها سينيته الرائعة وهي قصيدة طويلة النفس ، بديعة اللفظ والمعنى ، رائعة الاسلوب والاداء ، قد يحز في نفس الاديــب ــ للطافتها وطرافتها ــ أن يقتطف منها ولا ياتي على حذافيرهــا :

عسى خطرة بالركب يا حادي العيــس
على الهضبة الشماء من قصر باديــس

لنظفــر مــن ذاك الــزلال بعلــة
وننعم في تلك الظــلال بتعريــس

حبست بها ركبي فواقا (1) وانمــا
عقدت على قلبي لها عقد تحبيــس

لقد رسخت آي الجوى في جوانحــي
كما رسخ الانجيل في قلب قسيــس

— * —

الا نفس يا ريح من جانب الحمــى
ينفس من نار الجوى بعض تنفيــس

ويا قلب لا تلق الســلاح فربمــا
تعذر في الدهر اطــراد المقاييــس

وقد تعتب الايــام بعــد عتابهــا
وقد يعقب الله النعيم من البــوس

(1) اي وقتا قصيرا ، وأصل معنى الفواق : الوقت بين حلبــة واخــرى .

وحانـة خمـار هدانـا لقصدهـا
شميم الحميا واصطكاك النواقيس

تطلـع ربانيهـا من جـداره
يهينم في جنح الظـلام بتقديس

بكرنا وقلنـا اذ نزلنـا بساحـة
عن الصافنات الجرد والضمر العيس :

ايا عابـد الناسـوت انا عصابـة
اتينا لتثليث ، بلـى ولتسديس !

وما قصدنـا الا المقـام بحانـة
وكم البس الحق المبين بتلبيس ! ؟

فانزلنـا قـوراء فـي حنياتهـا
محاريب شتى لاختلاف النواميس

بدرنا بها طين الختـام بسجـدة
اردنا بها تجديد حسـرة ابليس

ودار العـذارى بالمـدام كأنهـا
قطا تتهادى في رياش الطواويس

وصارفنا فيهـا نضـارا بمثلـه
كأنا ملأنا الكأس ليـلا من الكيس

وقمنا نشاوى عند ما متـع الضحـى
كما نهضت غلب الاسود من الخيس

فقال : لبئس المسلمون ضيوفنـا !
اما ـ وابيك الحبر ـ ما نحن بالبيس

وهل في بنـي مثـواك الا مبـرز
بحلبة شورى او بحلقة تدريس ؟

اذا هز عسـال اليراعـة فاتكـا
اسال نجيع الحبر فـوق القراطيس

يقلب تحت النقع مقلـة ضاحـك
اذا التفت الابطال عن مقل شـوس (2)

سبينا عقار الروم في عقـر خانهـا
بحيلة تمويـه وخدعـة تدليس

لئـن انكرت شكلي ففضلي واضـح
وهل جائز في العقل انكار محسوس ؟

رسيت باقصى الغرب ذخر مضنـة
وكم درة علياء في قاع قامـوس ؟

واغربت سـوسي بالعـذيب وبـارق
على وطن داني الجوار من «السـوس (3)»

ثانيا ـ باديس الجزيرة المجاهدة

حجرة باديس ، او جزيـرة باديس كما كـان يدعوها الاهالي ، او شبه جزيرة باديس كما هي الان، تقع عند مصب نهر باديس الذي يخترق ما بين قبيلتي بقوية وبني يطفت باقليم الريـف ؛ وهي في الحقيقـة عبارة عن صخرتين متصلتين : كبرى وصغرى ، طول الاولى 250 متر ، وعرضها مائة متر ، بينما ارتفاعهـا يبلغ خمسة وثمانين مترا ؛ اما الصغرى فطولها مائـة متر وعرضها اربعون مترا . وليس بالجزيرة ماء ، ومن ثم فهي خلو من النبات والخضـرة . وسكانهـا من مدنيين وعسكريين يتزايدون وينقصون تبعا للظروف.

تقع الجزيرة في مواجهة اطلال المدينة الشهيدة اي في مواجهة الشاطىء المغربي ، وقد كانت في القرن السادس عشر تبعد عن البر بمقدار ميل ، وظلـت تقترب شيئا فشيئا الى أن صارت قبل سنـة 1934 تبعد فقط بأربعين مترا ، ولكنها في هـذا التاريـخ ازداد حنينها الى امها القارة الافريقية ... الى الوطن الام ، كما تحن الابل الى اعطانهـا ـ على حد تعبيـر الشاعر المرحوم أحمد شوقي ـ فالتحمت به التحاما شديدا فلم يعد يفصل بينهما وبينه الا برزخ صغير ، تشكل بفعل تراكم الطـي الذي اتى به نهر باديس على مر الايام وكر الاعوام ليقدم بذلك ، الدليل ، الواضح المحسوس الثابت الدائم على مغربية هـذه البقعـة الطيبة من ارض الوطن ! وقد أتيح لي عبور هذا البرزخ

(2) شوس : جمع شوساء ، من شاس اذا نظر بمؤخر عينه تكبرا أو غيظـا .

(3) السوس الاولى بمعنى السجية والطبع ، والسوس الثانية يقصد بها اقليم السوس الادنى وعاصمتـه طنجة بينما الاقصى يوجد بجنوب المغرب . اما العذيب وبارق فموضعان بالكوفة ذكرهما أبو الطيب حين قال :

تذكرت مـا بين العذيـب وبـارق مجـر عوالينـا ومجرى السوابـق



السيد عبد السلام السويسي السفير المغربي الذي توجه الى مدريد سنة 1877 لاقنـــاع الحكومـــة الاسبانية بوجوب تخليها عن قطعة سانتاكروز ديمار بيكينـــا



السفير الحاج عبد الكريم بريشة الذي كان بمدريد سنة 1878 – 1282 ومهمتـــه اداء قيمة ماليـــة قبل التخلي من طرف اسبانيـــا على سانتاكـــروز

« الوطني » أوائل عهد الاستقلال حين قمت بزيارة تفتيشية للمدرسة البحرية التي كانت بهذه الجزيرة الشجاعة ، رد الله غربتها وجمع شملها وشمل اخواتها ببقية التراب الوطني .

في عهد الملك فرناندو ــ كما أشرنا آنفا ــ غزا اسطول اسباني قوي بقيادة بيدرو نفارو هذه الجزيرة لاول مرة سنة 913 هـ (1508 م) ، وبنى الاسبان بالجزيرة قلعة حصينة ، وامدها بالجنود ومواد الغذاء ، وبمدفعية قوية كانت تصوب فوهاتها نحو شوارع مدينة باديس فتقتل الناس في شوارعها وحتى في مسجدها الجامع ، وتقلق راحة السكان باستمرار .

طلب حاكم المدينة النجدة من سلطان المغرب محمد الوطاسي ــ الملقب بالبرتغالي نظرا لسنوات الاسر السبع التي قضاها عند البرتغاليين قبل توليه السلطنة ــ فجاء المدد مؤلفا من عدد وفير من جنود المشاة : ولكنهم لسوء حظهم لاقوا سوء المصير ، فمات كثير منهم ، واسر آخرون ، ومن بقي عاد الى فاس كليلا جريحا ... واذا خسر المغرب هذه المعركة فانه لم يخسر الحرب نهائيا ، وهي سجال دائما . يقول محمد بن الحسن الوزان الفاسي الذي أسره القراصنة ومسحوه وعرف باسم «خوان ليون أفريكانو»: ان الجزيرة ظلت في يد المسيحيين مدة عامين اثنين، غير أن جنديا اسبانيا قتل قبطانا اسبانيا سخر من زوجته ، ففر ذلك الجندي الى مدينة باديس واتاح للمسلمين فرصة الانتقام من المسيحيين بتقطيعهم اربا اربا ، فجازاه حاكم المدينة وملك المغرب .

يقول « خوان ليون أفريكانو » : انه سمع هذا سنة 1520 عند ما كان في نابولي ــ بايطاليا ــ من شاهد عيان مسيحي حكاها على طريقته المسيحية . ثم اضاف هذا المؤرخ المغربي الاصل : وهذه الجزيرة الان محروسة جيدة بمساعدة الملك ، حيث انها تشكل اقرب ميناء الى فاس ، فلا يفصلها عنه الا عشرون ومائة ميل ، وهي المسافة التي تفصل هذه العاصمة عن ساحل البحر الابيض المتوسط ، (وصف افريقية : الترجمة الاسبانية ص 171) .

ان هذا القول يدل على أن الجزيرة استردت من الاسبان قبل سنة 1520 أو خلالها على الاقل ، وهو القول الذي اعتمده مؤرخو المغاربة . بيد ان الاسبان يوردون في كتبهم انهم فقدوا الجزيرة سنة 1522 . ومهما يكن من امر ، فانهم لم يلبثوا ان اخذوها مرة اخرى سنة 971 هـ (1564 م) ؛ ولكن كيف أخذوها؟ سلما أم حربا ؟

يذكر اليفرني في كتابه « نزهة الحادى » ان باديس في جمادى الاولى 965 (فبراير ــ مارس 1558) كانت للاتراك ... في هذا العهد حاول الملك السعدي عبد الله الغالب بالله تفادي تردد الاسطول العثماني فمنح اسبانيا تلك الجزيرة . ويقول مؤلف عسكري اسباني : ان نائب الملك باقليم قطلونيا : « غرسيا دي طوليدو » ربح هذه الجزيرة للاسبانيا بصفة نهائية سنة 1564 ... ولكن السؤال ما زال مطروحا : اسلما ام حربا ؟

اذا كان ما ذكره اليفرني ــ الناقل عن مؤرخ مغربي مجهول الاسم ــ صحيحا ، فان الملك السعدي حينئذ يكون في هذا اشبه بمن غسل دما بدم ! على ان اليفرني راوي الخبر ، قد تنصل من عهدته قائلا : انه رآه ــ مع اخبار اخرى مخلة بالشرف ــ في اوراق (4) مجهولة المؤلف اشتملت على ذم الدولة السعدية .

معظم المراجع تنتهي عند هذا الحد ، وتذكر ان جزيرة باديس ظلت في أيدي الاسبان منذ ذلك العهد، بيد ان الحقيقة تكمن في غير ذلك . يذكر وزير الملك العلوي أسد المغرب المنصور مولاي اسماعيل ، أبو عبد الله محمد بن العياشي في كتاب « زهر البستان » أن هذا العاهل المغربي القوي ، أمر قائده علي بن عبد الله الحمامي ان يعين من ينوب عنه في حصار سبتة ، وان يترأس الحملة الجديدة التي جهزها له مولاي اسماعيل ، ويذهب بها لحصار حصن باديس .

وفعلا ، توجه هذا القائد في شعبان عام 1113هـ (يناير 1702) فوصل ساحة ثغر باديس في أوائل رمضان ، وحشر قبائل الريف ، واحاطوا بالحصن

---

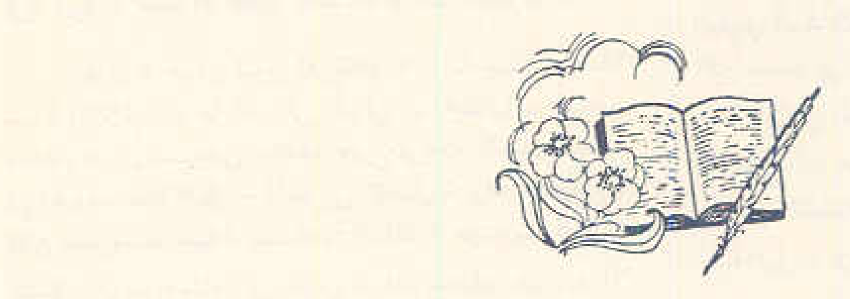
(4) نشر معهد العلوم العليا ــ كلية الآداب ــ والعلوم الانسانية الان ــ هذه الاوراق باسم تاريخ الدولة السعدية ، وبعناية المستشرق الفرنسي جورج كولان . راجع الصفحة 36 وما بعدها ــ طبعة المطبعة الجديدة بالرباط سنة 1353 هـ (1934 م) .

الذي اختطه الافرنج ، ثم نصبوا السلالم على أسواره ، واقتحموه على النصارى الذين كانوا به، فمات بعضهم، واسر الباقون ؛ واستولى المجاهدون على الحصن ، ثم امرهم السلطان بهدمه ، فهدموه تهديما ، وارسلوا السبي الى حضرة السلطان .

ويظهر ان الاسبان تمكنوا فى فترة اخرى لاحقة من استرجاع سيطرتهم على الحصن ، ومن ترميمه ا وهو لا يزال فى ايديهم حتى الان . وهم يعترفون فى الوقت ذاته بأن الجزيرة واهلها الشرعيين ظلـوا يقاومـون الاحتلال الاجنبي على الدوام ... يقول احدهـم : « منذ احتلال الجزيرة الى نهاية الحرب مع المغرب ـ يقصد حرب الريف التحريرية ـ ظلت هدفا لنيران العدو كلما اراد هذا » .

ان جلالة ملك المغرب مولاي الحسن الثانـي ـ أيده الله ونصره ـ ومن ورائه الشعب المغربي كله بقضه وقضيضه ، يطالب الان هيئة الامم المتحدة ، وبكل وسيلة مشروعة ، بوضع حد لسائر الجيـوب الاسبانية بتراب المملكة المغربية شمالية وجنوبيـة . فعسى ان تتفهم الجارة الحال ، وتستجيب لما يقتضيه تطور الزمن ، ويتطلبه حسن الجوار ، فتوفر بذلك مجهودات يعتبر المغرب واسبانيا معا فى اشد الحاجة الى بذلها فى ميادين الاصلاح الاجتماعي ، والتقـدم الحضاري ، والتعاون المثمر .

تطوان : باحـث



المشرق يكتشف نفسه في المغرب المعاصر

للدكتور عبد الهادي التازي



ان سائر ما ينعم به المغرب من تراث فكري وذخر روحي وثراء حضاري كان معظمه ــ ان لم أقل كله ــ من المشرق ، تلك التربة الطاهرة المعطاء التي يبتديء منها ظهور النور على أطراف المعمور ، لكن هذا المغرب الذي تنتهي اليه تلك الانوار وتستقر فيه وتنام ، هو ذلك المغرب الذي احتفظ بكل معالم المشرق احتفاظ العطشان الظمآن ، وتمسك بكل تلك الملامح تمسكا جعلته الى اليوم فى مصاف الدول التي تزخر بمظاهر الاصالة فى الفن والاصالة فى السلوك والاصالة فى الابداع .

وان ذلك الاحتضان وذلك الاحتفاظ وذلك التمسك من المغرب لا يرجع فقط الى وازع من ضمير ورقة من شعور ، ولكنه يرجع ــ وهذا مهم ــ لكون المغرب الاقصى استطاع ان يقاوم التدخل الاجنبي فى شؤونه طيلة القرون الماضية ، واستطاع ان يحمي نفسه ببسالة وضراوة من ان تتسرب اليه اية امة ، وحتى الخلافة العباسية بما كانت تملكه من وسائل وعوامل لم تسطع ان تركع هذه المملكة ، وهكذا فلقد كان الخليفة هرون الرشيد عند ما كان يخاطب السحابة التي ظللت بغداد والتي لم تلبث ان انصرفت فى اتجاه الغرب : « اذهبي ايتها السحابة اني شئت فان خراجك راجع الى » ، كان يشعر وهو يخاطبها بمرارة زائدة لانه كان يعرف ان خراج المغرب الاقصى خارج عن منطقة نفوذه .. ! وحتى الامبراطورية العثمانية التي تمكنت من اقتحام كل بلاد المشرق وتمكنت من السيطرة على جل الشمال الافريقي لم تستطع ان تخترق الحدود للوصول الى بلاد المغرب الاقصى وحتى الدول الاوربية التي فرضت سيطرتها أواسط القرن التاسع على مختلف جهات المعمور واخذت بناصية الحكم فى طرابلس وتونس والجزائر وقفت دون ان تجرؤ على المس بالسيادة المغربية .

ومن اجل ذلك كله بقيت المملكة البلد المسلم والعربي الوحيد الذي احتفظ بنفس الطابع ونفس الروح ونفس المظهر الذي كان له منذ ان وصلت اليه الطلائع الاولى من بلاد المشرق ... احتفظ بها فى مذهبه ومحرابه وفى منارته وداراته فكان بذلك صورة صادقة لما كان عليه المشرق فى فجر تاريخه ، وكان بذلك المرآة الصافية التي تعكس ظروف الحياة ، وطريقة السلوك ووسيلة العيش .

واذا كان عدد الشخصيات المشرقية التي حلت بالمغرب محدودا فان الجسور التي عبر منها المغرب الى بلاد المشرق كانت متعددة ومتوالية حيث تمثلت فى بعض الشخصيات المغربية التي قدر لها ان تنتقل عبر تلك البلاد مستفيدة مفيدة كما تمثلت فى الاثر العلمي أو الفني الذي وجد طريقه نحو تلك الديار ، وتمثل فى النجدات التي ما فتىء المغرب ــ على بعده ــ يقدمها للمشرق فى شكل حشود وبعوث ...

وهكذا نسمع عن عدد من المغاربة ممن انتهت اليهم الرياسة في البصرة ... ونسمع عن بعضهم ممن أسند اليهم الاشراف على الطب في بعض بلاد المشرق .. ونسمع عن الرسل الذين كانوا دعاة لنشر الاسلام في جزر (مالديف) ودعم المذهب المالكي اثناء ظروف اضطهاده !

وما تزال بلاد آسيا ودول الخليج ، ومدن الحوض المتوسط تذكر بلاد المغرب على أنها البلد الرائد الذي لم يتهيب الرحلة من أجل اداء الواجب وما تزال تلك الجهات تحتفظ باسماء مغربية اسهمت في الاحتفاظ بشخصيتها ومقوماتها ... وما تزال تلك البلاد تذكر باعجاب مثالية السفراء المغاربة الذين كانوا ينفذون اليها حاملين رسائل الحب ورسائل السلام ورسائل الاخاء كما ان تلك البلاد ما تزال تذكر في اعجاب وفخر وشهامة ومنعة المتطوعة من اهل المغرب الذين كانوا يشيدون الربط ، ويخوضون المهالك حماية لذلك المشرق ان تمسه ايادي السوء .

ولقد كانت رسالة الاعتماد التي حملها السفير ابن منقد الى الخليفة المنصور الموحدي من السلطان صلاح الدين تتضمن عددا من المقاطع الدالة التي تستوجب الوقوف عندها ...

وتتجلى الاهمية الكبرى التي كان يوليها المشرق للمغرب في ظاهرتين اثنتين : أولاهما ان صلاح الدين كان يعتزم الانضواء تحت راية الموحدين ونبذ تبعيته العباسيين وانه من اجل هذا الغرض زود سفيره بتعليمات مكتوبة تتضمن « ضرورة استقراء اخبار المغرب فيما يجبونه من القول نزره وجمه ومن اللقاء منبسطه ومنقبضه ومن التحيات المتهاداة بينهم ما صيغته وما موقعه ، وهل هي من السنن الدينية أو العوائد الملوكية ... »

الظاهرة الثانية ان صلاح الدين كان على علم تام بما يتوفر عليه المغرب من قوة بشرية جعلته يكتسح البحار على ذلك العهد ، وتعبيرا عما يكنه السلطان صلاح الدين حيال المغرب نجد مثل هذه العبارة المختصرة الدالة التي خاطب بها المنصور ، قال صلاح الدين : « ان المشرق ولو انه مطلع الشمس لكن للمغرب حق الافتخار بأن مئاب تلك الشمس اليه في النهاية » .

واذا كان المغرب قد قام بواجبه في رد العدوان عن بلاد الشام على ذلك العهد مما تفسره عشرات المواقع وعشرات الاحياء التي تحمل الى اليوم اسماء مغربية ، فانه اي المغرب لم يكن بعيدا عن اخوانه عندما داهمهم التتر وحاولوا الاجهاز على ممالكهم والاعتداء على اراضيهم كما انه لم يكن بعيدا عن الديار المصرية عند ما امتدت اليها غارات البندقية وجنوة وقبرص ... وقد احتفظ التاريخ باسم الرئيس ابراهيم التازي الذي انتدب ليشرف على دار الصناعة الحربية بالاسكندرية والذي خرجت المدينة باجمعها يوم استقباله هاتفة بالتهليل والتكبير منشدة الزغاريد ... ضاربة على الطبول ...

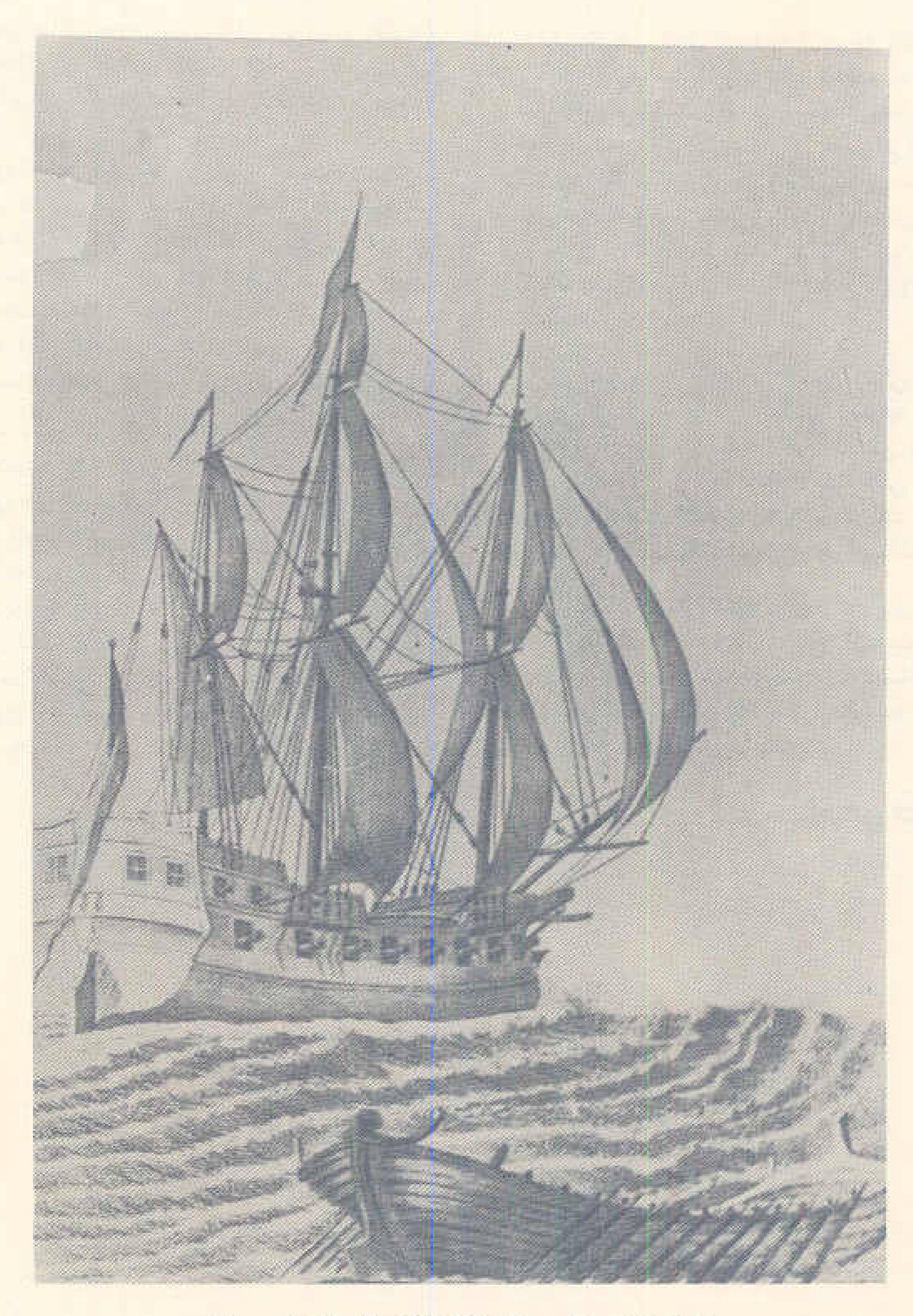
— ❊ —

ان على اخوتنا في امارات الخليج ان يراجعوا الكتب التاريخية المدرسية التي اعدوها لناشئتهم وهي تعالج مراحل تخلص المنطقة من الاستعمار البرتغالي ان للمعركة المغربية الظافرة التي خاضها المغرب ضد مخطط ليشبونة والتي اجهز فيها على ملك البرتغال نفسه نسفت والى الابد اسطورة الوجود الاجنبي على ضفاف الخليج ...

ان ارهاف المغرب بسمعه لكل ما تعرضت له بلاد المشرق من محن واهوال ظل شعار الدول المتعاقبة على الحكم بهذه البلاد وتكفي الاشارة لقضية السلطان المولى سليمان لتدخل نابليون في شؤون مصر ... واشهاره الحرب على امريكا لمحاصرتها مدينة طرابلس الليبية !

لقد اخذ الشرق يبحث عن نفسه اليوم ، اخذ يكتشف شخصيته ، فان ما يستهدف له من حملات صليبية عاتية واستهدف له من غزو تترى أرعن ، وما استهدف له من مد اجنبي اضعف لسانه وبيانه وما تعرض له من ظلم دولي جرح كبرياءه وهدد كيانه ، كل ذلك جعله يشعر بأن مجال البحث وحقل الاكتشاف هو في ارض غير ارض المشرق ، ومن هنا اتجه نحو بلاد المغرب يبحث عن بضاعته الثرية ، يبحث اته نحو بلاد المغرب يبحث عن بضاعته الثرية ، يبحث عن خؤولته وعمومته ، عن اصوله وفروعه ... عن بسامته وقسماته .

ومن هنا لم يعد غريبا علينا ان نرى جوقة زرياب ببغداد تبحث عن أوتاره وتراتيله في المغرب ونراها تصيح باسماعها مسحورة مشدوهة لنوبات « الخمس والخمسين » !



مركب حربي مغربي ذو 22 مدفع على عهد سيـــدي
محمد بن عبد الله

ومن هنا لم يعد غريبا علينا ان نرى نفس الصناع الذين عملوا فى القباب المغربية يعملون انفسهم فى القباب التي شيدت فى عاصمة الرشيد ، ومن هنا لم يعد غريبا علينا ان نرى المهرجانات التي تنظم على المستوى الدولي للتعريف فى اوربا بحضارة المشرق تفكر اول ما تفكر فيما صمد من مظاهر تلك الحضارة فى زوايا المغرب ، ومن هنا لم يعد غريبا علينا أن نرى مصير المشرق يقرر فى بلاد المغرب وفى الجسور الجوية تنصب كما نصبت بالامس الجسور البرية والبحرية لنقل الجند والعتاد من اجل رفع الظلم عن مشرقنا الغالي .

لقد نسي السياسيون ان الموقف المشرف الذي اجمعت عليه القارة الافريقية لادانة العدوان الصهيوني على المشرق لا يرجع الفضل فيه فقط الى الحملات الديلوماسية بقدر ما يرجع فيه الفضل الى اولئك المغاربة الاوائل الذين نشروا رسالة العدل والسلام بربوع افريقيا ، ان السياسيين او بعضهم على الاقل ـ لم يرجعوا الى جذور الماضي ليتعرفوا على البذور الطيبة التي بثها هناك المرابطون والموحدون والمرينيون والسعديون والعلويون عبر الصحراء المغربية ...

لم يكن من قبيل الصدفة ان يرحل ذلك المشرق الى هذا المغرب بملوكه ورؤسائه وقادته ليصل رحما حالت ازمان المحنة عن وصله ، وحالت ظروف النقمة عن تغذيته وانعاشه ، ان يجمع الشرق الاسلامي والعالم العربي على العودة الى مستقره ومستودعه الذي احتفظ فى امانة واخلاص بذلك الرصيد بل والذي ـ اكثر من ذلك ـ قام بانماء ذلك الرصيد واثرائه من غير انتظار فائدة ، ولا ترقب عائدة !

ان مغرب جلالة الملك الحسن الثاني يعيد الى الذاكرة مغرب يوسف بن تاشفين ومغرب يعقوب المنصور ، ومغرب السلطان ابي الحسن ومغرب المنصور الذهبي بل انه حقق الامنية التي داعبت مخيلات اكبر قادة الشرق الاسلامي ، تلك الامنية التي عجز عن تحقيقها سائر الذين طواهم التاريخ ...

ان ما شاهدناه وسمعناه وقرأناه قبل وأثناء وبعد القمة الاسلامي والعربي جدير ان يسجل فى التاريخ على انه فصل مهم يتحدث عن اكتشاف الشرق لنفسه على هذا الجناح الثاني من عالمه الزاخر بالمآثر المليىء بالمفاخر ...

د. عبد الهادي التازي





لغة الاستعمار اشبه ما تكون بلغة المحموم ، ليس لها اساس واضح في التعبير ولا قوى في العرض ، ولا تناسق في الافكار .. لذلك فهي وثبات لغوية فكرية لا تجد وسيلة لدحضها بالعودة الى الاصالة ، ولغة الفكر السليم ، لتكون حجة يرجع اليها من اراد الاستبانة والفهم والخروج من المغالطات والاكاذيب .

.... ومن هنا نتساءل عن الصحراء المغربية ؟ وهل هي جزء من المغرب في نوع من تفسير الواضح ، وشرح البديهي ، والجواب عن الجواب .

فما كانت الصحراء المغربية الا المغرب الجنوبي ، وما كان الشمال المغربي الا الصحراء الوارفة اي امتداد الصحراء جغرافيا غير الصحراء بيئيا ..

ومع ذلك ، فنرجع لتوضيح الواضح ، وبيان البين ، بكتابة هذا العرض المقتضب عن الصحراء الجنوبية التي ترتبط بشمال المغرب ارتباطا وثيقا على اساس المعطيات الاتية :

اولا : المعطيات الجيولوجية التي يعسر معها علميا عزل الصحراء عن افريقيا الشمالية ، فالاطلس الصحراوي الذي يفصل شمال المغرب عن جنوبه الصحراوي يتصل جنوبا في امتداداته الجيولوجية بنجاد حمادة الصخرية العارية .. كما ينعدم اي فاصل مناخي في الشمال والجنوب لان غزارة الامطار في مرحلة ما قبل التاريخ والتي توازي فترات التجلد في الاطلس الكبير كانت تمد وديان الصحراء وانهارها بالمياه المتدفقة التي يتولد عنها خصب التربة ووفرة الاعشاب وتنوع الاشجار .. ولم يتطور المناخ نحو الجفاف الا بعد العصر المنستيرى ، حيث اصبحت الارض تأخذ الطبيعة الصحراوية وينقلص عنها النبات الى الشمال والجنوب ، وبالتالي يغبض ماؤها وتنسحب حيواناتها الى الشمال احيانا ان كانت متحملة للبيئة الباردة والى الجنوب احيانا اخرى ، ان كانت من فصائل حيوانات الاقطار الحارة .

ثانيا : المعطيات (البيتولوجيا) ذلك لان وجود حيوانات مالوف العثور عليها في البلاد الحارة كالفيل والاسد والفهد وفرس البحر والكركدن والنعام والزرافة والظبي ، كانت كلها تمرح في جبال المغرب وكثبان الصحراء قبل ان يتغير جو الصحراء وتطاردها قسوة الطبيعة الى الجنوب .. وكان من المالوف ان يشاهد الجاموس في اودية الصحراء ومرابعها قبل ان تتحول ارضها الى الجفاف .. ولقد عثر الباحثون في الآثار الصحراوية على صور للجاموس القديم Bubalus antique

الذى عاش في آخر عصر البلستوسين كما كان الفيل الافريقي يتهادى في ربوع الصحراء الى ان انقرض امام زحف الرمال التي لم تتحمل قوامه السميكة ان تتحرك حين تغوص بها .. وخلفه الحمل

الــذى حمل سكان الشمــال علــى التوغل فــي الصحراء كما عثر الاثريون على صور منحوتة على صخور عتيقة بالصحراء بهــا صور للكبش الــذى يحيط براسـه غطـاء مدور الشكل والــذى يظـن الباحثون ان له علاقة بعبادة الكبش عند المصريين القدماء الذين كانوا يرمــزون بعبادتــه الى عبــادة الشمس .

ثالثا : المعطيات : الانتربولوجية التي تبرهــن عن وحدة السكان بافريقيا الشمالية والصحــراء ، ومن المعروف ان يتحدث الانترلوجيون عن الانسان الاول المغربي وعن صلته بافريقيا فيما قبل التاريــخ ثم عن وحدة المتسـاكنة فى هجراتهم المتواليــة على المغرب ، ورغم الاحتمالات الكثيرة والمفرضة فــي نفس الوقت فان العلماء المختصين لا يفرقــون بين سكان شمال المغرب وجنوبه الا بقدر ما تستوجبـه الهجرات من مراحل تاريخية .. وقد استطاع العالم برتولون Bertholoun فــي دراساته العلمية التي اضطلع بها مع بعض العلماء سنة 1913 ان يضــع الانسان الصحراوى فى صنف نوع طويل القامــة مستطيل الراس دقيق الانف طويــل ، دو شعــر اشقر وعينان زرقاوان وبشرة وردية وقــد داخــل هذا الصنف التوايد وتفرع عنه نوعان آخران وهما صنف بيضى الراس ، وصنف مولد عــن اصــل زنجى .. ورغم انتقاد لوبــلان Leblanc لهــذا التصنيف وحصر الاصناف في نطاق ضيق فانه لــم ينكــر معطيات تصنيفات برتــولون ، كمــا جــاء تحليل ذلك فى كتاب تاريخ افريقيا الشمالية اندري جوليان . ولا شك ان امتــزاج سكــان افريقيــا الشمالية بسكــان الجنوب حــدث منذ مــا قبــل التاريخ ، ويرى العلماء ان السكان السود تجاوزوا منذ العصر الحجرى المتوسط الحدود الشماليــة للغابات .. واكتشفت هياكــل بشريــة في جنــوب المغرب لانسان لــه كل خصائص الانسان الزنجــي وهو من احفاد انسان متى العرى الذي عثر عليه فى شمال المغرب ايضا .

رابعاً : المعطيات الاثرية التي تدل عليهــا وحدة الادوات المستعملة فــي المغرب والصحــراء مما يدل على وحدة العمل الحضارى النابع عــن وحــدة البيئــة والعنصــر المتشاكــن .. فالنماذج الموسنيرية تطورت الى ادوات مدنيــة ســواء فى الصحراء او في الشمال في وقت واحد تقريبــا ، واصبحت من انتاجات العصر النيولوتــى .

خامسا : المعطيات الاجتماعية : فقد تطورت الشعــوب الصحــراوية والمغربيــة من صناعــة الحجارة الى الفلاحة والرعى واستخدمت الحجــارة المصقولة وصناعة الفؤوس والادوات الفلاحيــة الاولى لتتحدى المرحلة البدائية الى الحياة الفلاحيــة المستقرة التى اعطت وحدة مدنية وثقافية فبــرزت الانية الفخارية وعليها رسوم فنية وتقدم في النحت سواء في الصحراء كما يظهر في اصنام (تابل بلات) ذات الرؤوس الادميــة الموجودة فــى الصحــراء الشرقية فى العصر النيولوتى ، وفى صنم (افريكا) ذات الراس المغطى بجلد الفيــل الموجود فى افريقيــا الشمالية فيما بعد ذلــك .

سادسا : المعطيــات الثقافيــة وقــد كتب المغاربة فى الشمال بحروف فنيقية شبيهة بحروف التفناغ المعروفة اليوم عند الطوارق مما يدل على وحدة اللغة كما ان الوحــدة الفلكلورية في الرقص والغناء ونشيد الامارير مما يدل على وحدة السكان الصحراويين والمغاربــة .

سابعا : المعطيات الاجتماعية التــي تعتمــد وحدة الاخلاق والعادات ... فقد تشابه الخلق فــي البذل والكرم والمروءة والشجاعة والغيرة والكرامة . وفي وحدة بناء الاخبية التي تكلم ابن خلدون كثيــرا عن مكانتها وانواعها وانتشارها ، مما يــدل علــى وحدة تامة فى الشمال والجنوب المغربى .

ثامنا : المعطيات السياسية حيــث اعتبــر المؤرخون القدماء الصحراء امتداداً لشمال المغرب .. وقد اطلــق الفنيقيون والرومــان علــى المغــرب موريطانيا التي كانت تنقسم في عهد الرومان الــى موريطانيا القيصرية التي كانت عاصمتها في عهــد يوبا الثانى مدينة (شرشال) والتي تأسست باتحاد القبائل في ممالك المــورين الموريطانيين وكانــت ارضا فلاحية خصبة حتى عدها سترابون اخصــب من نوميديا الشرقية .. والى موريطانيا السنيفيــة المؤسسة في موط ستيفين في اواخر القــرن الاول بعد المسيح والى موريطانيــا الطنجية التي كانــت عاصمتها طنجة فكانت موريطانيا القيصريــة تمتــد جنوب موريطانيا الطنجية الــى مــا وراء الاطلــس وشعر الرومانيون بمدى انفة سكان هذه المقاطعــة وعدم خضوعها لحكمهــم نفسهما (كاليولا) الــى مقاطعتين ، الطنجية والقيصرية .. وكان الــرومان



هذه صورة معركة وادي المخازن 4 غشت 1578 وكانت هذه المعركة بمثابة حصار للحملة الصليبية ضد المغرب المسلم



صورة ملك البرتغال دون سيباستيان الذي كان يفكر كسابقيه من الملوك البرتغاليين في احتلال المغرب وتنصير المغاربة وفعلا قام بحملة ضد التراب المغربي لم يسبق لها مثيل وتلقته الجيوش المظفرة للملك السعدي مولاي عبد الملك وكانت الواقعة الشهيرة بمعركة وادي المخازن يوم 4 غشت عام 1578

يطلقون اسم الموريين على سكان جبال الاطلس لم عمموا ذلك على جميع سكان بلاد البربر .

ويستنتج من هذا كله ان الصحراء الجنوبية جزء من المغرب الشمالي وان الصحراويين كانوا اول الامر بعد مرحلة تطور الحضارة الانسانية يعيشون وحدهم قرب ينابيع المياه ، ثم رحل اليهم المغاربة الشماليون بجمالهم بعد الاحتلال الروماني . وبعد ان دخل العنصر العربي الشرقي الى القارة الافريقية فتطورت الصلات بين المغرب والصحراء نظرا لتطور المواصلات ونشاط التجارة بين الممالك الافريقية الجنوبية والشمالية ، فكانت الصحراء همزة الوصل بينهما . كما كانت تحمى القوافل فى طريقها الصحراوي الذي يذكر الادريسي في في النزهة مسالكه المتعددة بين افريقيا الشمالية وافريقيا الشرقية والجنوبية ، و مما كانت زراعة اشجار النخيل مما زاد في طبيعة الصلات التجارية حيث كانت القوافل تحمله من الجنوب الى الشمال ، كما كانت تحمل مادة الملح الى افريقيا عن طريق الصحراء مقابل ضرائب اغنت السكان ، حتى نستطيع ان نؤكد ان سياسة الملح في العصور الاولى توازى سياسة السكر في عهد السعديين ، تلك السياسة التجارية التى كانت عمدة الاقتصاد المغربي .

ولعل القدر الذى اناط شرف التجارة بين اليمن والشام فى رحلتي الشتاء والصيف بقبيلة قريش هو الذى اناط شرف التجارة بين افريقيا الوسطى وافريقيا الشمالية بواسطة الصحراء المغربية كما يذكر بعض المؤرخين ان اهم غزوات زناتة للصحراء توافق عام الفيل العربي فكانت سجلماسة اعظم عاصمة بين الصحراء والشمال في العصور الاولى التي سبقت ظهور الادارسة ، كما اصبحت مراكش بعد ذلك تضطلع بنفس الدور ، وظلت كما يقول (اندرى جوليان) ثغر الاطلس الاعلى المتحسس اصداء الصحراء .

لقد ازدهرت الصحراء المغربية في عهد الاتصالات العربية نظرا لوحدة طبيعة الشعبين ، وكان سكان الصحراء في اصلهم من صنهاجة التي شكلت قبائلها هوارة ولمطة ، اول فوج بربرى غزا الصحراء فى القرن الثالث الميلادى وهذه القبائل هى التي نقلت الاسلام الى التخوم الجنوبية حتى ان السنغالية كلمة محرفة عن الصنهاجية لان صنهاجة برعت فى استخدام الجمل سفينة الصحراء بينما ظلت صنهاجة التل والقبائل الجزائرية قابعتين بالقرب من مراكز المصامدة دون التوغل في اعماق الصحراء .

ولم تابت القبائل الصحراوية ان عرفت الاستقرار حيث بنت القصور ، واشاعت الواحات فنقلت حضارة امازيغ الشمال الى صحراء الجنوب بينما ظل الرومان في الشمال لايتجاوزون (الليمس) وبرزت الحضارة الجديدة واضحة في الوحدة النباتية والحيوانية والتجانس فى بناء القصور وتركيب الخيمة والنوالة والرسم والموسيقى والرقص . حتى اذا جاء الفتح الاسلامى كان عقبة بن نافع اول من جمع اقاليم الجنوب المغربى واول من اثر فيه وطبعه بالطابع الاسلامي ، نظرا لان العرب فهموا بسرعة ان المغرب شعب قبائل ولم يفهم الرومان هذه الحقيقة .

ويرى بعض المؤرخين كما ذكر (توماس ارنولد) ان عقبة فتح التكرور وغانة وان الكنتيين في سلالته بينما يرى آخرون ان عقبة لم يتجاوز الساقية الحمراء . وذكر مؤلف القرطاس ان اسلام بعض اقاليم السودان (اى سكان السود) يرجع الى القرن الاول الهجرى عندما تمكن عقبة من احتلال مدينة تكلاتين قرب السودان كما ان عبد الرحمن بن حبيب والي افريقيا سنة 127 هـ (وهو من سلالة عقبة) حفر الابار في موريطانيا الشرقية فوصل بين الشمال والصحراء عبر سلسلة من الخطارات ويذكر ابن خلدون ان الزناتيين التنزكيين هم معظم سكان مدائر الصحراء واحفادهم من المغراويين والمرينيين الذين احتلوا هذه البلوات الصحراوية .

وفي العصر الادريسي زحف ادريس الثاني بجيش قوامه خمسمائة عربى وجيش من قبائل اوربة حتى وصل الى الاطلس الكبير الذى عجز الرومانيون عن اقتحامه . . . وبذلك اطل المولى ادريس على اطراف الصحراء ودشن طريقا جديدا يصل بين الشمال والجنوب والف اتحادا بين قبائل المغرب المتنافرة والمتعادية حيث برز حاف يضم قبائل اوربة سكان (فوليليوس) المتاثرين بالحضارة الرومانية والاعراف البيزنطية والموالى الزعيم كسيلة المقاوم لعقبة بن نافع . وقبائل (جرارة) انصار الكاهنة داهيا الذين صمدوا ضد الفتح العربى ، وقبائل

سمي المركب البحري الماخر ب : « بشير الاسلام ، بخـــوافق الاعـــلام »



صورة الملكة الاسبانية ايزابيـل الكاثوليكية التـــي اوصت سنة 1504 عند موتهـــا زوجهـــا الملـــك والاسبانيين قاطبة بمتابعة الكفاح ضد ما تسميهـــم باعداء الله وكانت بمثابة موقد لنار الحروب الدينية هذه هي الكلمات باللفظ الموجودة فى وصايتهـــا ولا يجب أن يتهاون فى مواصلة احتلال افريقيا والدفاع عن العقيدة بمحاربة الكفار

(كتامة) المناصرين للدعوة الفاطمية ضد الدولة الاموية . و (صنهاجة) الذين يجتمعون بين قبائل الريف وقبائل سوس في عمود النسب ، ودعاة المرابطين الذين اتخذوا من الحلف البربري في عهد المولى ادريس وسيلة لتقوية شخصيتهم وتكتلهم لمقاومة الزناتيين وقبائل (المصامدة) التي تكتلت بعد ذلك في دولة الموحدين ... ورغم وجود هذا الطريق الجديد بين الصحراء والشمال عن طريق الاطلس الكبير فان سجلماسة بقيت عاصمة الجنوب بصفتها اكبر مخزن تجاري ومركز اقتصادي في البلاد الاسلامية سيما بعد ان تعطلت طريق القوافل التي كانت تصل مملكة غانا بمصر بسبب تراكم الرمال الهوجاء حسبما اخبر بذلك المؤرخ الجغرافي ابن حوقل واصبح المغرب الجنوبي مركزا اقتصاديا لنقل اليد العاملة الى الشرق او ما يعبر المؤرخون الغربيون عنه بالاتجار في الرقيق حسب التعبير الاستفزازي الذي روجه المثقفون الغربيون المحترفون ضد الانظمة الاسلامية وتزايد تدخل صنهاجة في اعماق الصحراء حيث كان عبدالله بن ياسين يضم برباطه بحافتي نهر النيجر قرب سان لوي (التي تمنى ان تأخذ اسمه الاصلي) ولم يلبث ان دعم نفوذ المرابطين في منطقة الصحراء كلها الى غدامس بطرابلس الغرب الى المحيط الاطلسي ، ومن تخوم السودان المغربي ان صح هذا التعبير الى النيجر حيث التبس على جغرافيي الغرب هذا النهر بالنيل لوجود التماسيح في كليهما ، وقد تقاسم يوسف بن تاشفين مع الكداليين الفتوح المغربية حيث واصل هؤلاء الزحف في الصحراء لصد الزحف الزنجي الغاني بينما واصل يوسف بن تاشفين زحفه في الشمال في خط موازي للصحراء فاستوجب عمله فتح الجزائر وتونس واقامة الوحدة المغربية الكبرى وهكذا فوض الصنهاجيون والكداليون والمتونيون مملكة غانة واخضعوا ملكها بتلوتان لنفوذهم كما اخضعوا ازيد من عشرين رئيسا من رؤساء الممالك السودانية . وهكذا ايضا وضع عبدالله بن ياسين نواة التصميم الاولى لدولة المرابطين وتابع يحيى بن ابراهيم الكدالي رسالته فنشر الاسلام في ربوع السودان سنة 427 هـ ووحد الواحات الصحراوية ، وتابع يوسف بن تاشفين الرسالة المقدسة في الشمال لتكوين اعظم امبراطورية مغربية لم تسمح لها الظروف منذ العهد الفنيقي والروماني بتحقيق امنية هذه الوحدة التي طالما كانت شعارا (اغاليد) البرابرة من مسينا الى يوبا الثاني الى عقبة بن نافع فالمولى ادريس الثاني ..

وجاء عهد الموحدين ليدعم الوحدة ايديولوجيا بالمذهب الجديد الذي حمله ابن تومرت ، فلم يهتموا بأمر الصحراء بقدر اهتمامهم بالفتوح الاندلسية ، ومع ذلك فان حركة شعبية قوية على يد الهلاليين اضطلعت بتعريب الجنوب المغربي ، ثم جاء بعدهم بنو سليم فواصلوا رسالتهم اللغوية ، وكانت قبائل بن هلال واولاد سيد الشيخ واولاد جرير ثم بنو حسان في جنوب الساقية الحمراء الذين كونوا مجموعة القبائل الموريطانية واخيرا اندمج بنو معقل في قبائل سوس ، وآيت باعمران . وفي كتاب ابن خلدون ان جزولة استقرت بين سوس والساقية الحمراء ، وصنهاجة في جنوب المغرب ولمتونة بشمال النيجر وعندما انهزم الموحدون في الاندلس جاء المرينيون ليتولوا مهمة انقاذ الاندلس واسسوا عاصمتهم الجديدة في فاس على غرار غرناطة ، وجعلوا مقابرهم في الرباط مركز الانطلاقة والاستشهاد في معركة الاندلس . وكان منسى بن ابى بكر صاحب غانا تحت نفوذ ابى الحسن المريني ويحدثنا ابن بطوطة في رحلته الى السودان عن الاتصال الشديد بين السودان والمغرب وعن القاضي الدكالي ، والتجار المغاربة الذين لقيهم ومشاكل الاقتصاد المشترك بين القطرين ولعله سافر المرينيون الى هذه الناحية ففي ان تتاح لنا فرصة معرفة عمله السياسي في هذه البلاد . وجاء عصر السعديين الذين ردوا الزحف المسيحي في معركة وادي المخازن ، كما حاولوا مقاومة تسرب البرتغاليين الى ممالك السودان والسينغال فتصدى المنصور لطردهم مستعينا برجال الطوارق في الصحراء ثم توغل الى ان وصل توات عام 1581 ، وبعد ذلك بثلاث سنوات وصل الى (ادرار) الى ان بلغ النيجر حيث استقر الباشا جودر بتمبكتو سنة 1591 ورغم ان الفقيه العلامة احمد بابا السوداني وفقهاء المغرب ومثقفوه لم يفهموا هدف عمل المنصور ، ورغم هجماتهم على اختياراته المنصور كان يهدف الى انقاذ الماليك الزنجية من الغزو الاستعماري البرتغالي ، وان يستعين بذهب السودان وثروته لبناء قوة جديدة لغل شركة الاسبان والبرتغال ، غير ان موت المنصور اوقعت البلاد في ازمة اقتصادية وسياسية فانقسم المغرب الى عدة طوائف ارتبطت بدول غربية كان

مهما تفتيت الوحدة المغربية وجاء العلويون من وسط المغرب بتافيلالت ليوحدوا المغرب ويطهروا الشواطيء ويركزوا به دولة قوية تحفظه من الاطماع وتنهي الدورة الخلدونية في الصراع بين البادية والحاضرة والخضوع مؤقتا لزعامة تنتهي لتبتدا اخرى في حتمية النيمة لا تعطى البلاد استقرارا وهدوءا وامنا حتى يواصل الانسان المغربي رسالته الحضارية وواصل العلويون عملهم في تركيز الوحدة بين شمال المغرب وجنوبه ، فوصل المولى رشيد الى نواحي نهر النيجر في مطاردة بعض المتمردين بسوس ، واستقر حلفاؤه في الاقاليم الخصبة في السودان . وجاء المولى اسماعيل ليواصل الوحدة ويرسي بعملية (اللب بين القبائل في الجنوب والشمال) كما في رحلة الزهوني وفي سنة 1734 م 1736 وصل المولى عبد الله الى السودان ولم يتخل عنه الا القائد عمر الفوتي مؤسس مملكة السودان (كما في مجلة هسيرليس مجلد 11 سنة 1930) يستنتج من هذا كله ان الوحدة المغربية كانت هدفا تاريخيا بدات مع التاريخ بسيطة ثم تدرجت مع الفتح العربي لتصل الى قمتها في حركة التاريخ ولولا ان الاستعمار الذي ظل يناصب العداء لهذه الوحدة ويفتتها ايديولوجيا بواسطة المبشرين ، وثقافيا بواسطة المستشرقين وعملائهم ، وعسكريا بالحملات الحربية ، واعلاميا بالصحف والمجلات والماجورين .. لولا هذه الحملات لتحول مجرى التاريخ . ولكن مع ذلك مجهود الاستعمار قد تستطيع اقامة العراقل والتعثرات دون ان تحطم الاساس المتين لهذه الوحدة . اذ ان يقظة الجنوب المغربي هي عملية فسيفائية بدوية سوف تنتهي مع يقظة افريقيا كلها ، فلا خير الا في الوحدة ، ولا شر الا في تفرقة الشعوب ونحن في عصر التواحد ، لا في عصر التنافر والتفارق . ولا يحتمل عصر الاقمار الصناعية وغزو الفضاء تجزئة اركان الكرة الارضية التي تظهر من القمر اقليما واحدا ..

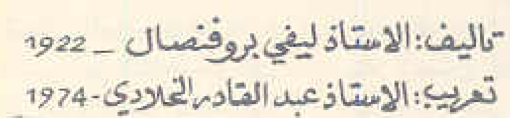
ولقد وصل المغرب الى هذه الوحدة وظلت طيلة اربعة قرون تحت حكم واحد ، يسيرها بشوات في الجنوب بلغ عددهم من عام 1612 الى 1750 واحدا وعشرين ، ويعترف (دولا شايل) بنشاط الملوك العلويين في موريطانيا حيث كانت الجيوش المغربية ترد المحتلين في (وادان) و (ادارار) و (تاكانت وفي (امجيط) و السودان . وعندما اشتدت وطاة التدخل الاجنبي بالجنوب وضع المغرب تحت تصرف امير الترارزة جيشا بمساعدته . وقد ورد الشيخ ماء العينين الذي تولى مقاليد تنجيط ، والساقية الحمراء وعمل على تطويرها اقتصاديا بزراعة النخيل والحبوب على المولى الحسن الاول فبعث الى جنوب المغرب بواخر مشحونة بالعتاد للوقوف في وجه التدخل الاجنبي في الصحراء .

وما ان اشتدت حملات الفرنسيين على الصحراء الجنوبية حتى اخذت القبائل تستنجد بالمولى عبد العزيز ولكن حم القضاء فلم يستطع المغرب أن يقف في وجه الاستعمار وحلفائه ، فكانت الحماية وفترتها الطويلة التي استلزمت مقاومة داخلية ماهرة اضطلع بها طالع المولى محمد بن يوسف قدس الله روحه بينما كان المستعمرون يركزون عملهم في حملات منظمة ويفوتون الحق من يد اهله ، فزعم الاسبان ان معاهدة 1880 م تعطيهم حق التصرف في ايفنى ، وان ايفنى هي (سانت كروز دووا فكينا) كما اسس الانجليزيان ماكنزن ، وكورتيس تجارتهما في طرفاية وآيت باعمران ، ورغم جهود جلالة الملك الحسن الاول 886 وقيادة الفيالق المغربية في كوليم لاخراج ماكنزى فقد عاد الاسبان اليها بعد ذلك ، ثم حررها جلالة الحسن الثاني القائد الملهم الذي يواصل حملته المظفرة لانقاذ الصحراء المغربية وارجاع المغرب الى وحدته الطبيعية والتاريخية .

الرباط : حسن السايح

مؤرخو الشرفاء

المدخل


تاليف: الاستاذ ليفي بروفنصال _ 1922
تعريب: الاستاذ عبد القادر الخلادي - 1974



يبدو ان المغرب الاقصى استلفت ، خلال العصور الحديثة ، انظار اوربا الغربية ، اكثر من اي قطر من الاقطار الاسلامية الاخرى .

اجل ، فانه عرف منذ زمن بعيد كدولة بحرية تستوجب المراعاة والاحترام ، واثبتت الصلاقات الديبلوماسية والتجارية التي ابرمها معه العالم القديم قدر ما كانوا يحظونه به من الاهتمام .

هذا ولم تلبث الطبقة المثقفة الاوربية من جهتها ان اخذت ، منذ القرن السابع عشر الميلادي ، تتوق الى معرفة هذه الارض القريبة من قارتهم ، والتي كانت ، رغم موقعها الجغرافي الخاص ، تعتبر قطعة من الشرق ، ذلك الشرق الطافح بالاسرار ، المستثير لرغبة التطلع الحادي الى الاستكشاف وفك الغوامض .

لقد كان المغرب الاقصى اذذاك ، ومثله في ذلك مثل القطر التركي ، موضع اهتمام عدد لا يستهان به ممن قدر لهم الاقامة ببعض مدنه وقراه او التجوال* خلال بعض المناطق الافريقية ومنهم التجار والقساوسة والرهبان وحتى قدماء الاسرى ، فحداهم ولع بني قومهم بالجديد من المواضيع الى تاليف رحلات وصفوا فيها ما شاهدوه من عادات وتقاليد استغربوها ، وما سمعوه من اخبار ، وما عن لهم من ملاحظات .

فان قسما كبيرا من المؤلفات المشار اليها في بيلوغرافية المغرب التي وضعها بليفار وبراون (Playfair et Brown) صنفت قبل سنة 1800 م. وكثرة عددها دليل قاطع على ما كانت توليه اوربا من العناية بشؤون المغرب ، وما كان لها من رغبة باحواله .

لا شك ان اغلبية مؤلفي تلك الكتب اتخذوا لها عناوين توهم ، غلطا ، انها تتضمن عروضا لاطوار تاريخ المغرب، ولا شك كذلك ان طائفة منهم استقوا، مدة اقامتهم بالمغرب، معلومات تاريخية عن هذه البلاد اما بطريقة السماع المباشر واما بنقل ما ورد في كتب من تقدمهم من الغربيين، الا انه لا يوجد من بينهم ، فيما نعلم ، احد استفاد من مصادر مغربية مؤلفة باللغة العربية .

ومهما كان من امر فان محتوى تلك المؤلفات يدل على ما بذله اصحابها من جهد وصبر بحيث لا زال البعض منها ، الى يومنا هذا ، يعد من المراجع المثمرة المجدية .

نعم ، لا ينبغي ان ننسى ان الاعمال التي قام بها ، في هذا المجال ، امثال دييقو دو طوريس (1535) (Diego de Torres) ومواط (1682) (Mouette) وبيدو دو سانت اولان (1694) (Pidou de Saint Olon) والقسيس بيسنو (1714) (Le P. Busnot) وبرايتويت (1729) (Braithwait) وشنيي (1787) (Chenier) كانت الى عهد قريب اساسا لدراسات متعلقة بتاريخ المغرب خلال الفترة الحديثة ، تم تحريرها في كل من فرنسا وانجلترا واسبانيا .

فان آثار اولئك الرجال ، مع كونها لا تخلو من تحيز ومن حشو ، لا يمكن ان تعتبر عديمة الفائدة باطلة القيمة

خصوصا فيما يهم علاقات المغرب بما يجاوره من البلاد الاوربية .

ان المصادر المغربية كانت يومئذ موجودة وقد عبر البعض منها البحر ، فشاع ذكرهـــا باوربا وعرفــهـا المستشرقون . فكان اول ما اهتموا به نشر الآثار الجديرة بالتقدير ، وخصوصا المتعلقة بتاريخ المغرب في العهد الوسيط ، مثل كتاب « العبر » لابن خلدون . وكان«روض القرطاس» الذي الفه ابن ابي زرع للتعريف بالدول الاولى التي حكمت المغرب وبتاريخ مدينة فاس ، من الكتب التي طبقت شهرتها الآفاق الاوربية ، اذ ترجم ، في ظرف مائة سنة ، الى اربع لغات : الالمانية والبرتغالية واللاتينية والفرنسية ، وسينشر النص العربي في القريب العاجل في طبعة محققة منقحة تفي بما لذلك المصنف من قيمة وشأن.

فالمسيو هوداس (Houdas) هو الذي كان له فضل الاسبقية في التعريف بكتب التاريخ الحديث المغربية لدى المؤرخين الاوربيين . فانه قام ، سنة 1885 بنشر فصول من كتاب الزياني تتعلق بتاريخ الدولة العلوية والحقها بترجمتها الى اللغة الفرنسية ، ونشر خلال السنتين 1888 و1889 ، تاريخ الدولة السعدية للافراني مع الترجمة كذلك. ونشر ، فيما بعد ، تاريخ السودان ، وتذكرة النسيان وهما جد مفيدان لمعرفة قيمة الاتصالات التي كانت بين المغرب والقارة السمراء .

وفي نفس الفترة كانت طائفة من رجالات المدن الجزائرية ولا سيما من اهالي تلـمسـان ، على اتصال مستمر بالاوساط الثقافية المغربية ، وعلى علم بما كان يروج فيها من كتب الشيء الذي يسر لبعض المستشرقين الحصول على نسخ من المصنفات العربية المطبوعة بفاس ومنهم الاستاذ كور (Cour) الذي كان في طليعة من استفادوا مما كانت تخرجه المطبعة الحجرية الفاسية من الكتب، والخاصة بتراجم اهل العلم والصلاح . فتمكن من تأليف كتابه الذي عنوانه : « تاريخ استقرار الدولتين السعدية والعلوية بالمغرب وذكر ما كان بينهما وبين الدولة التركية بالايالة الجزائرية من خلافات » وهو من بواكر الدراسات المتعلقة بالدولتين الشرقيتين المذكورتين التي اعتمد فيها على مصادر اوربية ومصادر مغربية عربية .

وفي سنة 1895 (1312 هـ.) طبع بمصر كتاب الاستقصاء فتسنى انذاك للمؤرخين الاجانب ان يستفيدوا منه كثير الاستفادة ، ولا سيما بعد ان ترجم الاستاذ فيمي (Fumey) الى الفرنسية القسم الخاص بالدولة العلوية ، واشرف على نشره بالمجلة « المستندات المغربية »
(Les Archives Marocaines)

يتضح مما سبق ان تاريخ المغرب الحديث بقي ، الى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، مبنيا على ما ورد في وثائق اوربية ، وان محتواه بدا انذاك ينمـو ويـثـرى بمعلومات دقيقة وردت في غضون كتب مغربية نقلت الى لغات غربية او استقاها مؤرخون مستعربون من مؤلفات تم اخراجها في مطابع فاس الحجرية العتيقة ، واستطاعوا الحصول عليها بوسائل من شانها أن تنيم الرقباء وتزيح الحواجز .

هذا ورغم قلة تلك المصادر فان محتواها يؤيد في الجملة مضمون كتب التاريخ المغربي المؤلفة باوربا ويضفي على بعض جوانب الماضي المغربي اضواء جديدة بحيث يسوغ لنا ان نقول ان التاريخ المغربي المبـنـي على مستندات مغربية وعلى مصادر اوربية من الممكن ان يعد متكامل الاطراف جدير بالاعتبار .

ها المغرب قد اصبح اليوم مفتوح الابواب ، وهو ميدان بكر للابحاث ، وموطن خصب للاستكشافات يستقبل بصدر رحب رواد الاستطلاعات الاتنوغرافية والجيولوجية واللغوية، ولكن قلما تفتح فيه الاذرع للترحيب بالمتعطشين الى استكناه التراث الادبي . فان هذه الطائفـــة من الباحثين قد تفتح في وجوههم ابواب المكتبات الخاصة ذات الشهرة الواسعة ، وقد يسمح لبعضهم بالجلوس في زاوية من زواياها ليتصفح ما يقدم له من مخـطـوطات ومـن مطبوعات تختلف اختلافا كبيرا في الحجـم والشـكـل والمضمون ، وقد يكون من بينها مؤلـفـات كان يشك في وجودها او نصب الامل في العثور عليها ، ولكن اذا ما أراد احد اولئك الزوار ان يستعير كتابا قصد استنساخه أو استخراج بعض فصوله فانه ، في غالب الاحيان ، يعود برفض لين الملمس مشفوع بجملة من تـافـه الاعـذار . اجل فان ارض المغرب بالنسبة للمولع بالكتب ، ارض غنية بالورود ولكنها مفروشة بالحصي !

وكيفما كان الامر فلا نرى داعيا للتخـلـي عن بذل الجهود ، وعن التذرع بالصبر لجمع الوثائق ، سيما واننا على يقين انها موجودة ، وجد مفيدة ، وان استجلاء ما تشتمل عليه من حقائق عمل ضروري لسـد ما يتسم به التاريخ المغربي الحديث من ثغرات .

لقد تجلى بفرنسا ، منذ القرن العشرين الميلادي ، ان كتابة ذلك التاريخ يتوقف على دراسة وثائق جديدة سواء منها الموجودة في المظان المغربية او المحفوظة ضمن مجموعات المستندات الغربية في مختلف البلدان الاوربية.

ولنذكر على سبيل المثال ذلك المشروع الجليل الذي بدا يسهر على انجازه م. هنري دوكاستري Henry de Castries منذ اكثر من خمس عشرة سنة، والهادف الى نشر وتحقيق جميع الوثائق الخاصة بتاريخ المغرب والمودعة في دور المحفوظات الاوربية .

فانه كان عزم منذ امد ، على تاليف ذلك التاريخ ولكن لم يلبث ان تيقن ان عمله ذلك سيبقى ناقصا ما لم تجمع تلك الوثائق وتغربل وتنسق .

كلنا مقتنعون بصواب حكم ناشر تلك المصادر الاوربية والوارد في مقدمة السلسلة الاولى من مجموعته حيث قال : « لا يوجد من حيث ضحالة الضبط في الاحداث والاحكام ، تاريخ يشبه التاريخ المغربي » ، وكذا متيقنون ان تلك المصادر ستساعد على سد ذلك النقص، ولكن هل ستكفي لذلك ؟ لا شك انها لن تزودنا بمعلومات طريفة الا فيما يخص جزء ضئيل من ذلك الموضوع . واما بالنسبة للتاريخ الخاص بالاحداث التاريخية الداخلية ، فانها قد تتيح المقارنة والتحقيق ، ولكنها لن تمدنا الا نادرا بمعلومات اصيلة غير معروفة . وعليه فتاريخ المغرب الحديث المستقاة عناصره عن تلك الوثائق لن يكون ذا شان الا اذا استغلت ايضا لبنائه جميع المصادر العربية . ولا شك في وجود تلك المصادر (1).

وتلك المؤلفات العربية هي التي نحن عازمون على دراستها هنا ، معتنين على وجه الخصوص بما الف منها منذ القرن السادس عشر الميلادي الى ايامنا هذه ، وسوف لا نقتصر على الاهتمام بالحوليات التاريخية ، بل سنعتني كذلك بكتب التراجم لان اصحابها شاركوا الاخباريين في التعريف بتاريخ الدولتين السعدية والعلوية، بالملكة المغربية .

ولذا فاننا سنحاول ان نلم باسماء اولئك المؤلفين وان نضع قوائم لما جادت قرائحهم من مؤلفات ، فندرس محتواها ، معتمدين في ذلك بما سنتصل اليه من معلومات لدى بعض رجال العلم والادب وما سنجده من بيانات في الابحاث البيبلوغرافية .

ولكن قبل الشروع في تلك الدراسة نرى من المفيد ان نقف على مدى مجال التاريخ ضمن الحركة الادبية القومية وان نحاول توضيح ما لتلك الحركة من خصائص اصيلة. وبالاختصار ، ان نقدم صورة موجزة للاداب العربية المغربية .

ينبغي، قبل كل شيء، ان نتيقن من وجود تلك الآداب العربية المغربية ، وان نحدد ماهيتها .

هل يحق لنا أن نصف « بالمغربة » قسما مهما كانت اهميته ، من الآداب العربية الاسلامية التي كان منشؤها وتم تطورها في العالم الاسلامي المترامي الاطراف ؟

ولا غروة ان السلك الاصيل الذي ينتظم اجزاء تلك الاداب هو اللسان العربي ، ذلك اللسان الذي نزل به الوحي : « قرآنا عربيا غير ذي عوج » ، ولكن الا يجوز لنا ان نعتبر « مغربية » تلك الآداب التي كان مهدها المغرب الاقصى ذا الموقع الجغرافي المنعزل ، والذي تاصلت فيه، زمن بعيد ، مظاهر خاصة .

ومن البديهي أن يكون الجواب عن هذا السؤال بالسلب. لقد سبقنا عدد لا يستهان به من البحاثة الى توضيح ما كان للعلوم الاسلامية ، في جميع العصور ، من حظ عظيم وقسط وافر في مجالات الآداب العربية ، وبالفعل فكلما القينا نظرة على مجموعات المؤلفات العربية المحفوظة في الخزانات الشرقية والغربية ، فاننا نجد ذخائر ثرية من الكتب التي صنفت لتمجيد الاسلام ودراسة اللغة العربية، لغة القرآن فمن تفاسير للكتاب المبين الى شروح لسنة النبي الامين ، الى تفاصيل خاصة بسيرته وسيرة صحابته الى مدونات فقهية ، الى معاجم لغوية بما يتبعها من شروح نحوية وصرفية ، والشيء الذي لا مراء فيه هو ان الادباء العرب اخذوا ، منذ القرون الاسلامية الاولى يخصصون الكثير من مجهوداتهم للاهتمام بالمسائل

(1) لقد ابدى الاستاذ هوداس نفس الملاحظة فى التنبيه الذي استهل به ترجمته للروض الهتون ، حيث قال : « كيما كان الامر فان المسلمين ، عندما يتكلمون عن وطنهم ، يكونون اقرب الى الصدق من المؤلفين الاوربيين » .

النحوية والفقهية وكانهم قصروا نشاطاتهم على توضيح الاصول التشريعية وفك المعضلات اللغوية .

نعم فاننا لا نعرف قطرا من اقطار العالم الاسلامي لم يسهم علماؤه ، خلال فترة من الفترات التاريخية المتتالية، في توسيع نطاق الدراسات الاسلامية واغناء مضامنه الثقافية . وان ادنى اطلاع على اسماء البلدان التي يتحلى بالانتساب اليها اعلام الآداب العربية لاكفى شاهد على ذلك ، فاننا نجد من بينهم المنتسبين الى بلدان تشملها مفاوز افريقيا المحرقة ، والى اخرى تضمها سهول ايران الجليدية ، كما نجد من بينهم رجالات تنم مناسبهم عن اصول بربرية مغربية .

انه لمن مزايا الاسلام الجديرة بالتقدير ان كانت فتوحاته المتوالية في اراض مترامية الاطراف ، مواكبة بفتح قرائح سكانها الاصليين للاضطلاع بتلك الابحاث ، الجافة بعض الشيء ، المتسمة ، على الدوام ، بالنزاهة والموضوعية ، والتي قد مر على الشروع فيها ما يزيد على ثلاثة عشر قرنا ، ولا زالت تستأثر بالاهتمام والاعتناء .

وعليه فما كاد الاسلام يستتب بالمغرب حتى هب من اهله رجال اعتكفوا على دراسة العلم الاسلامية ابتغاء مرضاة الله ، ورغبة في حسن الثواب ، بحيث لم تنقض عقود من العهد الوسيط حتى ذاع صيت البعض منهم ، وسار بذكرهم الركبان ، رغم ان الاندلس كانت اذذاك هي الحاملة لمشعل الثقافة والعرفان .

ان الامبراطورية المغربية لم تكن في ذلك العهد بادية المعالم ، ظاهرة الحدود ، اذ ان اسبانيا وافريقيا الشمالية حتى صقلية كانت تكون وحدة سياسية ، الشيء الذي يجعلنا نستنتج انه اذا كانت هناك حركة ادبية افريقية او اندلسية ، لم يكن ما يمكن ان يعتبر حركة ادبية مغربية مستقلة .

لقد اخذت ، في تلك الفترات ، مجالات الآداب العربية تتسع حتى شملت ، بفضل بسط النفوذ الاسلامي على اقطار العالم الاوربي ، وبفضل التفتح الحضاري والفني، معارف خارجة شيئا ما عن المواد الاسلامية الصرفة ، كالطب والفلك والعلوم الرياضية ، وبدا ينتشر الاهتمام بالفلسفة مع التمسك بالاصول العقائدية ، كما اخذ نجم الشعر يتلالا اكثر فاكثر حتى كاد يغطي ما كان لشعراء الجاهلية من شهرة واعتبار .

كان العالم الاسلامي الغربي اذذاك يزخر بالنشاط ، وكانت الاندية العلمية ، من غرناطة الى فاس ، ومن فاس الى تونس مزدهرة ، تتنافس فيها القرائح : اذذاك بلغت الحضارة المغربية اوجها وتلألات نجوم الفكر الاسلامي .

ولكن لم يكد القرن الخامس الميلادي يشرف على الانقضاء حتى خمد النشاط بل ران الركود خصوصا في الاندلس ، اذ اضطر العديد من المسلمين الى مغادرة عواصمها وثغورها ، مهاجرين الى العدوة الافريقية ، فكان ذلك من الاسباب التي ادت الى تكوين المدرسة الادبية المغربية واكتمال خصائصها ، وتوطدت دعائم تلك المدرسة بعد ان تراخت الروابط التي كانت تصل هذه البلاد بالمراكز الفكرية الشرقية .

ترددت اصداء تلك المدرسة ونما صيتها لا في فاس وجامعتها فحسب ، ولكن حتى في الزوايا التي كانت منبثة في مختلف انحاء القطر ، ونتاجها ، خلال العصور الحديثة هو الذي عزمنا على تسميته ، مع شيء من التجاوز ، بالادب العربي المغربي .

اننا اليوم على علم بالاسباب التي نتج عنها ، بالمغرب، تقويض عروش الملوك البربري ، الاصل وجعل ازمة الحكم به في ايدي الدولة الشريفة التي عرفت فيما بعد بالدولة السعدية لتمييزها عن الدولة العلوية . ومن تلك الاسباب الحروب المتوالية التي شنها ملوك فاس على امراء تلمسان وغرناطة ، وترحيل امراء الاندلس عن مواطنهم ، وبوجه خاص ، حركات المقاومة ضد غارات المسيحيين على الحدود المغربية ، وكذا الدعوات الى الجهاد برا وبحرا ، التي كان يحض عليها المرابطون ومشايخ مختلف الطوائف الطرقية ، وآخر الامر اللجوء الى الاشراف القارين بالمناطق السوسية للقيام بصد هجمات البرتغال والاسبان والاطاحة بأولئك الملوك البربريين الذين تبين عجزهم عن محاربة النصارى المحتلين للثغور المغربية والمقاومين لاساطيل البحرية .

في تلك الفترة التاريخية كان المغرب يعتبر آخر ملجأ للاسلام بالاقطار الغربية ، وفي تلك الفترة كذلك بدات تقل علاقاته بباقي بلدان افريقيا الشمالية لان الاتراك كانوا

اخذوا ينشرون عليها نفوذهم (2) ولهذا يمكننا ان نقول ان المغرب الاقصى أقام شخصيته وبنى وحدته السياسية والترابية في ظروف شملها خضم من الفوضى . لان ، منذ ذلك الزمن ، لم يحدث على حدوده تغيير يذكر .

ان الحركة الدينية التي أشرنا اليها نشأت وترعرعت في الزوايا والربط التي كانت تؤسس على بعد من الحواضر ولكن بقرب ضريح من اضرحة بعض الصالحين او شيوخ الطرق الصوفية ؛ ولم تلبث تلك الزوايا والربط ان اصبحت معاهد الفئات من المريدين المتشوقين للحياة الروحية ، او الطلبة المتعطشين للمعرفة. ولم يمض عليها زمن طويل حتى باتت تنافس ، كمراكز تعلمية ، مدارس فاس وجامعة القرويين .

ان هذه الجامعة التي ذاع صيتها وشع نورها طيلة ازدهار الدولة المرينية والتي كانت المركز العظيم الوحيد لنشر الثقافة ، اصبحت ، في مستهل العصر الحديث ، خافتة الصوت (3) ؛ وهي وان كانت استرجعت فيما بعد ، قسطا من نفوذها وازدهارها ، فانها لم تستدرك ابدا تلك المرتبة العالية التي كانت جعلت منها منذ امد بعيد وعن جدارة واستحقاق «منبع العلم وجوهرة المغرب»(4) فان العلوم التي كانت تلقن انذاك بجامعة فاس او بالزوايا في مختلف المناطق المغربية ، اخذت تسم أدباء البلاد وعلماءه بسيم واحدة ، وهي سيما لم يطرا عليها تغيير، فيما توالى بعد من العصور ، وذلك لان البرامج والكتب المدروسة بقيت هي هي . وها قد مرت اربعة قرون ولم يقع اي تعديل أو تطور سواء في الحياة الفكرية او في الاحوال المعاشية .

فان اجلى الخصائص التي ينطبع بها المغرب الحديث هي النفور من التغيير .

ففي اوربا نعرف ان كل من يرغب في تشخيص صورة حقيقية عن مجتمع جيل من الاجيال التي ان انقرضت ولو منذ عهد جد قريب ، لا بد له من ان يستقري، ويحلل جميع الوثائق والآثار والظروف المتعلقة بذلك الجيل ، وأما في المغرب فان المستطلع لا يلبث ان يتاكد انه يكفيه أن يفتح عينيه واذنيه على ما يروج حوله ليعرف الحالة الاجتماعية التي كان عليها هذا البلد في العصور السابقة، كما يتأكد ان جولة ساعة في أزقة فاس واسواقها كثيرا ما تكون اوفر فائدة مما قد يكتسبه من معلومات في هذا الصدد حينما يقضي يوما كاملا متصفحا المراجع في مكتبة من المكتبات،وما سبب ذلك ؟ فيما ارجح الا لان المغرب بلاد جد محافظ وبطيء التطور في جميع مجالات حياته ، ويكفينا للاقتناع بهذه الحقيقة ان ندرك ان الصورة التي رسمها ليون الافريقي (الوزان الفاسي) في كتابه (وصف افريقيا) ، لا زالت اصولها شاخصة الى الآن لم يغير الدهر منها شيئا كثيرا ، وان الناظر اليها اليوم سرعان ما يشعر وكانه يرجع ادراجا الى عهود فاس القديمة ويشاطر اهلها الحياة برهة من الزمان ».

فان الاتنوغرافي الذي يقصد فاسا اليوم يجد نفسه أمام معرض لا نهاية له من التقاليد العتيقة ، وان المؤرخ لا يخاف أن يخطأ في توقيت احداث الماضي لان ذلك مبسوط أمامه يشاهده مشاهدة عيان لا يتطلب منه تخمين ولا تأويل .

واذا كان هناك وجه لم تتغير ملامحه العامة منذ اربعمائة سنة ، فذلك وجه العالم المغربي : فاننا نراه اليوم متابطا لبدته ، يسير سيرا وئيدا في الازقة الضيقة القريبة من جامعة القرويين على نفس السمت الذي كان عليه نظراؤه في القديم ، فانه لم يتعلم ولا نراه يعلم غير ما كان يتعلم

---

(2) ذكر الاستاذ كور تفاصيل هذه القضية وكذا الاحداث التي كانت بين الاشراف والدولة التركية في كتابه : « استقرار الدول الشريفة بالمغرب » (المؤلف) .

(3) كانت أوربا ، قبل استقرارنا بفاس ، تبالغ في تقدير قيمة هذه الجامعة اذ كان يعتقد انها مركز لدروس تشحذ العقول وتنير السبل . اما خزانتها فان الفهرست الذي نشره (1918) الاستاذ الفرادبال قد خيب ظن الكثير من المستشرقين . فان المؤلفات الموجودة بالمكتبات الخاصة او الحبوسية تحتوي على دخائر اعظم قيمة وادعى للتقدير بيد أن خزانة القرويين لم تفتأ منذ زمن سحيق ، معرضة للنهب ، واعز ما بقي بها من الكتب ذات الشأن التي اخطاتها يد العابثين ، هي نسخة من كتاب العبر لابن خلدون نص على تحبيسه المؤلف نفسه (رقم 1266 من فهرست بال) (المؤلف) .

(4) « القرويين ومستقبلها » لعبد الحي الكتاني – (بال : الفهرس ص 4) .

ويعلم اسلافه ، ويكفي ان نستفسره عن حاله وعن معلوماته لتكون لنا صورة دقيقة عن المعارف التي كانت تنير عقولهم وتدعو الى تقديرهم .

يمكننا ان نقول ان لقب العالم كان « وراثيا » لاننا كثيرا ما نلاحظ ان مؤلفي الكتب التي ظهرت بالمغرب على مدى قرنين او ثلاثة ، ينتمون ، في غالب الاحيان، الى شجرة اسروية واحدة ، الشيء الذي يجعلنا نقدر ان بيوتات احتكرت العلم فتوارثه افرادها خلفا عن سلف على مر عصور واجيال ، وسيتاتى لنا ان نترجم في الفصول التالية لبعض اعيان تلك البيوتات التي لا زلنا الى يومنا هذا نرى علماء من سلالتها يعتزون بالانتساب اليها ويحظون بهالة من الجاه والاحترام .

لن نطيل الكلام عن الطريقة التعليمية التي وجدنا المغرب يتبعها عند حلولنا به ، سيما وان تلك الطريقة لا تكاد تختلف عما هي عليه بالجزائر وتونس حيث تسنى لنا ان نتعرف عليها عن كثب : فالكتاب (او المسيد) هي المرحلة التعليمية الاولى في الاقطار الثلاثة ، والقرآن هو اول ما يعنى الاطفال بحفظه للتعود على القراءة وترويض الذاكرة ، التي الذاكرة الطيعة العجيبة التي لا نملك معها الا ان نصدق ما يحكى في جملة اخبار القرون الاسلامية الاولى عن الرواة وعما كانت تفيض به حافظتهم من منظوم ومنثور .

هذا وقد لا يكون من نافلة القول ان نشير الى مختلف المستويات التعليمية المعروفة الآن بالمغرب وان نذكر ، ولو باختصار ، « المصنفات » المعتمدة ، تلك المصنفات التي قلما تخلو منها مكتبة من المكتبات المغربية وهي مكتبات يتيسر فيها للباحث ان يضع يده على ما لا زال منها في حيز المخطوطات وهو جدير بالدراسة والتحليل .

ان الطفل المغربي الذي يتوق ، نظرا لما تتمتع به اسرته من جاه ومال ، او تلبية لرغبة حافزة ، ان يتابع دراسته بعد تخرجه من المدرسة القرآنية (اي المسيد) قلما يكون زاد على « حفظ » القرآن وترديد بعض القواعد النحوية البسيطة ، ولذا فاننا نراه يقبل اول الامر على استظهار متن الاجرومية وارجوزة المرشد المعين ، وهما من الامهات

ولا بد من استيعابها للالمام بالمبادىء الاولى في النحو والعقيدة الاسلامية .

فاللغة والدين هما المعينان اللذان يجب على كل طامع في الحصول على لقب « عالم » ان يرتشف منهما ، بل ان يتضلع فيهما وذلك هدف لا يتحقق الا بالجلوس صباح مساء في حلق الشيوخ المتجرين في العلم سواء في المساجد او في الزوايا ، والا بالمواظبة على السهر ، الليالي تلو الليالي ، لاستذكار ما يسمعه في النهار من دروس ، واستحضار العبارات التي يرددها شيوخه .

ان الاستاذ دلفان (Delphin) (5) قد بين منذ مدة ، في دراسة متعلقة بجامعة القرويين ، قائمة الكتب المعتمدة لكل مادة من المواد الملقنة ، الا انه توسع فيها بعض الشيء بحيث لا يمكن اعتبارها قائمة نموذجية ، ولذا قمنا ببحث خاص في هذا المجال فتبين لنا ان الكتب المدروسة الآن في معاهد مختلف المدن المغربية محصورة العدد واشهرها:

للنحو والصرف : الاجرومية وشرحها للازهري ، الالفية ولامية الافعال لابن مالك بشرحي المكودي والحرق (وبحرق) ونظم الجمل للمجراد بشرح الرسموكي
البلاغة : الشرح المطول للتفتزاني على مختصر القزويني لكتاب السقطي وحاشية الجرجاني السيد .

الدين والاصول : جمع الجوامع للسبكي بشرح جلال الدين المحلي وحاشية كمال الدين بن ابي شريف .

ويعتبر من الضروري في هذا الصدد استظهار الفية العراقي في علم الحديث قبل الاعتكاف ، سنين متوالية على دراسة كتب السنن كموطأ مالك وصحيح البخاري وشرح النووي على مسلم ، والشمائل للترميذي والشفا للقاضي عياض .

واذا كان الطالب يرغب في خطة القضاء فلا بد له من ان يحفظ ، على ظهر القلب ، تحفة الحكام ، لابن عاصم، ولامية الزقاق ، وان يقرا على الاشياخ المشاركين رسالة ابن ابي زيد القيرواني بشرح ابن حسن علي الشاذلي،

(5) انظر مجلة الجغرافية والحضريات (وهران مجلد 8 ص 93 — 205) (المؤلف) — ذكرت مراجع اخرى ص 13 من النص الفرنسي (المعرب) .

(6) نقلت هذا النص من كتاب الترجمانة الكبرى ص 56 — نشر وزارة الانباء — مطبعة فضالة 1967 (المغرب) .

ومختصر خليل بشرح الخرشي والزرقاني . كذا شرح ميارة على المرشد وعقيدة السنوسي الكبرى والوسطى والصغرى بشروح وحواشي الدسوقي ، وان يختم كل ذلك بدراسة المقنع للمرغيتي ، ومبادىء الحساب في مختصر القلصادي ومنية الحساب لابن الغازي .

متى قطع الاديب المغربي هذه المرحلة الواسعة المدى بسلام ، فانه يكون مؤهلا « للمشاركة » ويكفيه أن يتصدر بدوره لتعليم طائفة من ابناء الجيل الصاعد لكي يتحلى بلقب « العالم » فيحظى باحترام الناس وتتيسر له وسائل العيش الرغيد .

هذا وكثيرا ما يبدي الطالب حرصه في فترة من فترات طلبه للعلم او في نهاية المطاف ، على نيل اجازة من شيوخه وهي بمثابة اذن برواية ما تلقاه منهم وترخيص بالصلاحية « للمهنة التعليمية » ، الا انها لا تحمل مصادقة حكومية اذ المخزن المغربي لا يسلم للدارسين شهادات علمية وكذلك كان الامر الى عهد قريب في البلدان الاسلامية الا ان الدوائر الحكومية غالبا ما تشمل اهل العلم بحسن الرعاية وقد تخصص لهم الاوقاف منحا شهرية زهيدة ولكنها مشرفة من غير ان تفرض عليهم القيام بدروس معينة او تطبيق برامج تعليمية محددة .

ان الاجازات التي حفظتها لنا الايام مصادر بيلوغرافية جد مهمة، والدليل على ذلك الدراسة التي قام بها الاستاذ ابن شنب ، سنة 1907 ، بمناسبة اجتماع مؤتمر المستشرقين الرابع عشر والتي نشرت تحت عنوان : « دراسة متعلقة بالشيوخ المذكورين في اجازة الشيخ عبد القادر الفاسي ».

ومن جهة اخرى فاننا نجد عددا وافرا من العلماء المغاربة اهتموا بوضع فهارس شيوخهم وهي وثائق مفيدة تمكن من تحديد المراحل الخاصة بتدريس العلوم الاسلامية الا انها تهم في غالب الاحيان ، علماء كرسوا معظم حياتهم لطلب العلم ونشره بيد ان رجال الطبقة المتوسطة من العلماء ينقطعون عادة عن الطلب في اواخر العقد الثالث من حياتهم ليسعوا في الحصول على وظيفة رسمية او ليشتغلوا بالتجارة او الفلاحة . ان ابا القاسم الزياني الذي تولى خطة الوزارة عدة مرات (في القرن الثالث عشر الميلادي) واهتم خلال الفترات التي ابعد فيها عن البلاط ، بالدراسات التاريخية ، اخبرنا في كتابه الترجمانة الكبرى انه انهى تعلمه بفاس في سن مبكر من عمره حيث قال :

«.. ولما بلغت مبلغ الرجال ، وحفظت كلام الله عز وجل على وجه الكمال ، وطمحت نفسي لقراءة العلم الشريف ونسخ ما احتاج اليه من كل شرح لطيف اول ما قرات على شيخنا الفقيه سيدي احمد بن الطاهر الشرقي الجرومية والسنوسية وابن عاشر . وقرات الرسالة على شيخنا سيدي الطيب القادري بمسجد الاندلس ، ثم حضرت تشقيق الالفية بمدرسة الصهريج عند سيدي عبد القادر بوخريص مع ولديه . ثم الرسالة بمجلس واحد ، ثم صرت احضر دراسة مع الطلبة بالمدرسة في التفسير وخليل والالفية ثم لازمت درس ابي حفص سيدي عمر الفاسي لخليل في القرويين ثم مختصر السنوسي ثم كنت احضر مجلس شخينا سيدي محمد بن ابراهيم لخليل بمدرسة العطارين .. ثم لازمت درس الفقيه سيدي محمد بناني الى ان اكملت نسخ حاشية على الزرقاني .. الى أن كان عام تسع وستين ومائة والف هـ. (1755–1756) وسني ذاك ثلاث وعشرون سنة (6)

من البديهي ان المؤلفات المتداولة تعكس بوضوح خصائص هذه الثقافة ذات الطابع الاسلامي ، ولذا قلما نعثر ، ونحن امام نتاج القرون السابقة ، على مجهود ادبي ذي اتجاه شخصي مبتكر ، وبات هم اغلب المصنفين يهدف الى تيسير فهم تلك الكتب المتضمنة لحقائق العلوم الاسلامية ، فتوفر عدد الشروح والحواشي والمختصرات التي ليس المقصود منها الا القاء اضواء كاشفة على محتوى كتب شيوخ اجلاء وفقهاء افذاذ قلما يجود الزمان بمثلهم.

يبدو ان الحركة الدينية التي حمست ، بالمغرب ، النفوس ضد الغارات المسيحية ، وكذا الزوايا الطرقية والصوفية لم تكن لترضى عن الادباء المهتمين بالمواضيع الدنيوية كالمدح والفخر اللهم الا اذا كان ذلك لاعلاء شان الاسلام او للتنويه بالصالحين والاولياء .

نعم ، فان بعض الملوك قد افسحوا مجالسهم للادباء واغدقوا عليهم الصلات فازدهرت في عهدهم الفنون الادبية الا ان هذه الحيوية قلما كان يمتد اثرها الى ما بعد وفاة اولئك المشجعين وقلما يتجاوز عاصمة من عواصم الملك.

ان المناقشات حول الابحاث النظرية لم يكن مسموحا بها واما التعاليم الصوفية فكثيرا ما كانت تتفتح لها بشوق ولهف وقلوب المتعطشين للعيش في بحبوحة الحياة الروحية .

وخلاصة القول فان الثقافة الاسلامية ظلت مهيمنة على جميع الاقطار التابعة للديانة المحمدية الا انها لم تقف في طريق الرقي ولم تخنق نتائج العلوم الاوربية .

ومهما يكن فان تلك الثقافة كانت بالمغرب راسخة في العقول والنفوس ، وكان الاعتناء بفهم وتفهم العقيدة الحنيفة والشريعة الاسلامية ، الى اواخر القرن التاسع الميلادي ، يستحوذ على كل نشاط فكري ولم يكن يتاتى الاشتغال بالعلوم الدنيوية للمؤرخين الذين يكرسون جهودهم لدراسة ماضي وطنهم ، ولذا يمكننا أن نقول ان التاريخ السياسي والديني والادبي هو المادة الادبية الوحيدة التي تصطبغ بصبغة مغربية محضة ، وقد يحق لمغاربة هذا الجيل والاجيال المقبلة ان يعتبروا ذلك الادب التاريخي من امس الوان التراث بكيانهم واصالتهم وان يعتزوا به . واما الاوربيين فيكفيهم ان يحددوا عناصره ومقوماته والا يشغلوا انفسهم بالبحث عما ليس فيه .

الرباط ـ عبد القادر الخلادي



موسوعة ابن عبد البر:

"التمهيد"

في عهد الحسن الثاني

للأستاذ سعيد أعراب

من ذخائر المملكة المغربية، وكنوزها الثمينة، ـ «التمهيد، لما في الموطا من المعاني والاسانيد»: الموسوعة الكبرى في فقه السنة، ـ للامام الحافظ، مفخرة المغرب، ابن عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر.

قضى في تآليفه ثلاثين حجة او يزيد

سمير فؤادي من ثلاثين حجة

وصاقل ذهني والمفرج عن همي (1)

والكتاب يقع في عشرين مجلدا (2)، او سبعين (3) جزءا ـ على اختلاف تجزئة نسخه، وقد توزعتها مكتبات العالم، ولا تكاد توجد نسخة كاملة منه بمكتبة ـ فيما نعلم.

وهكذا قدر لهذا الكتاب الفذ، ان يظل ممزق الاوصال مطويا في مجاهل النسيان، حتى كاد ان يصبح في خبر كان.

ولعل اول من نادى بجمع شتاته، والعمل على احيائه ونشره السلطان العالم، المولى عبد الحفيظ، وكان يرى من العار ان يضيع مثل هذا التراث الثمين، ـ وهو اغلى ما نملك، ويقول: لو قدر لهذا الكتاب ان يرى النور، لاغنى الناس من سائر كتب المذاهب (4) ولقد صدق الامام الحافظ ابو محمد بن حزم اذ يقول: (لا اعلم في الكلام على فقه الحديث مثله، فكيف احسن منه (5).

قل للذي طلب الحديث مسافرا

في البحر يبغي الكتب بعد البر

فعليك كتبا في الحديث افادها

بالغرب حافظه ابن عبد البر (6)

ولكن الاقدار ابت الا أن تدخر هذه المآثرة الجليلة الى عهد الحسن الثاني، وتضيفها الى حسناته العديدة، ومآثره الخالدة، فاصدر امره الشريف بطبع موسوعة ابن عبد البر: (التمهيد)، واخراجها اخراجا علميا، فصورت وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية، ما كان موجودا من نسخ الكتاب بالمكتبة الملكية العامرة، والخزانة العامة بالرباط، وخزانة القرويين بفاس، واستوردت عدة اشرطة (مكروفيلمات) من تركيا، والعراق، ثم من السعودية، ودار الكتب المصرية ومعهد المخطوطات الجامعة العربية، فصدرت الاجزاء الثلاثة بتحقيق من

---

(1) انظر ترتيب المدارك 4 / 810.
(2) المرجع السابق 4 / 809.
(3) جذوة المقتبس ص 344، الصلة 2 / 640، وفيات الاعيان 6 / 64، الديباج ص 357، النفحة الاحمدية ص 11.
(4) اشتهرت عنه هذه القولة، وسمعتها من بعض اهل العلم غير مرة.
(5) انظر رسالته فى فضل الاندلس واهلها ص 14.
(6) تنسب هذه الابيات للحافظ السلفي، وجدت بنسخة الشيخ محمد محمود الشنقيطي.

العلماء ، وسيصدر قريبا الجزء الرابع ، وقد انهت لجنة التحقيق عملها في الجزء الخامس ، والثامن ـ وهما مهيآن للطبع ، وهي منهمكة في اخراج الجزئين : السادس والسابع . على أن مصلحة احياء التراث بمديرية الشؤون الاسلامية ، تعمل جادة لتنظيم هذه الموسوعة ، سواء منها المطبوع او المخطوط، لتكون مصدرا للباحثين ، ومرجعا لرجال الفقه والقانون .

واقترح ان يوضع لها (فيش) منظم في جزازات، يهدي الباحث الى أهم موضوعات الكتاب ، وبعض محتوياته التي جاءت مفرقة هنا وهناك ، مع بيان رقم الصفحة والجزء .

التمهيد كموسوعة

والتمهيد ـ الى جانب كونه اضخم كتاب في موضوعه ، ليس ككل الكتب ، يمكن حصره في دائرة خاصة ، او ناحية محدودة في الفقه والحديث ، بل هو بحر خضم ، اتسعت ابعاده وتعددت جوانبه، فهو في الفقه جامع المذاهب الاربعة او الثلاثة عشرة ـ كما حاول بعضهم ان يحرصها، بل جامع المذاهب كلها منذ عصر الصحابة ؛ وفي الحديث لا يقف عند الكتب الستة او العشرة ، فهو يعرض آفاقا وحشدا من المصنفات، والمسانيد، وكتب الاجزاء، واصول عتيقة ، انتقلت اليه ايد أمينة ، كان اصحابها اشد الناس ضنانة بها (7) .

وفي الجرح والتعديل ، والتاريخ والسير ، ومعـرفة الرواة ، تكاد تظن ان الرجل قرا كل ما كتب في هذا الباب، في الشرق والغرب ، ـ وما اكثر ما كتبوا ـ.

وفي المصطلح لا يكتفي بالقاعدة المجردة، بل يصحبها بتطبيق عملي ، يجعلك تدرك مواطن الداء في الاسانيد المعلولة ، والاحاديث السقيمة ، وكم من احاديث ربقها ؟ وأسانيد اعلها ؟ ـ اغفلها الائمة قبله ، فكان ابن بجدتها، وأبار عذرتها ؟

وهو في هذا وذاك، يعطي مما عنده، فيختار ويرجح وينقد ويصحح ، ويرمي بالزائف عرض الحائط .

فشخصية ابن عبد البر قوية ، بارزة في سائر ابحاثه ودراساته ، ولا تكاد تخلو صفحة من قوله (قال ابو عمر) ـ يعني نفسه .

ثم هناك روايات انفرد بها، واحاديث اسندها بطرقه الخاصة يجوز أن نسميها (مسند ابن عـبـد البر، وثـمـة آراء واختيارات في الفقه والتشريع ، يصح ان ندعوها (فقه ابن عبد البر، او مذهبه في الفقه ـ ان شئت).

وهو الى ذلك كله ـ له جولات موفقة في اللغة والادب ، تنسيك بطرافتها ما انت فيه من فقه واثر . وسير واخبار وكان الحديث عنده شجون ، ولله في خلقه شؤون .

منهج ابن عبد البر في موسوعته

مما لا شك فيه ، ان ابن عبد البر خطط لكتابه (التمهيد) تخطيطا دقيقا ، وافنى عمرا طويلا في جمع مواده ، وتهيىء فصوله ومباحثه، وعاد الى مئات المصادر في الفقه والحديث واللغة ، والتاريخ ، والسير .. ومن السهل ان نعرف وجه تسميته بـ (التمهيد)، فهو شرح على موطا مالك . وقد مهده وبسطه ، واستقصى مباحثه ومسائله، واستوعب ما هناك من روايا وآثار ، وما للعلماء من مذاهب واقوال .. وقد سلك فيه مسلكا خاصا ، فجعله على هيئة المسانيد ، ورتبه على حروف المعجم ـ عند المغاربة ـ حسب اسماء شيوخ مالك الذي روى عنهم في الموطا ، وهو نمط فريد لم يسبق اليه (8) .

ويمكن أن نجمل الخطوط العريضة للمنهج ـ الذي سار عليه ـ فيما يلي :

1) جعل ابن عبد البر الهدف الاساسي من كتابه (التمهيد)

ـ شرح ما تضمنه موطا مالك برواية يحيى ـ في الاحاديث المسندة والمقطوعة ، والمرسلة ، وما يمكـن اضافته الى ذلك .

2) وصل كل مقطوع أو مرسل ، جاء متصلا او مسندا من غير رواية مالك .

3) وهو لب اللباب، والمقصد الاسنى من الكتاب ـ انه حاول ان يستوفي معاني الآثار المقصودة في كل باب، وجلب على ذلك اقوال العلمـاء في تاويلـهـا ، وناسخـهـا ومنسوخها واحكامها ومعانيها ... وعزز ذلك بادلة وشواهد ، مما اخصب الكتاب ، وجعله ثروة هائلة

(7) منها اصل والده الذي اعتمده كثيرا في هذا الكتاب، ، وهو يرويه بالوجادة على اختلاف ايمة الحديث في شانهـا .

(8) انظر ترتيب المدارك 4 / 809.

واكبر موسوعة في الفقه وعلوم الحديث ، او على الاصح في فقه السنة .

4) شرح ما استعجم من الالفاظ ، معززا ذلك باقوال أهل اللغة ، وشواهد من اشعار العرب .

5) ترجمة الرواة الذين تتصل بهم رواية مالك في الموطا ، ذاكرا بعض احوالهم ، ونبذا من تاريخهم وسيرهم ، وقد اوجز في ذلك كل الايجاز ، الا ما دعت الضرورة للتوسع فيه ــ لاهميته .

بين التمهيد ، والاستذكار ، والتقصي

لابن عبد البر ثلاثة شروح على موطا مالك :

1) التمهيد
2) الاستذكار
3) التقصي

والاول اوسعها ،وهو بمثابة الام لها ، فالاستذكار يعتبر اختصارا للتمهيد كما يذكر ابن حزم، صريح وهو كلام المؤلف فى المقدمة ، وان كان يختلف عنه فى الشكل ، فهو شرح الموطا على وضعه الاصلي ــ حسب ابواب الفقه ، واهتم اكثر باقوال الائمة ومذاهب علماء الامصار ، فيما تضمنه الموطا من معاني الراي والاثار ، بخلاف التمهيد فقد رتب الموطا على شكل المسند ، وجعل هدفه الاساسي، ما في الموطا من المعاني والاسانيد ــ كما اشرت الى ذلك، آنفا .

اما التقصي ، فهو تجريد ، وفهرس مفصل لابواب التمهيد ، وما احراه ان يطبع كجزء خاص بفهارس الكتاب، تلحق به ارقام صفحات كل جزء

وقد لا نبالغ اذا قلنا : ان ابن عبد البر سبق زمانه ، فالمحققون وبعض الناشرين قد اعتادوا ان يخصصوا جزءا للفهارس العامة في الكتب الضخمة التي تحوي عدة أجزاء ، وهي طريقة كنا نظن انها من حسنات هذا العصر، وقد سبق اليها ابو عمر بعدة قرون .

أثر ابن عبد البر فيمن بعده

طارت شهرة ابن عبد البر في الآفاق ، وسارت بتآليفه الركبان ، ويقال ان الحافظ السلفي لما استقر بالاسكندرية ــ وهي ممر المغاربة الى البقاع المقدسة ــ كان حرصه الشديد ، ان يسمع من اصحاب ابن عبد البر ، ويأخذ عنــهم مروياتهم ، وهذا ابن حزم ــ وهــو ممن عاصر ابن عبد البر ، وتتلمذ عليه ، ــ حشد كتابه (المحلي) بروايات ابي عمر .

وفى كتابه « جوامع السير » : استقى كثيرا من درر ابن عبد البر في اختصار المغازي والسير .

وابن سيد الناس ــ وهو من سلالة اندلسيــة . انتقلت اليه بعض مجموعات ابن عبد البر ــ لم يكتف باحتذاء عبارته ، بل نقل فصولا برمتها . اما الذين شرحوا موطا مالك ــ وما اكثرهم ــ فهم عالة على ابن عبد البر في كل ما كتبوا ، وارجع ان شئــت الى شرح الزرقاني ــ وهو من اوسع شروح الموطا .

وقل مثل ذلك في كتب الفقه وعلوم الحديث ، واحيلك على كتابين اثنين ــ وهما من الاهمية بمكان :

1) الجامع لاحكام القرآن ــ لابي عبد الله القرطبي .
2) فتح الباري بشرح البخاري ــ للحافظ ابن حجر .

وهذا موضوع طويل الذيل ، ارجو ان تتاح لي الفرصة لكتابة ترجمة مفصلة عن حياة ابن عبد البر ، وتراثه الفكري والاسلامي .

تطوان : **سعيد اعراب**

ذاتية المغرب من ذاتية تاريخه





للأستاذ عبد القادر زمامة

يحلو لبعض الباحثين المعاصرين من ذوي الاختصاص. اذا ارادوا الحديث عن المغرب وحضارته ، ان يبدأوا القصة من اولها . يعني انهم يحدثوننا حديثا مسهبا عن الاتصال بالفينيقيين ثم الرومان ثم الروم البيزانطيين وهذا في حد ذاته ، منهاج للبحث . وطريقة للدرس ، تنير امامهم السبيل للكشف عن الاصول والجذور والآثار الحضارية التي يحتفظ بها المغرب ، دليلا على اتصاله التاريخي بالحضارات الوافدة على الشمال الافريقي . ولكن السؤال الذي يفرض نفسه على هذا المنهاج لتوضيح الحقيقة هو : ماذا استفاد المغرب حضاريا من هؤلاء الغزاة ..؟

ان هؤلاء الباحثين المعاصرين يعرفون جيدا ، ان الانتصار الروماني على قرطاجنة ، كان معناه الابادة والتدمير واستئصال جذور الحضارة والعمران ، من سائر الاقاليم التي شاهدت الامتداد الفينيقي والقرطاجني ..! كما ان هؤلاء الباحثين يعرفون جيدا ان ما شيده الرومان ليتمكنوا من استغلال خيرات البلاد ، قد دمره الوندال تدميرا معروفا في التاريخ ...! ثم جاء البيزانطيون وانتقموا من الوندال انتقاما اباد الحرث والنسل .!

وبذلك تمت في الشمال الافريقي طيلة قرون من التاريخ المعروف عدة عمليات ، لانتحار الحضارة ، وابادة العمران ، واستغلال الانسان المغربي استغلال الحيوان .! فماذا يبقى بعد هذه العمليات من اصول حضارية ، يبني عليها سكان المغرب صرح حضارتهم وعمرانهم ..؟ ان الغزاة اذا كانوا قد شيدوا أو نظموا ، أو غرسوا ، او اصلحوا فانها ثم يغادروا البلاد ، حتى خربوا ودمروا وابادوا ، وكانوا عاملا اساسيا وعائقا حقيقيا ، حرم السكان من فرص التفكير في ذاتيتهم واظهار مواهبهم في التنظيم والتدبير والتثقيف والابتكار والتشييد . وظلوا طيلة أجيال معتصمين بالجبال منقطعين في الصحاري ، فرارا من سوط الاستغلال .. وركب ذلك فيهم مركبا من الانعزال والانفصال والتخوف من كل ما هو اجنبي وافد ..!

واثناء الانعزال ، رجعوا الى انفسهم ، وصاروا يبحثون عن ذاتيتهم ويجربون اساليبهم الخاصة ، وتفكيرهم الخاص في التنظيم والعمران ، ويسيرون حسب امكانياتهم المادية، وطاقاتهم المعنوية في الزراعة والسكنى وانماط العيش في حاضرتهم وباديتهم .

وجاء الاسلام في امتداده التاريخي المعروف ، وحالتهم في البحث عن الذات هي ما وصفنا ، فهم في حالة استعداد لتقمص الحضارة واستيعاب اساليب العمران . ولكنهم – على ضوء معاناتهم – في حالة خوف من الاجنبي ، الذي جرح ضمائرهم من قبل وعرض وجودهم للفناء ، وبلادهم الدمار وخيراتهم للاستغلال ..!

وجدد سكان المغرب – الذين كان الغزاة قد سموهم بالبربر – صلتهم بالشرق وحضارته ... والشرق ليس غريبا عنهم لا في الاصول الجنسية ، ولا في اللهجات

اللغوية ، ولا في الاتصالات الـحـضارية ذات الجـذور التاريخية ، ولا تنسى ذاكرة الزمان تلك الاتصال المفيـد الذي تم في العصر الفينيقي باطواره المتعددة .

من اجل ذلك ، وجدت الذاتية المغربية الفرصة الحقيقية الظهور والتكامل والاعلان عن الذات بوجود الامة المغربية الموحدة المعتمدة في وجودها ووحدتها على اسس مادية معنوية .

واظل الاشعاع الديني والرقي اللغوي هذه الامة ، بظلالهما الوارفة ، فوجد ابناؤها ذاتيتهم وطريقهم نحـو مناهج الحضارة واساليب التقدم ، وارتبطوا بالحياة النشيطة المتفتحة ، واسهموا بمجهودات قوية في سير ركب التاريخ ، ولمعت اسماؤهم في الحروب ، وقيادة المعارك ، كما لمعت في العلوم والفنون والتشييد والعمران ، وهذا ما يعني بظهور الذاتية المغربية ، التي كان الغزاة من قبل يكبتونها كبتا ، ويحاولون بكل وسائلهم المعروفة تفتيتها، والتشكيك في وجودها ، وقدرتها على النمو والتكامل .

ولعل اول لبنة حضارية وضعها الامتداد الاسلامي لتكوين شخصية المغرب الحضارية هـي تلك الـخـطة السياسية التي التزم السير عليها القادة المسلمون ، الذين عرفوا الوضع الحقيقي للبلاد وسكانها ، فجعلوا الاراضي التي كانت بيد الغزاة البيزنطيـيـن من قبيل الاراضي المفتوحة عنوة ، وطبقوا عليها ما يطـبـق في الـقـانون الاسلامي على اراضي العنوة ...!

اما الاراضي التي كانت بيد السكان الاصليـيـن فقد جعلوها من قبيل الاراضي الحرة ، التي يتصرف فيهـا اهلها كما يشاؤون ، وبهذه السياسة البعيدة الغور ، اختفت رواسب الماضي ، ولم يعد المغرب (شواطىء) يسكنها ويستغلها الروم و (سهولا) يتصارعون فيها مع السكان الاصليين . و (داخلا) تمرح فيه القبائل الرحالة فارة من القهر والاذلال والاستغلال ، معتصمة بالجبال ، منقطعة في الصحراء ...!

وقد حفت بمرحلة الامتداد الاسلامي عدة عوامل داخلية وخارجية ، حقيقية واصطناعية ، جعلته يتعثر في مشاكل وقضايا جانبية، اثارها سوء الفهم من جهـة كما اثارها التخوف من جهة اخرى، لكن المنطق الواعي تغلب في الاخير لان الذاتية المغربية ما لبثت ان ظهرت بوجهها الحقيقي وسيرها السليم في ظل الاسلام .

وعندما انتهت مرحلة الامتداد الاسلامي ، جاءت مرحلة التكييف والتلوين ، بما جاء به هذا الامتداد من عقيدة ، وثقافة ولغة وحضارة ، وهضم هذه العطاءات المؤثرة في التفكير ونظام العيش واسلوب التعامل وصفات السلوك. وكان الاختلاط والامتزاج بالعناصر الوافدة من المشرق والاندلس يشخصان التطور الحضاري الذي دب في البلاد والنظرة الجديدة التي اخذت الذاتية المغربية تنظر بها الى العناصر الوافدة وما تحمل من حضارة وثقافة .

والمؤرخون يحدثوننا عن التكييفات الاولى التي وجدت طريقها الى الظهور هنا من (خارجية) و (شيعية) وفكرة (اعتزالية) يسميها بعضهم (واصلية) نسبة لزعيم الاعتزال واصل بن عطاء .. كما يحدثوننا عن اشياء اخرى ظهرت في مرحلة التكييف ، كـمـا هو الشان في (برغواطية) تامسنا .

ولكن النقد التاريخي لهذه الفرق والتعمق في الفروق بين المبادىء والتطبيقات عندها يعطينا ان الذاتية المغربية احالتها الى شعارات تستتر تحتها تمردها على كل ما من شانه ان يسيم الانسان المغربي الاذلال والقهر والاستغلال!

فالخارجية مثلا صفرية في (سجلماسة) ، جنوب المغرب، واباضية في (تاهرت) قريبة من حدود المغرب الشرقية ، لا تمثل حقيقة الخارجية بمبادئها المعروفة ، التي نادت بها في حركاتها المتمردة في اقطار المشرق ، واوضح هذه المبادىء يتجلى في نظام الحكم الذي سارت عليه دولة بني مدرار في (سجلماسة) كما سارت عليهدولة رستم في (تاهرت) وكذلك الشان في الحركات الاخرى التي ظهرت في المغرب في هذه المرحلة ، اذ انها لا تعني في حقيقة الامر الا تكتلات وتجمعات متذمرة من اخطاء الذين انحرفوا في الحكم عن نزاهة القصد وسلامة التسيير والتدبير ...!

وكانت النتيجة ان دولاب الحضارة تحرك مع كل تكييف وتلون رغم الحروب والفتن التي شاهدتها البلاد . فالحركة الخارجية اسس رجالها المدن ونظموا القرى والاسواق ، وضربوا العملات وساروا خطوات في تعلم العلم، وازدهار التجارة وربط المواصلات وكذلك الشان في الحركات الاخرى التي لا تدخل في تفاصيل اعمالها في هذا الميدان وما قدمت من عطاءات .

ولعل خير دليل عملي بقي لنا عن هذه المرحلة ، هو تلك المعلومات التي جمعتها كتب المسالك والممالك المؤلفة في الشرق خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين من عهد ابن خرذادبه الى عهد ابن حوقل المقدسي . والاخيران زارا المغرب وشاهدا اشياء من مظاهر الحياة المادية والمعنوية

فيه ... ولابس ابن حوقل هذه المظاهر وابدى رايه فيها .، ولا تعنينا الجهة التي كان يعمل لها بقدر ما تهمنا المعلومات التي سطرها عن مشاهدة وملابسة ...!

ودولة الادارسة التي حمت المشعل هنا مدة ليست بالقصيرة في الشمال والغرب وبعض أقاليم الجنوب ، كان لها في مرحلة التكييف هذه نصيب كبير ولا سيما في المجموعة الحضارية من المدن والمراكز التي سابقت غيرها من المراكز الاخرى . وكان لها الفضل في تغذية الذاتية المغربية وتوجيهها نحو اهداف نبيلة .

ولقد جاءت نتائج الابحاث الجديدة في الحفريات والعملات مؤيدة لعدة حقائق ، كنا نفرضها فرضا ، فقامت الادلة العملية على وجودها ، حيث ان التعايش والتعامل كان لهما اثر واضح في هذه المرحلة بين الاقاليم والمناطق التي سادتها نزعات مختلفة ، ولكنها متمسكة بالذاتية المغربية التي تريد الحياة الكريمة قبل كل اعتبار آخر .

وكانت الدعامتان الكبيرتان : الاسلام والعربية ملتقى يلتقي عندهما الجميع ، ولا تستطيع الاهواء ولا الاضاليل، ولا النزعات ولا الاغراض ان تغير من واقع الامر شيئا. الا انها كانت تستغل قصور النظر في بعض البسطاء الى حين ...! كما وقع ذلك في فترات معينة لاسباب يسهل الكشف عنها كما يسهل ردها الى محركاتها !

وضربت الذاتية المغربية الناضجة المؤمنة بقيمها الواعية لرسالتها ، موعدا مع التاريخ في ثغور الاندلس فجادت بالدماء ، وخاضت الغمرات طيلة قرون لدرء الاخطار ، وايقاف المد الصليبي ، الذي كان لا يخفي مطامعه في التهام الاندلس ، وتكسير الجسور التي تمدها بالرجال والعتاد ، والدعم المتواصل ، وبقيت الذاتية المغربية في سراء الحياة وضرائها تسجل البطولات وتشع بالعبقريات وتستقبل كل يوم جميل الذكريات ... وها هي اليوم تربط حلقات تاريخها في « الجولان » والصحراء !!! ولينصرن الله من ينصره ...!

فاس : عبد القادر زمامة



ابناء الصحراء يستقبلون عيد العرش ويرقصون رقصة الكدرة ، ويهتفون بحياة الملك ، وينتظرون يوم الانطلاق نحو الحرية والعودة الى حظيرة الوطن .



عناية ملوك دولتنا العلوية بتثقيف أبنائها

للأستاذ عبد الله الجراري

علما من ملوك الدولة العلوية وامرائها وبالدرجة الاولى تقديرا منهم للعلم والمعرفة كانوا يختـــارون لتربية الابناء احسن العناصر من رجال الثقافة على اختلاف اصنافها فكانوا يكلفون بالحصص الاولى من آي الذكر الحكيم المهرة فيه وفي تجويده ورسمه رغبـــة ان يلقنـــوه تلقيـــنا جيدا وغـــضا طـــريا كـــما انـــزل يـــضـــاف لـــذلـــك امتثال قول الرسول صلوات الله عليه : « من اراد ان يقرأ القرآن غضا طريا فليقراه على ابن ام عبد» (1) لهذه المأثرة الخالدة كان ابناء الاسرة المالكة منـــذ تربعها على عرش المغرب وطوال اربعة قرون . وهي تسير بفلذات اكبادها وامرائها على ضوء هذا المنهج الدراسي الحي مترسمة في منهجيته طريقته علميـــة لها جدواها المنتج حـــب المستوى الذي يوجـــد عليه اطفال الاســـرة .

وطموحا منهم اكثـــر كانوا يلقنونهم في هـــذه المراحل الاولى متون العلوم ونصوصها في غير ما فرع من فروع المعرفة كتهييـــئهم لما ينتظر من ولوج ابواب المعرفة التي كانت تلك المتون كمقدمـــات وفتح لغوامضها ومغالقها .

وكثيرا ما كانت هذه المدارس تؤســـس ازاء قصورهم العامرة رغبة الاتصال بها وتعاهد سيرها بانفسهم وفي هذه الظاهرة الطيبة ما يصـــور لنـــا آونة اخرى كريم العناية التي كانوا يولونها للامـــراء والاميرات ايمانا منهم بالرعاية وملاحظـــة الوارد : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » فكانوا بهـــذا الاعتبار امناء على الثقافة بهذه الديار بخاصة منهـــا الاسلامية دينا ولسانا وادبا مما لم يلبث (والناس على دين ملوكهم) ان كان قدوة حسنـــة للشعـــب ترسم خطاها منتهجا ما سنت من مناهج ووضعت من برامج ، واسمى من هذا ان ملوكنا الاماجد كانوا يشركون في مدارس الامراء بعض اطفال الرعية من شتى الاوساط رجاء احتكاك أبنائهم باطفال الشعب منذ فطرتهم الاولى وشيء من هذا القبـــيل لا يعتـــم يقوى رابطة الحب والعطف بينهم فينشأوا متآخين متجانسين بخاصة ما كانت الولاية فوقتئذ يجدهـــم الحال دارسين احوالهم وطبائعهم فتسود الطمانينة الحق بين الراعي والرعية ولا بدع ان تنعم الامة في عيش رغيد خصيب امنا ورفاها وتلك هجيرى مـــا تنشده الامم المتحضرة :

(الناس للناس من بدو وحاضـــرة
بعض لبعض وان لم يشعروا خدموا)

وهذا ما عززه التاريخ واتصلـــت مسيرتـــه كحلقات سلسلة محكمة الوضع الى تاسيس المعهـــد المولوي في عهد العاهل البطل محمد الخامس طيب

(1) عبد الله بن مسعود رضي الله عنها . ومن كان على شاكلته في الحفاظ على تراثنا الاسلامي الخالد.

الله ثراه (2) ثم لا يفوت القلم ان يستعرض فى ايجاز بعض افراد دولتنا العلوية الفاخرة كمؤسسها بحق المولى رشيد (اسبغ الله عليه شآبيب رحمتـــه) الذى بعد ما درس حسب العادة المتبعة انخرط فى المدرسة الدلائية وزاويتها لامر اقتضـــاه الحـــال آنـــذاك (3).

وكمحمد العالم ابن ابي النصر المولى اسماعيل قدس الله روحه - الذي استحق وصف العالم عن جدارة بما كان يتوفر عليه من معرفة وثقافة خاصة بالادب وفنونه التي كان يضرب فيها بسهام وافـرة متعمقا باحثا ناقدا لا سيما النـــدوات التـــي كان يعقدها مع معاصريه من أدباء القطر السوسي ومـــا كان يجري فى حلباتها من آيات بينات مـــن الادب الغض وعيونه شعرا ونثرا (4).

وكالملك السلفى المحدث محمد بن عبـد الله طيب الله مثواه الذى كان هو الآخر حامل لواء العود الى السلفية الحق بالمغرب والرجوع الى صحيـــح السنن ومسانيدها مما جعله يضع مسنده المسمى : « الفتوحات الالهيـــة » بعد مـــا كان من رواد الادب ووعاة ايام العرب واخبارهم حفظا واستحضارا (5). كما له اطيب الاثر فى بعث برامج الدراسة بكليـــة القرويين وتطعيم مناهجها وتطويرها كى تصبح مسايرة لمعاهد الشرق الاسلامي (6) .

ولثقته بآرائه وافكاره الاجتهادية لم يكترث لمـــا كان يوجه اليه أحيانا فى بعض الفـــروع ونوازلهـــا بمصادمة ماعهد فيها من عرف او عمل حتى من اقرب اقربائـــه .

وكعالم الدولة المولى سليمان برد الله مضجعه الذى كان من خيار الاسرة المالكة علما ودينا وعملا وتحررا فى افكاره مسهما فى سلفية ابيه ومترسما خطـــاه ناقـــلا اقدامه الثابتة على سننه علاوة على اتصالـــه برجال العلم والثقافة وحضور مجالسهم ومآتمهـــم فى رعاية منقطعة النظير وتديما قبـــل (لا يعـــرف الفضل الا ذووه) .

وهكذا ذواليك تتصل تلك الحلقـــات آخـــذا بعضها بحزرة بعض فى امتداد عريق يصل حاضـــرا بغائب ويبرز فى حلة قشيبة رائعـــة فى البطولـــة والتشجيع والقفز بالشعب الى البعـــث والنهوض وتنسم ارواح الحضارة الهادفة فى شتى اصنافهـــا صناعيا وثقافيا وفكريا كما شهد بذلك عهد الحسن الاول قدس الله روحه واخذ يتصاعد ايام المغفور له محمد الخامس اسبل الله عليه شآبيب رحمته رغم السدود والقيود المضروبة من طرف الاستعمـــار الغاشم . نعم تجلت كل تلك القيم وتقمصت معالمها الخالدة فى ملكنا المفدى جلالة الحسن الثاني أيده الله فكانت اعماله المتواصلة ومساعيـــه الموفقـــة نبراسا اضاء الارجاء وتخطت انواره المغرب لتسهم بدورها الانساني والاخوي بالدرجة الاولى فى الدفاع عن مقدسات الاسلام وقيم الحضارة الانسانية التى جد وكد العرب فى خلقها وتكوينها منـــذ عصـــور شاحطة اذا لا عجب ان يصبح الحسن الثاني رجـــل الساعة (والحقيقة ما نرى) ورأينا فيما عقد مـــن مؤتمرات اسلامية هنا وهناك وما لعبه فيها من ادوار حكيمة وبطولية لفتت انظار العالم عامة والعرب خاصة لا سيما فى مؤتمر الرباط الاخير (7) . وها هـــو الساعة يعطي للسنة الجارية لقب « سنة التحرير » تحرير الاجزاء المغتصبة - الصحراء - الساقيـــة الحمراء - ووادي الذهب - ثم سبتـــة ومليليـــة والجزر الجعفرية - سالكا (على عادته) الحكمة فى المطالبة باسترجاعها واتخاذ كل مـــا يمت بصلة الى

---

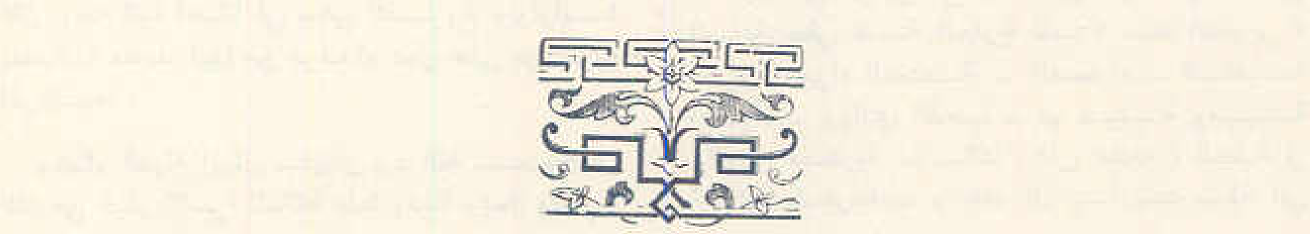
(2) المؤسس أوائل العقد الرابع الميلادي والسابع الهجري .
(3) نشأ عنه بعد ما سجله التاريخ .
(4) وقد كان الكاتب عبد الله الجراري خص هـــذا الموضوع بمقال نشر قبل .
(5) له فى ذلك سلف نبيل هو الامام محمد بن ادريس الشافعـــي .
(5) له فى ذلك سلف نبيل هو الامام محمد بن ادريث الحسنية » رسالة فى العاهل المغفور له محمد بن عبد الله .
(7) بما حققه من قدرة حكيمة التنسيق بين الاخوة العرب بعد ما كانت شقة الخلاف بعيـــدة الحـــل مستعصية التقريب والتوفيق - الشىء الذى قضى منه الرؤساء والملوك العجب فى تقدير حكمة الحسن الثاني دام له العز والتأييد .

الطرق الدبلوماسية وما يهدف الى تجنب العنف والشدة ، بعرض القضية على محكمة العدل الدولية وهيأة الامم المتحدة رغم ما يبديه الاسبان من تعصب وتصلب فى القضية المغربية واصالتها تاريخيا واقتصاديا وثقافيا منذ طوال سنين وسنين – حيث اصبحت جيوشهم تتحرك فى الشمال بين سبتة ومليلية اظهارا للقوة كتهديد اشبه ما يكون بطنين اجنحة الذباب وانى له يضير . اخفى على اسبانيا وقادتها لا سيما رئيسها الذي استأسد اكثر بعد ابلاله من مرضه : ما للمغرب والمغاربة من بطولة وشجاعة عرفهما التاريخ ويعرفهما حتى الساعة الشرق والغرب جميعا بل كان عليها ان تتخذ العبرة من جارتها (البرتغال) وتعود الى رشدها مكتسبة بذلك عطف العالم بخاصة العالم العربي . فلتمض – جلالة الحسن الثاني مظفرا منصورا وراءك الشعب الوفى المؤمن بقضيته العادلة فى الصحراء وسواها من مغصوب الاجزاء الشمالية .

وهنيئا هنيئا لسدتكم العلية بذكراكم الرابع عشرة محفوظين فى سمو ولي عهدكم سيدي محمد وصنوه العزيز المولى رشيد وباقي الاسرة .

وتحية مباركة مشفوعة بأطيب التهاني من :

الربـــاط عبد الله الجــراري



موقف المولى سليمان العلوي من الحركة الوهابية

للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

في بداية النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري انبثقت فكرة اصلاحية في نجد ، دعا صاحبها محمد بن عبد الوهاب الى نبذ كثير من المظاهر الاجتماعية التي تنسب الى الاسلام جهلا في حين انها بدع ضالة .

وادت دعوته الى خلق مؤيدين ومعارضين شان كل الدعوات وانتقلت من اطارها النظري الى الاطار الحربي حينما بلغ الحكم الى السعود بن عبد العزيز الاول بن محمد بن السعود ، وهو شيخ من نجد ذو شهامة واعتزاز لم يكتف بترداد مضمونها ونشر بنودها نظريا واكنه شهر السيف في وجوه المناوئين حتى استطاع أن يدخل مكة منتصرا سنة 1218 هـ. وبدخوله لها اصبح حكمه ذا طابع شرعي .

ولم تشا الظروف ان يحضر محمد بن عبد الوهاب لحظة الانتصار لانه كان قد توفى سنة 1206 هـ ولكنه خلف ولدا ممتلئا عقيدة ومتحمسا بفكرة والده فدافع عنها علما ، وعملا تحت حماية السعوديين الذين تبنوا الفكرة . واقام ندوات متعددة في مكة لشرح آراء الدعوة الاصلاحية وتفسير اصولها وبين امام محضر كبير من العلماء على اختلاف مذاهبهم ان الدعوة الجديدة تهدف الى تحقيق ما ياتي :

(اولا) احياء الاصول التي يعتمد عليها اهل السنة والجماعة .

(ثانيا) اقرار مذهب السلف فيما يتعلق بالصفات الالهية وهم يقرونها على ظاهرها ويوكلون امرها الى الله .

(ثالثا) الاعتماد في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل دون التنكير على من يقتدي بمذهب آخر .

واهم ما يتعلق بدعوتهم اقرار التوحيد الاسلامي الطاهر البعيد عن الاشراك بالله ومحاربة كل المظاهر التي أحياها الجاهلون حينما شوهوا زيارة القبور والاضرحة وجعلوها ملتجا لدعواتهم واستغاثاتهم واعتقدوا فيها ما كان يعتقده المشركون في اوثانهم واصنامهم .

ولما كان هذا الامر جد خطير بالنسبة للاوضاع الاجتماعية في مختلف البقاع الاسلامية ارتاى السعود بن عبد العزيز ان يوجه رسائل الى ملوك الدول الاسلامية والى رؤسائها يبين لهم اهداف دعوته ويشرح لهم الاسباب التي ادت الى محاربة الضلالات ومقاومة المفاسد.

وبلغت الرسالة الى السلطان المولى سليمان رحمه الله سنة 1226 هـ فوجدها لا تتنافى مع الاصول الاسلامية ومع ذلك فقد جمع العلماء يستشيرهم ويستفتيهم ويرجو منهم ابراز ما يكنون ازاء هذا الموقف الاسلامي في بلاد الحجاز .

ولم يكن المولى سليمان بالجاهل ولا بالمتخلف فهو الذى تلقى الدراسات الدينية واللغوية عن جماعة من الاساتذة الموفقين تحت رعاية والده محمد بن عبد الله فتربى ذوقه

ورقت مشاعره واصبحت الخشية تغلب على سلوكه ، لذلك فكر جديا في الامر وارسل بعثة مغربية تضم عددا من الفقهاء وعلماء الدين مصحوبين بابنه ابراهيم ليؤدوا فريضة الحج وليترأسوا الحجاج المغاربة وليطلعوا عن كثب على مضمون الدعوة واهدافها .

وضم الوفد المرسل اعلاما مغربية لم تكن مجهولة آنذاك منهم .

القاضي ابو اسحاق ابراهيم الزداغي
والفقيه ابو الفضل العباس بن كيران ،
والفقيه المولى الامين بن جعفر الحسيني الرتبي .
والفقيه محمد العربي الساحلي .

ونقل صاحب الاستقصا نصا من كتاب الجيش لاكنسوس بين فيه ما لقيه الوفد من التجلة والاحترام وذكر جزءا من الحوار الذي كان بين الامير السعود بن عبد العزيز الاول وبين القاضي المغربي (1) ، واهم ما جاء في الاسئلة قول القاضي : « وبلغنا انكم تمنعون من زيارته صلى الله عليه وسلم وزيارة سائر الاموات مع ثبوتها في الصحاح التى لا يمكن انكارها ، وقال : معاذ الله ان ننكر ما ثبت في شرعنا . وهل منعناكم انتم لما عرفنا انكم تعرفون كيفتها وادبها ؟ وانما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالالوهية ويطلبون من الاموات أن تقضى لهم اغراضهم التي لا تقضيها الا الربوبية ، وانما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى وتذكر مصير الزائر الى ما صار اليه المزور ، ثم يدعو له بالمغفرة ويستشفع به الى الله تعالى ويسأل الله تعالى المنفرد بالاعطاء والمنع بجاه ذلك الميت ان كان ممن يليق أن يستشفع به ، هذا قول امامنا احمد بن حنبل رضي الله عنه ، ولما كان العوام في غاية البعد عن ادراك هذا المعنى منعناهم سدا للذريعة فاي مخالفة في هذا القدر اه » ؟

ولما رجع الوفد الى المغرب بين بكل وضوح موقف الوهابيين وتمسكهم باصول العقيدة واحترامهم لآل البيت وتطهيرهم للحرم الشريف من كثير من البدع والمفاسد ، وسمع المولى سليمان كل ذلك ووعاه فرآه منسجما في جوهره مع التعاليم الدينية وقارن بينه وبين ما عليه كثير من الجهلة بالمغرب حينما غلوا في الدين ونسبوا الى غير الله ما هو لله . فاشفق عليهم من ذلك وكتب رسالته الشهيرة التي انكر فيها سلوك أهل البدع الضالة وفتح الاعين على حقيقة السنة التي تتنافى مع الغلو في احترام الاموات غلوا يدفع العوام الى الاعتقاد في كونهم ينفعون أو يضرون .

وهذه الرسالة تظهر لنا أن موقف المولى سليمان من مفهوم البدعة لم يكن بعيدا عن موقف الوهابيين ولكن موقفه من مخالفتها لم يكن شبيها بموقفهم ، فهم اختاروا العنف وآثروا منع العوام من زيارة القبور سدا للذريعة وهو اختار طريق التوعية والارشاد والنصيحة وفتح الاعين على حقيقة الدين ، وخطته هذه صالحة بالنسبة للوضع الذي كان عليه المغرب آنذاك وبالنسبة لموقف المولى سليمان من هذا الوضع .

فالمغرب في الحقيقة غزته الاتجاهات الصوفية الصافية حقبة من الزمن فلعبت دورا عظيما في تهذيب النفوس وتقوية الايمان والاعانة على الجهاد والمحافظة على مصالح العباد ثم تضاءلت هذه الحقيقة فدخل أدعياء التصوف في الميدان وانتقلت الحركة الصوفية الى ايدي بعض العوام فتلاعبوا بجوهرها وكدروا صفاءها ودنسوا روحها . وهنا لا بد من اختيار طريق الاصلاح، فاما محو للفكرة الصوفية من اساسها وقضاء على مراكزها واما تهذيب للطباع ونشر للدعوة السليمة وارجاع الحق لذويه والفضيلة لممارسيها .

اما الوهابيون فقد اختاروا الاتجاه الاول فقرروا هدم كثير من المزارات وتحطيم كثير من الاضرحة لانهم راوها تحول بين العبادة الطاهرة وبين الانسان أما المولى سليمان فاختار الطريقة الثانية ورأى أن تطهير المبادىء

(1) « الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى » تأليف الشيخ ابي العباس احمد بن خالد الناصري ، طبعة دار الكتاب ، الجزء الثامن ، ص 121 . ومما يلاحظ انه وقع خطأ للناصري حيث نسب هذا الحوار لعبد الله بن السعود في حين انه للسعود بن عبد العزيز ، ويظهر ذلك من التحقيق التاريخي الآتي : فالسعود قد ولي الملك سنة 1218 هـ ، وتوفي سنة 1229 هـ حيث تولى من بعده ابنه عبد الله ، ولقد تقدم لنا أن الوفد توجه الى الحجاز اثر الرسالة التى بلغت الى المولى سليمان سنة 1226 هـ ، وهو تاريخ يتفق مع عهد السعود لا عهد ابنه عبد الله . انظر تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة للدكتور احمد السعيد سليمان .



المصلح مولاي سليمان ملك المغرب ، وفى وقتـــه
قام الاسبان بعرض بيع المدن المحتلة من طرفهـــم
بشمال المغرب ولكن فى نفس الوقت كانوا يفكرون
فى احتلال منطقة وادي نون والساقيـة الحمـــراء

الصوفية خير من القضاء على مراكزها ولهذا فكر جديا في الجهر بالحقيقة وحاول ان يظهرها امام الملأ وان يزيل المسؤولية فاعلن موقفه بكل وضوح وبدون التواء .

ان اصلاح العقيدة شرط اساسي في نقاء النفس وسلامة الايمان وكلما انتشر الغلو بين قوم الا وضعفت فيهم قوة التفكير وضاعت منهم سمة العقل الرشيد . وهذا هو السر في ان المولى سليمان حاول القضاء على مظاهر البدع في دولته لانه رآها تخرب العقيدة وتفسد روح الايمان وتكثر في التهريج والخرافات ، وبين التهريج والخرافات تضيع الحقائق وتنهار القيم وتصبح الايادي الجاهلة تتصرف في عقول اغلبية الشعب فلا تبقى للاسلام ملامحه الظاهرة ولا مواقفه المشرفة ويصبح الحق باطلا وتصير البدعة سنة وويل لامة تنقلب فيها الآية فاذا بالحق يدخل في اطار الخرافات بالخرافة تدخل في اطار السنة المتبعة .

تلك خطة المولى سليمان ، انها موازرة لفكر الوهابيين من الناحية الدينية فيما يتعلق بتطهير العقيدة من الانحرافات التي اصيبت بها ، الا انها مخالفة لطريقة التطبيق التي سار عليها اولئك .

اما الموافقة فتظهر في المقارنة بين رسالة المولى سليمان وبين المصادر الاصلية التي وضعها الوهابيون شرحا لعقيدتهم .

ومن هاته المصادر كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد لمحمد بن عبد الوهاب ، صاحب الدعوة ، فلقد اختار فيه من الآيات والاحاديث ما يؤيد به وجهة رايه وتعرض لمفهوم التوحيد والشرك وبين فيه المواقف الحاسمة التي اظهرها الاسلام ضد كل ما من شانه ان يجعل لله شريكا في اي صفة من الصفات أو شكل من الاشكال ، وبين ان الغلو في قبور الصالحين يصيرها اوثانا تعبد من دون الله واستدل في هذا الباب بالحديث الذي دونه الامام مالك في الموطا فقد روي عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد (2) ، واخرج المولى سليمان هذا الغلو من الناحية النظرية الى الناحية العملية ليدل المغاربة على مواقعه وعلى اخطاره فقال في رسالته : « من الغلو البعيد ابتهالات اهل مراكش بهذه الكلمة سبعة رجال فهل كان لسبعة رجال شيعة يطوفون عليهم ، فعلينا ان نقتدي بسبعة رجال ولا نتخذهم آلهة لئلا يؤول الحال منهم الى ما آل اليه في يغوث ويعوق ونسرا » .

وهي صيحة لا تصدر الا عن مومن صادق يعرف مضار كل تعفن في العقيدة والسلوك وحاول ان يستخدم الجانب الاقناعي في النهي ليرفع به مستوى الذين يستمعون اليه فتضمنت هذه الفقرة من رسالته الملاحظات التالية :

اولا : ان الابتهالات بالاشخاص داخلة في اطار الغلو البعيد .

هؤلاء السبعة رجال لم تكن لهم شيعة يطوفون عليهم فلم هذه البدعة التي لا اصل لها في اسلافهم .

ثالثا : الاشعار بان الغرض من زيارة الاموات وزيارة الصالحين الاقتداء بافعالهم واخلاقهم لا التعظيم المجرد الذي يخرج عن دائرة التربية الى دائرة الاعجاب السلبي.
رابعا : تذكيرهم بان عبادة الاوثان انما جاءت عن طريق الغلو في الصالحين وهو يشير بذلك الى ما ورد في الصحيح من ان هذه الاسماء هي لرجال صالحين من قوم نوح اعجب بهم محبوهم فجعلوا لهم صورا وتماثيل سموها باسمائهم حتى اذا طال بهم الاعجاب وهلكوا بقيت ماثلة للناس فورثوا حبها الى حد التقديس ثم الى حد العبادة .

خامسا : في هذه الفقرة دعوة صريحة الى استخدام العقل من جهة والى التقيد بنصوص السنة من جهة اخرى .

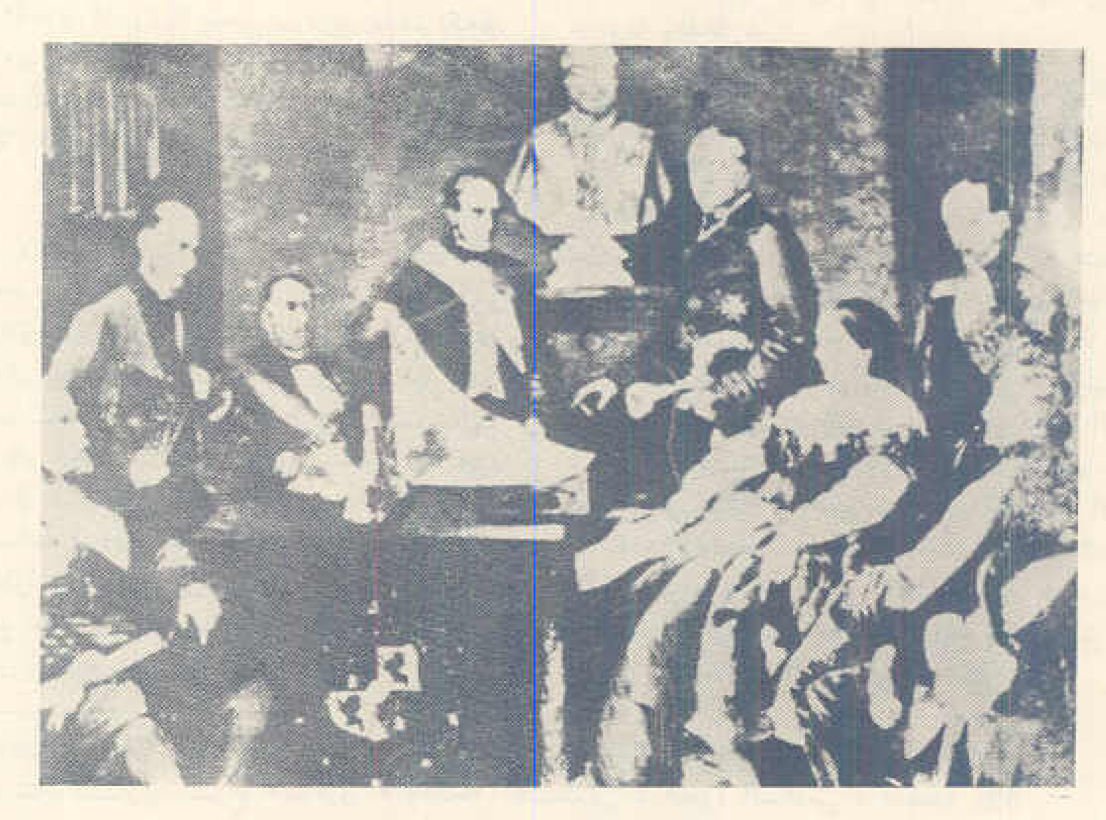
ان هذه الملاحظات لتدل دلالة واضحة على التوافق في اصل المبادىء السنية بين راي المولى سليمان وبين الدعوة الوهابية ولكننا في الوقت نفسه لا نشعر انها ستطبق عن طريق القسر والقهر وانما يبدو انها ستسير وفق الافهام الشرعي والعقلي ليبتعد المخالفون اقتناعا لا ليبتعدوا ردعا وزجرا .

وهذه هي الخطة التي تتلاءم مع الاتجاه الاصلاحي الذي كان يهدف اليه المولى سليمان ومع الاتجاه السني الذي دعا اليه والد المولى محمد بن عبد الله رحمه الله . قال الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله في كتابه « معطيات الحضارة المغربية » حين حديثه عن ملوك المغرب

(2) كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب ، الطباعة المنيرية ، صفحة : 49 .



علي باى العباسي ما هو الا الاسباني دييكو باديا الذي جاء الى المغرب سنة 1803 مبعوثا من طرف كودوى الساعد الايمن لملك اسبانيا وكانت مهمته تهييء الجو لانقلاب يجب ان يقع بالجنوب المغربي ليمكن الاسبانيين احتلاله بسهولة



اعلنت اسبانيا الحرب على المغرب يوم 1859/10/22 ويرى فى الصورة الملكة الاسبانية ايزابيل الثانية تترأس مجلسا للوزراء .

والطرقية (3) » وقد الف أبو الربيع مولانا سليمان خطبة ضد المواسم والطوائف متأثرا فيها بروح والده السنية وكان تحريره لهذه الرسالة سدا للذريعة وحماية للشريعة رغم تشبعه هو ووالده بالروح الصوفية السلفية .

ولعل هذا التشبع بروح الصوفية السلفية هو الذي جعل المولى سليمان يختار في تطبيق الفكرة طريق الوعظ والاقناع والتوعية لئلا ينسف كثيرا من المظاهر الحضارية داخل المغرب .

فالفكرة في اساسها فكرة سنية سلفية ودعوة الوهابيين لها لما يؤكد اخلاصهم في الدين وتفانيهم في تطهير العقيدة ولكن تحقيق هذه الدعوة عند المولى سليمان ياخذ سبيلا غير سبيل الوهابيين .

ان الفكرة في اساسها واحد، فلماذا نضيق الخناق على الفكر فلا نختار الا سبيــــلا يؤدي الى العنـــف والاضطراب .

اننا لو بحثنا بعمق لوجدنا ان الظروف لها دور فعال في اختيار الاجتهادات ولهذا ينبغي أن نزيل عنصر الحقد والتعصب من انفسنا لنبحث عن الحقيقة وان نمعن النظر في الاحاديث الواردة في هذا الباب وفي طرق تاويلها عند كل طائفـة والا ناخذها ماخذا نهائيا ما دامت قابلة للتاويل والتفسير .

ان هذه الاحاديث التي يجعلها الوهابيون انطلاقا الى مواقفهم تجد من علماء المسلمين من يشرحها شرحا آخر ينطبق مع اتجاه الذين اباحوا زيارة القبور وبناء الاضرحة وشد الرجال لها لا على اساس انها تزار لذاتها وانما على أساس تـقـديـر المزور تقديرا لا يتنافى مع سلوك الاسلام ، فلو اخذنا مثلا قول الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في السياق لعنة الله على اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد لوجدنا هذا القول منه تحذيرا لاصحابه من ان يفعلوا بقبره ما فعل اليهود بقبور انبيائهم لئلا ينساقوا مع اهوائهم فتبلغ بهم محبته الى حد الغلو الذي يخرجهم من ايمانهم ويبعدهم عن توحيدهم .

وهذا الحديث ياخذه الوهابيون ويجعلونه منعا مطلقا نجمع بين القبر والمسجد ويضيفون اليه أحاديث أخرى تؤكد معناه وتصرح بالمنع والحظر ويضعه ابن عبد الوهاب في كتابه التوحيد في باب ما جاء به التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف اذا عبده . لكننا اذا اخذنا الحديث ذاته لوجدنا هناك تفصيلا في شرحه عند طوائف من المسلمين .

فالبيضاوي مثلا ، وهو احد المفسرين ، يقول : « لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الانبياء تعظيما لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها واتخذوها اوثانا لعنهم الله ومنعهم عن مثل ذلك واما من اتخذ مسجدا في جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا بالتعظيم له ولا التوجه نحوه فلا يدخل في ذلك الوعيد (4)

وفي هذا النص تاويل شرعي يبيح اقامة الاضرحة بجوار المساجد لكننا قد نجد ان المنع الذي يفهم من سياق الحديث ناتج عن الخوف من عبادة الاضرحة وعبادة اربابها ، أما اذا زال المانع فان المانع يزول بنـاء على القاعدة الاصولية التي تقرر ان العلة تدور مع المعلول وجودا وعدما .

وهكذا نجد ان الحديث صالح للمنع وصالح للتفصيل بين المجاورة والمباشرة وصالح لتاويل الجواز اذا زال المانع ويكون الحال حينئذ في هذه المشكلـة كالحال في أمر التصوير ، فقد وردت أحاديث تزجر المصورين وتخوفهم من عذاب الله (5) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله وقال كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم وظاهر هذين الحديثين المنع مطلقا وبذلك قال الوهابيون ولكننا لو امعنا النظــر لرأينا ان السبب في المنع هو التخوف من أن يعــود الناس الى عبادة الاوثان اما اذا زالت هذه الاسباب وارتفعت وارتفعت هذه الموانع فانه لا مبرر لاستمرار هذا التحريم وبذلك افتى الشيخ محمد عبده رحمـه الله وهي فتوى تنسجم مع الواقع وتنطبــق مــع العقل ولا يجافيها الراي السليم (6) .

---

(3) معطيات الحضارة المغربية للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله ، الجزء الاول ، ص : 162 .

(4) « ارشاد الساري لشرح البخاري » للعلامة القسطلاني ، الجزء السادس ، صفحة 521 .

(5) كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب ، صفحة : 123 .

(6) اقرا بحثا في موضوع التصوير ووضـع التماثيل بكتاب الفكر الاسلامي والتطور للاستـاذ محمد فتحي عثمـان ، الطبعة الثانيـة صفحة : 284 .

ان نفس الاعتبار يمكننا ان نجعله منطبقا على بناء الاضرحة وعلى زيارتها وعلى وضع المساجد بازائها فاذا خيف من عبادة الاضرحة عبادة من يسكنها فان المنع ظاهر. اما اذا زالت هذه التخوفات ولم يعد هناك ما يبررها فلا معنى للمنع والتحريم .

ولعل هذا الاعتبار هو الذي دفع المولى سليمان الى النهي عن الغلو والى محاولة توعية رعاياه لئلا يقعوا في هذه الموبقات المؤدية الى تاليه الاضرحة وذويها .

ان الوضع المغربي كان يقتضي ثورة على المفاهيم لا نسفا للمآثر والمعالم ، فحفاظا على تاريخ اولئك الذين بنيت اضرحتهم بناء مشيدا وجلهم من الفاتحين والمرابطين والمجاهدين والعلماء والمربين والصالحين وابقاء لمظاهر بطولاتهم لتكون رمزا يقتدى به المقتدون فان المولى سليمان آثر التوعية على الهدم والارشاد على التحجير والتنبيه على حقيقة آداب الزيارة وعلى إبطال الزيارة من أصلها. وبذلك تكون الفائدة مزدوجة تجمع بين الابقاء على معالم الصلاح وبين اصلاح نفوس المنحرفين .

وهذا التاويل لا يتنافى مع روح السنة النبوية التي اراد الوهابيون احياءها كما لا يتنافى مع الروح الصوفية الطاهرة التي ربي عليها المولى سليمان .

واحياء السنة في الدعوة الوهابية لم يقتصر على هذه الجزئية بالذات ، فلقد دعا محمد بن عبد الوهاب الى الوحدة والاخاء والابتعاد عن التناحر وعدم الرضى بالتقليد الاعمى وغير ذلك من الصفات الحميدة وهي صفات لو تاملنا حياة المولى سليمان لرايناه يدعو اليها ايضا .

فالروح الاصلاحية كانت تجمع بين الدعوتين ولن يقوم الكيان الاسلامي الا على اساس الوعي الصادق والاخلاص المتواصل والاعتزاز بالله وبدينه .

ويمكن لمن يدرس التاريخ الفكري لهذه الدعوة ان يجد اصولها في كتاب وضع تصميمه الداعية محمد بن عبد الوهاب وشرحه شرحا كافيا وفق المنهج الوهابي عالم العراق الكبير السيد محمود الالوسي وسماه : « مسائل الجاهلية (7) التي خالف فيها رسول الله صلى عليه وسلم أهل الجاهلية » وكانه في هذا الكتاب يريد ايضاح مظاهر الانحراف في عهده التي اصبحت شبيهة بمظاهر الانحراف التي كانت في العصر الجاهلي ولم يتغلب على تلك الا برسالة الاسلام ولهذا لا يمكن التغلب على هذه الا باحياء السنة وبالرجوع الى ينبوعها الاصيل .

ولعل الزمن لو امهل المولى سليمان لاحياء معالم الفضيلة وقضى على التخلف الفكري ولاستطاع ان يهذب النفوس ويرشد الغافلون ويبعث السنة من جديد ولتراجع عن التسهيلات التي منحها لبعض الكتب التي ضيق والده طريق نشرها فقد كان المولى محمد بن عبد الله يحارب كثيرا من كتب الفروع وكتب غلاة الصوفيين ولكن المولى سليمان لم ير رايه فكان ذلك من الاسباب التي ادت الى عدم التوفيق في رسالته الهادفة الى احياء السلفية ومحاربة المبدعة والقائمة على التوعية ومخالفة التعفن الفكري والعقائدي .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

(7) طبع الكتاب سنة 1348 هـ بالمطبعة السلفية لمحب الدين الخطيب .



اليد البيضاء لصاحب الجلالة الحسن الثاني في ازدهار القراآت القرآنية بالمغرب

للدكتور التهامي الراجي الهاشمي

كنت حدثت ، في أربعة أعداد سابقة خاصة من مجلة دعوة الحق الغراء (1) القراء الاعزاء عن القرار المولوي السامي ، القاضي بتحقيق وطبع تفسير « الجامع الوجيز في تفسير القرآن الكريم للعلامة الاندلسي عبد الحق بن أبي بكر بن عبد الملك الغرناطي المعروف بابن عطية (2)

ولقد علمت ان مولانا امير المؤمنين يرغب ، أعزه الله في أن يرى تحقيقات علمية دقيقة لهذا التفسير بـعـدد المجالس العلمية الموجودة في المملكة . ولهذا الغرض ، قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية فزودت كلا من المجلس العلمي للقرويين بفاس والمجلس العلمي لكلية اللغة العربية بمراكش والمجلس العلمي لكلية اصول الدين بتطوان والمجلس العلمي بالعاصمة الاسماعيلية مكناس والمجلس العلمي بمدينة اكادير بما تطلبه من النـسـخ الخطية للجامع المحرر الوجيز .

وانه لقرار مبروك، جاء في وقته المناسب سيجني منه المغرب تحقيقات علمية تشمل ، ان شاء الله ، جميع انواع علوم القرآن مستمدة من تفسير عظيم كان الاصل الاصيل لكثير من التفاسير المشهورة التي جاءت بعده .

هذا ، ولقد علمت ان المجلس العلمي بفاس قد انهى تحقيق الجزء الاول الذي يشتمل على تفسير السورة الاولى ، الفاتحة ، والسورة الثانية البقرة . ولا يستبعد ان يكون هذا الجزء قد دفع الى المطبعة واننا سنسعـد بقراءته في بحر هذه السنة .

ولقد اطلعت من جهة اخرى ، بنفسي على الجزء الاول من هذا التفسير بتحقيق اعضاء المجلس العلمي بمراكش حين كان هؤلاء العلماء الاجلاء يعقدون جلسات مطولة في خزانة الكتب بكلية اللغة العربية يناقشون ابن عـطـيـة واضعين التعاليق المناسبة لما ابهم . ثم رايت بعد مدة هذا الجزء مطبوعة على الآلة الكاتبة جاهزا للطبع الاخير.

وأملي أن هؤلاء العلماء الاجلاء سواء منهم اعضاء المجلس العلمي بفاس او بمراكش كانوا يحققون اجزاءهم وقـد

(1) دعوة الحق ، العدد الثالث من السنة الرابعة عشرة ، ذو الحجة ومحرم 1391 يبراير ومارس 1971 من الصفحة 110 الى صفحة 112 وكذا « دعوة الحق » ، العدد الاول ، السنة الخامسة عشرة ، محرم الحرام 1392 ، مارس 1972 من صفحة 90 الى صفحة 92 وكذا « دعوة الحق » ، العـدد الثامن السنة الخامسة عشرة ، صفر الخير 1393 ، مارس 1973 ابتداء من صفحة 146 وكـذا « دعوة الحق » العددان الرابع والخامس السنة السادسة عشرة ، صفر الخيـر 1394 ، مارس 1974 ، ابتداء من صفحة 150 .

(2) انظر الاشارة الى مكان ترجمته في مقالي المنشور في مجلة دعوة الحق ، العدد الاول من السنـة الخامسة عشرة ، صفحة 90 ، الحاشية رقم 2 .

جعلوا نصب اعينهم الملاحظات التي كنت قد قدمتها من اجلهم على صفحات هذه المجلة .

وملاحظاتي كما هو معلوم منصبة على القراءات القرآنية وتخرج ابن عطية لها في وجيزه ثم حكم ابي حيان الغرناطي ، صاحب البحر المحيط عليها .

ومعلوم ان اهمية تفسير ابن عطية لا تاتيه فقط من كونه استطاع ان يجمع في كتابه بين دقة التفسير واستخراج الاحكام من الآيات وتذليل الصعاب امام المتطلع لفهم النص القرآني فهما يساعده على القيام بشعائر دينه الحنيف ، وانما ايضا ، وبالدرجة الاولى لانه استطاع بلباقة كبيرة ان يجمع في تفسيره معلومات لا غنى عنها في ميدان القراءات ، سيما القراءات الشاذة التي كان له فيها التخريج الصائب الموافق لاحكام الدين وقواعد العربية المرتكز على براهين سليمة لا يمكن ردها الا في حالات نادرة .

ومن اجل معرفة هذه الحالات واحصائها واثارة انتباه السادة اعضاء لجن احياء هذا التراث الخالد الذي امر مولانا امير المؤمنين نصره الله باخراجه للناس في حلة قشيبة ينتفع منه كل دارس للقرآن وكل باحث في علومه اكتب هذه الحلقات كجزء بسيط متواضع من مساهمتي في احياء تراثنا المجيد وبعثه من مرقده قويا سليما ، يوقظ الضمائر ، ويحيي العزائم وينشط الهمم .

ولقد سبقت الاشارة فيما كتبت من حلقات الى خمس تخريجات كانت الاولى (3) تدور حول تخريج قراءة ان ولا في قوله تعالى (4) : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ، وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله ، وما الله بغافل عما تعملون ».

وكانت الثانية (5) تدور حول تخريج قراءة حسنى في قوله تعالى : « واذا اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا ، وذي القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا للناس حسنا ، واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون (6) ».

وكانت الثالثة (7) تدور حول تخريج قراءة « قليلا » في الآية المشار اليها قبل .

وكانت الرابعة (8) تدور حول التخريج الذي ذهب اليه ابن عطية حين تفسيره لقول الله تبارك وتعالى : «ولتجدنهم احرص الناس على حياةومن الذيناشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة ، وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون (9) » .

وكان التخريج الخامس (10) الذي اغضب ابا حيان فصوبه بشدة هو ما اورده ابن عطية حين تفسيره لقوله تعالى : « الحج اشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا اولي الالباب » (11).

اقول اسهاما متواضعا مني في عمل لجنة احياء التراث واستجابة للامر المولوي المطاع اتابع البحث حول تصويب أبي حيان لتخريج القراءات القرآنية التي تحدث عنها ابن عطية في تفسيره « المحرر الوجيز ».

---

(3) انظر مجلة دعوة الحق ، العدد الاول ، السنة الخامسة عشرة ، صفحة 91 ، العمود الثاني ابتداء من السطر 9 .
(4) الآية 74 من السورة الثانية ، البقرة .
(5) انظر مجلة دعوة الحق العدد الثامن السنة الخامسة عشرة ، صفحة 146 ، العمود الاول السطر 16
(6) الآية 83 من السورة الثانية ، البقرة .
(7) انظر دعوة الحق نفس العدد السابق ، صفحة 147 ، العمود الثاني السطر 14 .
(8) انظر دعوة الحق ، العددان الرابع والخامس من السنة السادسة عشرة ، الصفحة 151 ، العمود الثاني ، السطر 17 .
(9) الآية 96 من السورة الثانية ، البقرة .
(10) انظر مجلة دعوة الحق ، العددان الرابع والخامس من السنة السادسة عشرة ، الصفحة 151 ، العمود الاول ، السطر 24 .
(11) الآية 197 من السورة الثانية ، البقرة .

6 ـ كان التخريج السادس الذي اثار غضب العلامة أبي حيان الغرناطي هو ذلك الذي اورده الامام ابن عطية وهو بصدد تفسير قوله تعالى : « بديع السماوات والارض واذا قضى امرا فانما يقول لـه كـن فيكون » . ذلك ان ابن عطية اقدم ، في تفسيره لهذه الآية الكريمة على امرين من الخطورة بمكان .

الامر الاول ، يتعلق بالمعنى . كلنا نعلم ان الامر كـن وما عطف عليه «فيكون» قد اسال كثيرا من المداد لانه لا يمس قاعدة نحوية فقط فيهتم المفسرون بحرف العطف يبحثون عن جواز امتناع استعماله في هذا المكان وبهذا المعنى او ذاك ثم يتفرغون الى فعل الامر او الفعل المضارع يستعرضون انواع استعمالهما ثم ينتهي الامر عند هـذا الحد ولكنه مس في ذات الوقت معتقدا .

ان طائفة من المسلمين ترى ان في الآية الكريمة امـرا صادرا لمعدوم يراد مـنـه أن «يكون» وترى بعده نسقا «فيكون» . وحينئذ تستنتج ان قديما اعقبه حديث وهو امر لا يصح عندها بحال من الاحوال .

ولقد رد ابن عطية في هذه الآية حتى على الطبري الذي حاول تقريب المسألة من اذهان الناس حين رأى ان «فيكون» معطوفة على «يقول» قبله . فنقد هذا التفسير ابن عطية ردا على الطبري ومن نحا نحوه ، واصفا هذا التأويل بالخطا من جهة المعنى لانه يقتضي أن القول مع التكوين حادث .

الا ان ابا حيان يقف بجانب الطبري ، وجماعته ، ناقدا وجهة نظر ابن عطية في هذه المسألة ، مؤولا مذهب الطبري في هذا مصرحا : «من ان الامر لا يتقدم الوجود ولا يتاخر عنه » (13) ، محتجا بما جاء في المنتخب الذي اورد : « ليس المراد ان الله تعالى يقول «كن» وحينئذ ((يكون)) ، ذلك الشيء ، فان ذلك فاســـد من وجوه ، فلا بد مـن تاويله » (14) . ثم ياتي صاحب المنتخب باربع تاويلات لا يعتمد ابو حيان لتحطيم وجهة نظر ابن عطية الا على الوجه الاول الذي يقول فيه صاحب المنتخب : « ان المراد نفاذ سرعة الله في تكوين الاشياء وانما يخالفها لا نفكرة، ونظيره « قالتا اتينا طائعين » (15)

ويحسن أن نشير هنا الى ان ابا عبد الله محمد احمد الانصاري القرطبي اورد وجهة نظر ابن عطية التي يرد فيها على ما ذهـب اليه الطبري دون أن يقيمها ، ودون أن يحكم بينهما (15) . لهذا قد يؤول سكوته الى انه ينحاز جهة ابن عطية والامر واضـح .

نعرف لهذه الآية قراءتين :

الاولى قراءة الجمهور (1) ،وهي برفع «فيكون» على الاستئناف ، اي « فهو يكون » . وصرح ابو حيان ان سيبويه اختار هذه القراءة ، ولم استطع حتى الآن التحقق من ذلك . واوضح ما اورده سيبويه بشكل اوسع الامام القرطبي فقال : « قال سيبويه فهو يكون او فانه يكون » .

الثانية : قراءة عبد الله عامر الشامي اليحصبي (19) الذي نصب في قراءته « فيكون » .

قال الامام ابن خالويه : « والحجة له : الجواب بالفاء ، وليس هذا من مواضع الجواب لان الفا لا ينصب الا اذا جاءت بعد الفعل المستقبل كقوله : « لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب (20) ، ومـعـنـاه : فـان تفـتـروا يسحتكم ، وهذا لا يجوز في قوله تعالى : « كن فيكون » لان الله اوجد بهذه اللفظة شيئا معدوما ، ودليله حسـن الماضي في موضعه ، اذ قلت : كن فكان ، وقراه الباقون بالرفع ، والحجة لهم ما قدمناه من القول (21) .

---

(12) الآية 117 من السورة الثانية ، البقرة .
(13) البحر المحيط ، الجزء الاول ، صفحة 360 ، السطر الرابع .
(14) نفس المصدر ، الصفحة 365 ، السطر 21.
(15) انظر الجامع لاحكام القرآن ، الجزء الثاني ، صفحة 88 ، السطر 7 .
(16) البحر المحيط ، الجزء الاول ، صفحة 365 ، السطر الاخيـر .
(17) فى كتاب السبعة ، صفحة 169 ، السطـر الاول .
(18) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ، صفحة 90، السطـر الثالث .
(19) احد البدور السبعة ، وهو عربي مثل ابي عمرو بن العلاء ، توفي بدمشق سنة 117 هـ .
(20) الآية 61 من السورة العشرين ، طـه .
(21) الحجة فى القراءات السبع ، صفحة 65 ، السطر الخامس .

ويقصد ابن خالوية بقوله : « الجواب بالفاء » ان ابن عامر نصب فيكون على تقدير اضمار ان بعد الفاء حملا للفظ الامر وهو « كن » على الامر الحقيقي (22) .

حقا لنا الآن ان نتساءل هل يمكن ان يكون هناك احتمال، ولو ضعيف جدا يجوز لنا ان نقدر لحظة ان ابن عامر – وهو من القراء السبع–واذن فهو صاحب قراءة متواترة، فقراءته اذن وحي اوحي به من الحق سبحانه وتعالى الى الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، اقول هل يمكن أن يكون هناك احتمال ما ، يحملنا على الظن بان ابن عامر سها فقرا بالفتح ما كان عليه ان يقراه بالضم .

بالرجوع الى قراءاته نتتبعها من اول القرآن الى اخره نجيب ، جازمين « لا » . ذلك أن ابن عامر لم يقرا هنا فقط بالنصب ، وانما قرا نفس اللفظ بنفس الحركة ، اعتمادا على نفس التاويل ، مقدما نفس الحجة : في قوله تعالى : «قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ، قال كذلك ، الله يخلق ما يشاء ، اذا قضى امرا فانما يقول له كن ، فيكون » (23) ، وكذا في قوله تعالى : « انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن، فيكون (24) . وبالفتح في هذه الآية قرا أيضا ابو الحسن علي بن حمزة الكسائي .

وقرا ابو عامر الشامي بالفتح كذلك في قوله تعالى : « ما كان لله ان يتخذ من ولد ، سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن، فيكون » (25)، وفي قوله تعالى : «انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون » (26) ، وفي قوله تعالى : « هو الذي يحيي ويميت ، فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ». (27)

يتضح مما قدمناه ، ونظرا لتكرار نفس الاعراب في اماكن من القرآن الكريم متشارهة ، وعدم مجيئها مفتوحة على لسان نفس القاري، في اماكن اخرى مثلها تماما ، ان ابن عامر قرا « فيكون بفتح النون اعتمادا على سماع وصله عن طريق التواتر من رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وكان التخريج الخامس الذي تصدى له الامام ابو حيان ، فصححه ، لكن بلطف ، يدور حول اللفظة « اضطره » في قوله تعالى (28) « واذا قال براهيم رب اجعل هذا البلد – آمنا وارزق أهله من الثمرات من – امن منهم بالله واليوم الآخر . قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار . وبيس المصير ».

ذلك ان ابن عطية ، حين حديثه عن هذه المفردة تصدى الى قراءة يحيى بن وثاب الذي قرأ همزة المتكلم (المضارعة) بالكسر قائلا : « على لغة قريش قولهم لا اخال يعني بكسر الهمزة ».

فرد ابو حيان قائلا : « أن كلام ابن عطية مخالف لما حكاه النحاة الا ان كان نقل لا اخال بخصوصيته في لغة قريش مكسورا لهمزة دون نظائره فيكونون قد تبعوا في ذلك لغة غيرهم من العرب . فيمكن ان يكون قول ابن عطية صحيحا ، وقد تقدم لنا في سورة الحمد في قوله : « نستعين » ان الكسرة لغة قيس وتميم واسد وربيعة . وقد امعنا الكلام على ذلك في كتاب التكميل لشرح كتاب التسهيل من تاليفنا (29).

وقبل ذلك كان اعقب هذا الكلام بكثير من التفصيل والايضاح ، لان ابا حيان الغرناطي يؤمن – فيما يخيل الي – بهذه القاعدة التربوية التي لا يطبقها المربون والمعلمون عندنا ، بكل اسف الا نادرا . وهي ان الصور الاجمالية التي تؤخذ من القواعد ان لم تؤدها الصور التفصيلية التي تستفاد من النماذج ، لا تمثل في الاذهان حق التمثيل ، ولا تنجلي حقيقتها تمام الانجلاء » ، فقال مفصلا ، موضحا ، معطيا الامثال ومرشدا الى النماذج : « وظاهر هذا النقل (اي النقل الذي نقله ابن عطية والذي رأى فيه أن همزة « اضطره » مكسورة على لغة قريش

---

(22) عد الى « المهذب فى القراءات العشر » ، صفحة 70 السطر 15 .
(23) الآية 47 من السورة الثالثة ، آل عمران .
(24) الآية 40 من السورة 16 ا النحل .
(25) الآية 35 من السورة 29 ، مريم .
(26) الآية 82 من السورة 36 ا يس .
(27) الآية 68 من السورة 40 ، غافر .
(28) الآية 126 من السورة الثانية ، البقرة .
(29) البحر المحيط ، الجزء الاول ، صفحة 386 ، السطر 11 .

قياسا على لا اخال ، في ان ذلك اعني كسر الهمزة التي للمتكلم في نحو اضطر وهو ما اوله همزة وصل وفي نحو اخال وهو أقبل المفتوح العين من فعل المكسور العين مخالف لما نقله النحويون . فانهم نقلوا عن الحجازيين فتح حرف المضارعة مما اوله همزة وصل ومما كان على وزن فعل بكسر العين يفعل بفتحها او ذا ياء مزيدة في اوله وذلك نحو علم يعلم وانطلق ينطلق وتعلم يتعلم الا ان كان حرف المضارعة ياء فجمهور العرب من غير الحجازيين لا يكسر الياء ، بل يفتحها ». (30) .

ولا يعقل ان يكون ابن عطية — وهو ما هو من المنزلة العلمية — يجهل ما اشار به اليه ابو حيان ، وما اشار اليه اولى لا يحتاج الى كثير معرفة — وانما يرجح ان يكون وصل الى صاحب الوجيز ، من لغات العرب ما لم يصل الى صاحب البحر — بطريق شفوي، طبعا — لتقدم الاول وتاخر الآخر زمنيا . واقول بطريق شفوي ، حتى يظن انني ارمي أبا حيان بالجهل ، وان كنت اعتقد ان ما ركنت اليه لتفسير هذه الظاهرة يحتاج الى مزيد من الدعم ليقبل ما دام لا يرتكز على تخمين ، ولكنها فكرة عنت لي فاسترحت لها واعتمدتها في غياب براهين سليمة تقوي بها النظرية .

الدار البيضاء : الدكتور التهامي الراجي الهاشمي

---

30) المصدر السابق ، صفحة 386 ، السطر الرابع .





متى العودة ؟ ياسبتة العزيزة ؟!!

للأستاذ محمد أحمد اشماعو

كانت الاخبار الرائجة صحيحة ، فكل ما قاله المسافرون القادمون من ناحية الشمال قد تأكد ... ونزلت بمدينة فاس — عاصمة الامبراطورية المرينية — افواج لاحصر لها من سكان (سبتة) المهاجرين ، وكان نزولهم مثار استياء اهل فاس وغضبهم !

لقد كان من المعتاد ان تستقبل مدينتهم العريقة الوفود ، الواردة عليها من مختلف الاقاليم في ابهة وحفاوة ووقار ، وسرعان ما يؤذن لهم بمقابلة الخليفة ، ثم يخرجون من عنده راضين مستبشرين حامدين شاكرين ، وهم قلما يذهبون الى المآوى والفنادق ، فأيدي الكرام تتفتح لهم : العلماء يستقبلون العلماء ، والادباء يستأنسون بالادباء ، وارباب التجارة والصناعة كذلك يفعلون .

اما اهل سبتة اليوم فقد جاءوا العاصمة ، في حالة من السوء ، لا سابق ولا مثيل لها ، اسراب وراء اسراب ، تتبعها اسراب ، من الرجال والنساء والاطفال ، رجال العلم والفكر ، ورجال الفراسة والزراعة ، ورجال الاعمال اليدوية والتجارة ، ورجال الصيد والبحرية ... كلهم تساووا في هذا القدوم — غير الكريم — وفي لبس الاسمال الوسخة ، وفي اهمال الشعور واللحى ، وكلهم صمموا على ارتداء الاحذية السوداء !

واثر السفر الشاق الطويل — عبر الجبال والوهاد والسهول والاودية — على المهاجرين التعساء فلوحت الشمس المحرقة الوجوه ، وغطى الغبار الاسود السحنات ، واوت الوحل الارجل والايدي وبرزت الشقوق يتفجر منها الدم ، وتمعنت الغضون على الجباه ، فلكأنها حفرت بآلة حادة ، والشفاه — كل الشفاه — علاها الجفاف واليبس ، دلالة على طول فترات الجوع والعطش ، والبشرات — حتى البشرات الرقيقة — غدت كشيء يشبه جلود المعز المدبوغة ... ثم لا كلام ولا حديث ولا شكوى ، اللهم الا ما كان يتكلم به وجهاء القوم ، يعبرون به عن مشاعر الجماهير البائسة اليائسة .

صبر الرجال ، لكن النساء والفتيات والاطفال لم تبق لهم طاقة للصبر على كل هذا الضيم العظيم والاهمال الشنيع ، انهم بمجرد ما راوا السكان الذين نزلوا بين ظهرانهم ، وهم على ما هم عليه من الاستقرار والطمأنينة ، ينعمون بالغدو والرواح من والى البيوت ... بمجرد ما راوا ذلك ، قامت في نفوسهم الذكريات مؤلمة موجعة ، تتمزق معها القلوب ... لقد كانوا في احوال مثل هذه ، كانت منازلهم في المرتفعات مشرفة على البحر ، تهب عليها النسمات الرخية ، وكانت المناظر امامهم تتبدل في مواكب من الجمال الطبيعي الفاتن ، في

حاشية : من الصدف السعيدة ، ان بمجرد انتهائي من اعداد هذه الاقصوصة ، اعلن رسميا عن مطالبة المغرب بمدينتي سبتة ومليلية وما حولها ، فكانت بشرى عظيمة . وتخلد بها شهر يناير في وطننا بمطالبتين تاريخيتين 1944 و 1975 .

اطار من السهول الخضر ، ومن البحر الشاسع الجليل ، وفى الداخل كانت الدروب نقية ، والمتاجر عامرة ، والبضائع فى الاسواق نافذة وفى كل مكان بيوت للعبادة والعلم والوعظ ، عامرة مزدحمة بطلاب وعشاق المعرفة ، وبالراغبين فى الاستفادة ... كان كل هذا هكذا ، ولكن البرتغاليين جاءوا فاخذوا الديار ، واخلوا المتاجر ، وغلقوا المساجد وطاردوا المصلين ... وها هم السكان ، سكان سبتة السابقون ، تائهون فى ارض الناس وفى دروبهم ، أين كان الخليفة ، واين كانت مواكب جنده ؟ واين كانت اساطيله ؟ لقد فرط الحاكمون فى الرعايا ، واهملوهم ، وتركوهم لمصيرهم ...

غادر اهل سبتة مدينتهم ، ومضوا يقطعون البرارى والقفار ، ويتخطون المجارى والوديان ، الى ان وصلوا الى مدينة فاس . وهاهم فى مدينة فاس ، هائمون فى دروبها ، راكنين الى السقائف والخرائب ، يشربون من المنابع والعيون شرب اللهفة والظما الشديد ، ويقتاتون بالقليل من الطعام الردىء .

اهتاج علماء (جامع القرويين) ، وقاموا — كالمعهود فيهم — قومة رجل واحد ، وجهروا بالاستياء من اهمال مواطنى مدينة سبتة ، واحتجوا فى غضب على احتلال الديار السبتية النبيلة ، وتفجعوا لمصير العلماء والصالحين فى تلك المدينة ، وتوقعوا الشر كل الشر من هذه البداية السيئة الشنيعة فى احتلال المدن المغربية ... ولم يسعهم الا ان يدعوا الامة للاستعداد الى الجهاد .

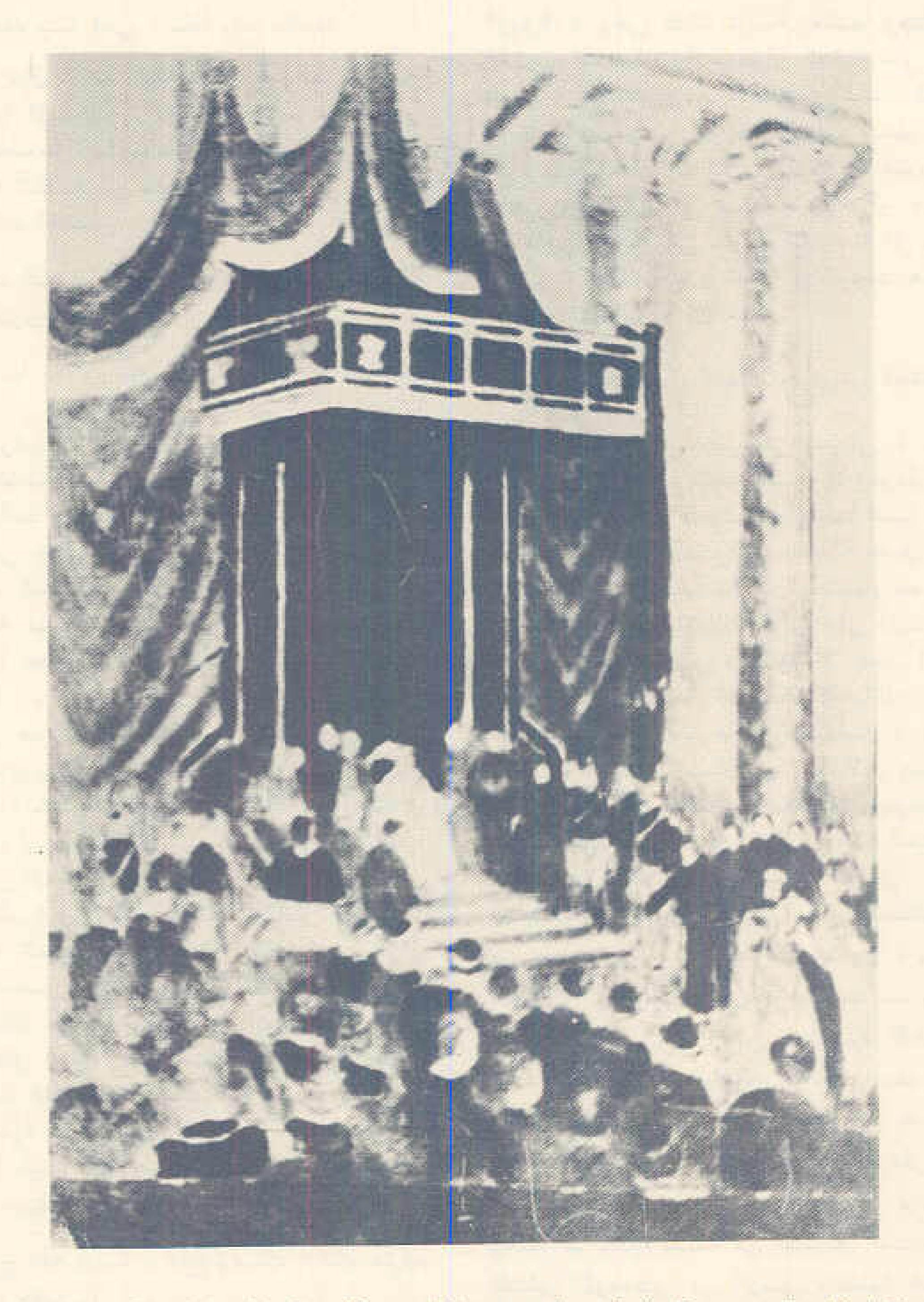
فى هذا الحين ، كان قصر السلطان المرينى يسوده وجوم مطبق ، واحتار الخليفة (عبدالله) حتى فى موقفه ، واحتجب الوزراء والحجاب واولياء الامور وراء اسوار تصورهم ، وراحوا يتلقفون الاخبار من الاعوان الخارجين من القصور ، والداخلين اليها ، وكانت تلك الاخبار لاتزيدهم الا خورا وعجزا ، اما ضمائرهم فلم يكن يخالجها اى شىء من شأنه ان يعصرها او يهزها . ان كل ضمير من هذه الضمائر يشعر بتقريع ، ولكنه فى نفس الوقت يشعر بالاقتناع ، بأن المسؤولية ليست عليه ، وانما هى على غيره .

وتسابق علماء القرويين الى مكان نزول المهاجرين اللاجئين ، واخذوا يبحثون عن رجالات العلم والمعرفة ، واخذوا بأيديهم — بعد الحاح — الى المدينة ، ليكرموهم ، وليطلعوا على حقيقة الحالة من خلال اخبارهم وشهاداتهم ، كما جاء نقباء الاشراف وصحبوا معهم بنى عمومتهم من حيث يكرمون ، وتصان كرامتهم ... وما تقاعس عامة السكان عن القيام بواجب التكريم ، فقد حملوا الى النازلين بين ظهرانيهم قصاع (الكسكس) ، وصحون (الثريد) ، وما لا يحصى من (الرغائف ، المسمنة الساخنة ، التى تهافت عليها الصغار قبل الكبار ... طائفة من المحسنين تركت مهمة تقديم الغذاء الطائفة الاولى ، وجاءت هى بالحلاقين والمنظفين والصبانات ، وتبعها الحمالون بلفائف الملابس والاغطية ... وبعكس ما كان يتوقع رفض اللاجئون ان يسلموا رؤوسهم لحلاقين ، او يستبدلوا الممزق والوسخ من الملابس... طال الجدال وكثر الالحاح : طلب ورفض ، الحاح وتعصب ، ... وهكذا من بين كل ما احضر لم يقبل الا الطعام والماء .. ان القوم فى غضبة كبرى !

وابى الذين تسد عليهم العزة والانفة السبيل الا ان يخرجوا نقودهم القليلة ليشتروا بعض ما يلزم ، ولكن ما يلزم كثير ، والنقود قليلة .. الرجاء فى الله ان يخفف الكربة .

ومن بين الجموع ، انسل يونس المومنى شبه هارب ، وانحدر الى مدينة فاس ، واخذ يجوس خلال دروبها باحثا عن (اديب فاس) ، شاعر الطبيعة ، وشاعر النسيب ، وناظم ابدع المدائح لقد كان يسمع به وهو فى بلدته (سبتة) . واليوم حرص على ان يراه رؤية العين ، ويأنس به مؤانسة القلب ، قبل ان يقضى الله بقضائه الذى لا مرد له .

واستجابت العاطفة الرقيقة للعاطفة الرقيقة ، والاريحية الادبية للاريحة الادبية ، فتبادل الرجلان عناقا اخويا حارا صادقا وطويلا ، وجذب كل منهما راس الاخر اليه يقبله ، وشدا فترة طويلة على ايدي بعضهما ، لكان العشرة طويلة ، والشوق بعد الغياب شديد ، وواقع الامر ان (اديب فاس) السيد عبدالاحد كان فى غم كبير خانق ، من جراء الاخبار التى جاء بها المسافرون من مناطق الشمال ، وتأكدت بصورة مؤلمة عند طلوع النهار بوصول افواج المهاجرين . ان الاديب الشاعر يتأسف ان ليس الادباء فى مثل شجاعة العلماء ومبادراتهم ، انهم حقاً (يقولون ما لا يفعلون) ، ويتوقفون ، فلا هم متقدمون ولا هم متأخرون ... وا اسفاه !



اعضاء السفارة المغربية تحت رئاسة الحاج محمد الطريس الذي ارسله مولاي الحسن الاول سفيرا له لدى البابا ليون الثالث عشر سنة 1888 طالبا منه التدخل لدى الاسبانيين والفرنسيين ليضعوا حدا لتدخلاتهم فى المغرب

ـــ احك يـــا اخى ، ماذا وقع باللـــه ؟

ماذا اقول ؟ ان سبتة تبعث اخواتها مـــن المدن الشهيدة الاندلسية . كنـــا نهاجمهم فى عقـــر ديارهم ، فأصبحوا يهاجموننا فـــى عقر ديارنـــا ، هل بعد هذه النكسة من نكسة ؟ قـــل لـــى باللـــه افدنى انى اكاد اختنـــق .

ـــ انت الـــذى تفيدنى ، حدثنى من فضلـــك عما جرى ...

ـــ ان ما حدث رايته رؤية العين ، وسمعتـــه باذنى هاتين .. استمع الى ، وتجاوز عمـــا تـــرى بى من اضطراب : (مسكنى كان ، نعم كان ، عبارة عن مسكن لطيف ، به حجرة واسعة ، لها شرفـــة على عرض الجدار تقريبا ، الذى يبلغ ستة عشـــرا ذراعا ، وهى مشرفة على البحر ، بحـــر العرب ، المعروف عند النصارى ببحر الروم ، والجالس فـــى هذه الشرفة يحسب نفسه متنزها علـــى ظهـــر سفينة ، ولا عجب فالامواج تكاد تلمسها اذا مـــا مددت ذراعة . . . واصارحك ايها الاخ الكريـــم ، ان جلساتى فى هذه الشرفة كانت اعز شىء فى الدنيا؛ فلم تكن عندى رغبة فى تجوال ولا خروج ولا هيمان فى الطرقات ، كنت اقيم حيث اقامنى الله . واعتقادى كان تاما فى ان منظر البحر ـــ من اعلى ـــ اعجب منظر فى كون الله ، كل فتـــرة من النهـــار منظـــر متجدد ، منظر شروق الشمس ليس كمنظر غروبها ، ومنظر حالة الصحو ليس كمنظر الاكفهرار ، الوان واشكال لا حصر لها ، ولو كان الانسان يستطيـــع ان يصور ذلك بتدقيق لصوره ، ولتوفرت له آلاف الصور ، ولكن الفكر وحده يستمتـــع ، والـــذاكرة وحدها تحفظ القليل من ذلـــك هذه هى شرفتـــى ، وتلك هى نظرة من طريقة حياتى ولكن سبتة ضاعت ، ضاعت يـــا حبيب القلب .. فمتـــى العودة ؟ متـــى العودة ؟ يا سبتة العزيزة .

ـــ فرج الله قريب ، تابع وصفك ، انك عارف بدقائق الامـــور

ـــ كيف لا اعرف ؟ وكل مـــا وقع جرى تحت عينى هاتين .

ـــ كان اليوم يوم جمعة ، وهو يوم عطلـــة تتعطل فيه المتاجر والمصانع واعمـــال البحـــر ، .. ويمسي الكل فى سمر وانس ، ويتبـــادل النـــاس الزيارة ، وهى كذلك فرصة يغتنمها رجال حاميات القلاع والابـــراج والاســـوار القائمة على شاطـــىء البحر ، فيتخففون من الاسلحة والبسة الجنديـــة ، ويأخذون قسطا من الراحة كافيا ، ومنهم من يقضى اليوم متمددا على الفراش ، مستسلما للنوم العميق ، واخرون ينهمكون فى تسليات بريئة او غير بريئة ، ولا تكون العودة الى مقرات الحراسة الا مع هبـــوط الظلام ... عرف العدو الماكر ، الموجود هناك علـــى الضفة الشمالية ، كل هذا ...

ـــ فماذا فعل ؟ ماذا جرى فى الحقيقة ؟

ـــ بينما انا جالس فى شرفتى ، بين يـــدى كتبى ، التى طالما طابت اللـــه الا يحرمنى منهـــا ، فخاب رجائى يـــا للحسرة ... بينما انـــا كذلـــك اذ شاهدت بأم عينى مـــراكب صغيرة تحمل صناديـــق السلع ، ويقوم عليها بدلا من مجذف واحد مجذفان ، ولذلك كانت هذه الافلاك تنزلق على الميـــاه بسرعة كبيرة ، تعجبت للامر فالمعهود الا يدخل المرسى اى مركب يـــوم الجمعة ، رست الافـــلاك ، وحملـــت الصناديق بغاية السرعة الى اليابسة ، وكان فـــى ظنى ان الحاملين سيتركون الصناديق ويرجعون من حيث اتوا ، او يستبدلون ملابسهم ويتوجهون الـــى المدينة للتفسح والفرجة ، كما جرت العادة مـــع البحارة والمسافرين الاجانب من قبـــل ... ولكنـــى اندهشت ، وانا ارى بعينى راسى الحمالين ينقلبون فى طرفة عين ، الى جنود مسلحين ، مـــزوديـــن بالغدارات والبنادق والرماح وبرزت ـــ والدهشـــة تكاد تصعقنـــى ـــ رؤوس الجنـــود الاخرين مـــن الصناديق ، وراحوا يقفزون واحـــدا بعد واحـــد ، وللفور تولى كل واحد اداء المهمة التى هـــو مكلـــف بها ، كانوا ينفذون خطة مبيتة ، وهم على علم مـــن ان الحامية المغربية فى غيبة عن مقر مامـــوريتها . وهكذا لم يجدوا مشقة فى اغتيـــال اصحاب الـــدور القليلين الموجودين فى المرسى وانتقلوا الـــى خارج المينـــاء ، ولم اعد اسمع الا دوى الطلقات ، وزعيق القتلى ، وصـــراخ المتصارعين مـــع الاعداء وهـــم بـــدون ســـلاح ، والا ولولـــة النســـاء وصيـــاح الاطفال ، واستمر اطلاق الرصاص طيلة الليـــل ، واشتعلت حرائق فى امكنة مختلفة من مـــدينتـــى الغالية سبتـــة ...

ـــ لاشك ان ليلتكم كانت على اسوا ما يكون ؟

ـــ اية ليلة يـــا اخى ، لقد ذقت من الهـــم والغم ما لم اذقه فى حياتى ، وما اظننى ســأذوق مثله بقية عمرى ، لم يكن فـــى مقدورى ان افعـــل شيئـــا ، فادنى حركة منى كانت تؤدى بـــى الـــى الهلاك ، وفاضت صدرى بـــآلام شديدة خانقـــة ، كادت تزهق معها روحى ، فالاعداء لن يعملوا الخير فينـــا وفى بلدنـــا ، فما تعودنـــا منهم الا الشـــر ، ولن يتخلوا عن عادتهم . . . فاضت مني القريحـــة فى تلك الليلة العصيبة ، فكتبت قصيدة ، بلغت ابياتهـــا الاربعين ، ندبت فيها مدينتى الغالية وتفجعت لحالها وفى الاخير وجدت ان القصيدة مضطربة كمزاجـــى فمزقتها ، وارتميت على فراشى ابكى ، نعم ابكى ، وغابنى النوم فلم استيقظ الا على صوت المنادى وهو ينادى ...

كان المنادى ينادى بلغة عربية ، ذات لكنة :

ـــ انه بأمر القائد البرتغالى المعظم يجب علـــى جميع المسلمين بالمدينة ، رجالا كانوا ام نســـاء ام اطفالا ، ومهما كانت السن ، ان يغادروا المدينـــة ، وان مـــن عصى او حاول المقاومـــة والتخريـــب ، فسيصلى بالبارود ، وفى عين المكان ...

وزاد المنادى يقـــول :

« ... يمكن ان يأخذ الناس من بيوتهم ما يشاؤون ، شيء واحد من كل نوع ... وبأمر القائد البرتغالـــى المعظم ستفتح الدكاكين حتى منتصف النهار ، ليأخـــذ المطرودون حاجتهم من الطعام ثـــم تمسى الامـــلاك والاشياء بعد ذلك من املاك الجنـــود والقاطنيـــن البرتغاليين ، هذه تعليمات تطبق ولامفـــر منها ، ولا ترخيص فيها ولا استثناء لاحد من المسلمين ... سبتة من اليوم مدينة من مدن البرتغال ، تحت حكم تـــاج ملكنا المبجل ، حامى النصرانية وحامـــل الصليب ...

ـــ شيء فظيع يـــا اخى ، ونكبة مـــا بعدهـــا من نكبـــة

ـــ حتا حقـــا ، كانت امسية وليلة من الشؤم والفظاعة ، بالقدر الذى لا يخطر على البال ، مـــا رايت ولا اظننى ارى مثلها فيما بقى من حياتـــى ...

هل افظع من ان يطـــرد الانســـان من وطنـــه ويخرج من بيته وحجرات اقامته ، وعـــش امـــانه ليتشرد فى الطرقات وفـــى الخـــلاء وفى البرارى والقفار ، لا فراش ولا غطاء ، ولا بـــاب ولا نافذة ، وافظع من هذا ، لا كتب ولا دواة ولا قلم ، حيـــاة جافة كالصحراء ، كحياة الصحراء ولو كانت وســـط الجنـــان بين الاشجـــار والانهار كـــل متـــاعـــى كل اثاثى كل كتبى بقيت هناك ، هناك فـــى سبتـــة فمتى العودة .. يـــا سبتة العزيزة ؟

ـــ ظلم ما بعده ظلم . الم تكن هناك مقاومة ؟

ـــ اية مقاومة ؟ جنود الحامية كانوا فـــى حالـــة عطلة ، والحراس القليلون الذين كانوا هناك قتلوا غضبا كما تقتل الكلاب ... اما المواطنون فقد وجدوا انفسهم امام هجوم عنيف بالنيران وماذا كـــان فـــى استطاعتهم ان يفعلوا ، كل ما كان فى استطاعتهـــم هو ان يغادروا الديار العزيزة هائمين هكـــذا فـــى ديـــار الناس

ـــ انها ليست ديار ناس ، بل هى دياركم

ـــ اللـــه اللـــه يـــا اخى ، الضيف ضيف ، ولو اقام الشتاء والصيف ...

ـــ بامكانك ان تعتبر نفسك فى بيت ثان لك ، اقـــم فيه حتى يفرج الله كربتك وكربة اهل بلدك النبيـــل (سبتـــة)

ـــ رجاء قد يطول ، واقامة قد تطول من اجل ذلـــك . والادباء ـــ كما تعرف ـــ بضاعتهم لاتسمن ولا تغنـــى من جوع . . . هذا غير معقول يا اخي .

ـــ غير معقول لماذا ؟ يوجد بمنزلنا منذ ما يزيد عـــن سنة ، شـــاب من سوس الاقصى ، مـــن اقاليـــم الصحراء ، وهو يتابع دراسته بجامعـــة القرويين ، وقد جاءت معه اخته عائشة ، لتسهل له الاقامة ، ولتقضى له جميع اغراض المنـــزل ، وبمجرد مـــا تعرفت عليها الاسر الفاسية سحرتها ، سحرتهـــا بحلاوة لفظها ، وخفة ظلهـــا ، واخبارهـــا التـــى لاتنتهى عن الصحراء وعـــادات الصحراء ، وسحـــر الطبيعة فى الصحراء ، لو جاز لى ان اشبهها لقلت انها يمامة سمراء بين سرب من الحمائم البيضـــاء ، كل البشرات البيضاء بمدينة فاس زادت فى جمال سمرائنا المقدام البشوش ، القريبة من كل القلوب ، انها بين النساء مثالا الحزم ، وبـــين الرجال مثـــال للفضل ، حياها اللـــه .

ـــ اين ضيونك هؤلاء ، لقد شوقتنا الى رؤيتهم

ـــ عادة يحضران عند اذان الظهـــر الاول ، عندمـــا ترفرف الاعلام البيضاء الصغيرة على الصوامـــع ..

مهلا ، ها هما قد حضرا بالفعل .. هيا تفضلا ، لقد جعلتما الجوع يداعب امعاءنا .. لايخلو ، اما ان يكون ابطاكم عنا عالم ساحر الحديث ، او شاعر عذب القافية ، او محدث بارع النكتة ..

قال جبريل اخو عائشة الصحراوية :

الحقيقة ان فاسا ما تزال تقدم لنا كل يوم جديدا ، ومفاجآت عجيبة .. لم يكن هذا الصباح مع العلماء ، ولا مع الشعراء ، ولا مع الظرفاء ، وانما كان مع منكوبي سبتة ، لقد امتلا المسجد وما حوله بالعلماء والطلاب ، واجتمعوا حول المهاجرين من الديار الكريمة ، ديار سبتة ، وراحوا ينصتون الى الاخبار التي تفتت الاكباد وتسيل الدموع ، وقد خطب الخطباء وتباكى الشعراء فاطمته عائشة :

كل ما قيل لايجدى ، الواجب علينا ان نخرج جميعا ، ويخرج معنا كل سكان المغرب ، لتحرير المدينة النبيلة ، ووالله لان لم يخرجوا اليوم او غدا لاغادرن مدينتهم مغادرة نهائية وانت يا جبريل هل تخرج أم انت باق ؟

— مهلا ، تعالى نتغذى اولا ، ونستريح ، ونأخذ راى مضيفنا الكريم ، ثم بعد ذلك يفتح الله بما فيه الخير .

— نتغذى ونستريح ، بعد كل ما راينا ، عجبا ! اما انا فقد انغلق قلبي ، ولن ينفتح ابدا حتى يرفع هذا البلاء العظيم ...
قال الاديب :

— دعانى أقدم لكما اولا ضيفنا الجديد ، انه السيد يونس المومني ، احد ادباء سبتة الكرام لقد جاء مهاجرا فى جملة من جاء من المهاجرين

هتف جبريل :

حرام ان يطارد مثل هذا الوجه الخير من دياره ، وان يغدو هكذا معفر الجبهة ، اشعث اغبر ، ابى فداؤك يا صديقى وروحى .

— شكرا ايها السيد الفاضل وشكرا لهذه السيدة الفاضلة ايضا .

— اننا منذ شاهدنا المأساة فى هذا الصباح ، اسود الكون فى اعيننا ، لم يعد لنا مأرب فى العيش ، ولا رغبة لنا فى المقام فى منازل الحضارة ، لهذا صممنا العزم — آسفين — على ان ننقلب الى اهلنا وعشيرتنا ، الى ديارنا الصحراوية البسيطة الصعبة العيش ... وخير لنا ان نكون هناك لندافع عن ارضنا عند الاقتضاء . لا نريد ان نترك قومنا هناك فى غفلة ، سنكون صوتا مدويا بالتحذير ، وسنكون على تمام الاهبة فى كل وقت ، ان ايدي الاعداء لن تقتصر على تلك الشواطىء ، ستمتد الى الشواطىء الاخرى بلا شك ، بعد ذلك يأتى دور الداخل .

— اهكذا تغادروننا ما الفناكم ؟ !

قال يونس المومنى :

كنت سأسعد بأنتعرف اليكما ، خصوصا وعندكم كل هذا العطف على ديارنا المسلوبة
اجابت عائشة ، وعيناها غير ناظرتين الى يونس :

— نصدقكم القول باننا نحن الصحراويين المقيمين هنا قد انتشرنا بين جموع المهاجرين السبتيين والحمنا عليهم — وليسامحنا اخونا عبدالاحد — ان يتركوا العاصمة ، التى لم يبر بهم حكامها ليذهبوا معنا الى الصحراء ، فهناك الشدة وهناك الباس ، وهناك اباء الضيم ، لقد واعدنا الكثير من المهاجرين بالرحيل فورا ..

— نخوة واباء وصلابة فى مواقف الشدة ... اشياء معهودة فى ابناء الجنوب ، حفظهم الله لابناء الشمال ..

— اقسم لكم بالله صادقة ، اقسم لكم ان انكسار هؤلاء البرتغال الظالمين سيكون على يدنا نحن المغاربة ، وبمساهمة كبرى منا نحن ابناء الجنوب ، عاجلا او آجلا .

وعلقت (عائشة) عيناها بالسماء ، واخذت تتمتم ، وعقدت قبضتها ثم وضعتها على صدرها ، وقالت :

— قلبى يحدثنى بهذا ، وما حدثنى قلبى بشىء الا كان!

— هل لى ان افهم ان الشجاعة هناك ، والعجز هنا ؟

— حاشا لله ، فاس تضم عديدا من المهاجرين الاندلسيين ، وما جالد المتعصبين وقاومهم مثل الاندلسيين .. انما نحن اشد صبرا على تحمل المشاق ، علمتنا هذا طبيعة مناخنا القاسى وقلة الارزاق وبعد المسافات وتقلب الاحوال ...

— هذا حق !
قال جبريل :

هل يود السيد يونس ان يصاحبنا الى ديارنا الصحراوية ، ليتكون معنا احد الالسنة الفصيحة الصادقة المعبرة عن مأساة مدينة سبتة الاصيلة ؟ سكت يونس ، وسرح بصره عبر النافذة ، ويحث عن راى يبث به ، جوابا عن هذا السؤال .. وعندئذ تكلمت عائشة :

نؤكد للاديب الكريم ان ديارنا ، نحن بالذات ، توجد على شط واد قلما ينضب ماؤه ، ومن حول هذا الواد واحة طيبة الثمار ، وزيادة على ذلك ، فلن يعدم نسيما ولا زهورا ولا عصافير ، وهى اشياء لايطيق الشعراء الحياة بدونها !

قال اديب فاس معقبا :

...ولن يعدم ظبا ساحرة العيون ... واذا كان الامر هكذا فخذونى معكم ، لاتنسوا انى شاعر

همس له يونس قريبا من اذنه :

ابقى الله لك بلدتك ومنزلك واهلك ، وحفظك من كل تشريد ومكروه ...

ثم رفع بصره الى جبريل وعائشة ونظراته تقول : (لا اعتراض عندى على اقتراحكم ، خذونى معكما ... ولقت نظره ان عائشة ارسلت نحوه شعاع نظرتها الفاتنة ، نظرة غزالة تحدق فى لاشىء ، وكاد يصعق من تاثير الروعة الاخاذة ، وما انقذه سوى عبد الاحد بفطنة الاديب ودكائه :

ـ جبريل اني أكلمك انت، اما آن لعائشة أن تكون عروسة. صدقني انني ارى (اديب سبتة) اصلح لعذراء الصحراء الثابتة القلب .

علت حمرة ثانية وجه عائشة ، غطت على سمرتها غير الداكنة ، وكان قلبها يرقص للمفاجأة اللطيفة وساد صمت ...

قال يونس :

يا حبذا ، ستكون تلك من اللحظات السعيدة ، ومن خير هذه الحياة التي كدت انفض منها يدي . هل تسعدنى الايام فأرى ومضة سعادة فى وسط عيش لا يكتنفه الا الشقاء ؟

جذب جبريل اليه اخته من يمناها الى زاوية من زوايا البيت ، وحادثها ... ثم تركها حيث هى وعاد يقول :

ـ على بركة الله . فلنقرا الفاتحة .

الرباط : محمد احمد اشماعو



في عيد العرش العلوي المجيد

للأستاذ أحمد عبد الرحيم عبد البر

1 — صدق رسول الله — صلى الله عليه وسلم : فقد روى البخاري — في كتاب الاحكام عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان .

2 — وروى البخاري عن معاوية قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم يقول : ان هذا الامر في قريش ، لا يعاديهم احد الا كبه الله (في النار) على وجهه ، ما اقاموا الدين . ورواه الامام احمد ج 4 ص 94 .

= البخاري — احكام — ا = ج 9 ص 77

3 — وروى الامام احمد عن ابي برزة الاسلمي قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : الائمة من قريش . الائمة من قريش . الائمة من قريش (ثلاثا) : اذا استرحموا رحموا . واذا عاهدوا وفوا . واذا حكموا عدلوا = ج 4 ص 424 / 421 .

وجلالة الملك الحسن الثاني — امير المؤمنين . من قريش ، من بني هاشم — والاسرة العلوية خلاصة بني هاشم ، فالعرش العلوي المجيد تحقيق لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم (والله يؤتي ملكه من يشاء ، والله واسع عليم) — من سورة البقرة .

يقولها كل مغربي باعتزاز : لنا عرش . ولنا عيد للعرش . وامراؤنا خيارنا :

— لنا عرش نعتز به ، ونحافظ على مجده ، ونعلن الولاء له ، ونفديه بالمهج والارواح .

— لنا عرش وطيد الاركان ، شامخ البنيان ، مؤسس على العدل والاحسان .

— لنا عرش متوارث : كابرا عن كابر ، متصل بالنسب الشريف الطاهر .

= في عيد العرش : نظهر افراحنا ، ونعلن ابتهاجنا ، ونجدد ولاءنا : متمسكين منه بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، شاكرين لله فضله علينا .

لان العرش عندنا : تدبير وهيمنة، ملك وارتقاء، سيادة ومجد ، تنظيم هادف ، وتسيير رشيد ، وبناء للمجد والازدهار في رفاهية ، حكم للاصلاح ، تعمير للرقي ، رياسة في حسن توجيه ، ويقظة في تمام الانتباه ، حزم وعزم : في عطف الوالد وشفقة الاب الرحيم : مع كمال الهيبة والاجلال ، .

= ان امير المؤمنين هو خيرنا ، وامرنا شورى بيننا ، واغنياؤنا سمحاء ، فحق لنا أن نفرح وأن نتخذ للعرش عيدا ، وان نقولها صريحة : نحن السعداء ، نحتفل بأمجادنا : روى الترمذي عن ابي هريرة قال : قال رسول الله —صلى الله عليه وسلم— اذا كانت امراؤكم خياركم ، واغنياؤكم سمحاءكم وامركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها .. واذا كانت امراؤكم شراركم ، واغنياؤكم

بخلاءكم ، واموركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها = جـ 3 الترمذي ـ ص 361 ـ

= ان العرش العلوي المجيد : قيادة للفكر السليم ، ومنبع للمبادرات السباقة ، ورئاسة للمؤتمرات النافعة ، وبد الغوث للانقاذ عند الشدائد، ومنهج للسياسة الرشيدة ، وفيض الكرم والجود عند كل نائبه تنوب المسلمين شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا ، فلا عجب أن يعتز به كل مسلم غيور وان يشاركنا فى افراحنا كل من يحب العدل والسلام .

= ان العرش العلوي : يلازمه حسن التدبير فى سياسة حكيمة من كل الملوك العلويين طيبي الذكر اطهار النسب ، اشراف المحتد ، كرام المنبت،

= أصل كلمة عرش : تفيد العلو والرفعة حسيا ومعنويا : ففى اللغة : ـ العرش فى الاصل الشيء المرتفع ، وله سقف ، او شجرة لها قوائم عالية ، او مكان العروس فى جلوتها . وسمي مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلو مكانه ومكانته ، وكني به عن العز والسلطان والمملكة . (ورفع أبويه على العرش) (ولها عرش عظيم) .

= أما عرش الله جلا علاه ـ فنحن لا نعلمه الا بالاسم ـ وكما ورد فى القرآن الكريم والسنة ، وكل ما نفهمه انه اشارة الى الملكوت والسلطان الاعلى . والى الاحاطة الكاملة ، وقد يذكر العرش والتدبير والهيمنة ، كما فى الآيات الآتية :

1 ـ يونس (ثم استوى على العرش يدبر الامر).

2 ـ الرعد (ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر..)

3 ـ السجدة (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش ، ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ، افلا تتذكرون ؟ يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون) .

= (العرش المجيد) : المجد سعة الفيض وكثرة الجود . فهو العرش العظيم كما فى الآية من سورة النمل (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم).

= (والقرآن المجيد) : لكثرة ما يتضمنه من التوجيه الى المكارم لسعادة الدنيا والاخرة .

= فى كتب التاريخ نقرأ كلمة (تربع الملك على العرش) : أي تمكن واستقر وثبت فلا خلاف ولا منازعة ، واليوم نعرف ان العرش العلوي ثابت يملأ القلب مهابة والعين اجلالا وتلازمه الافئدة تطلعا لتحقيق الآمال الطيبة فى حركة فكر ثاقب وراي سديد لانتاج مستمر ـ وفى دراسة للوصول الى احسن ما ينبغي ان يكون ـ وفى سهر للصالح العام ، ونشاط ومتابعة وراء كل من يتولى عملا ، ولتقدير الرجال باعمالهم . وفى تفقد للرعية بالعطف والحنان، فكان الولاء للعرش العلوي نتيجة حتمية يمليها الوفاء، ويثبتها الحب المتبادل . ويزيد فيها حسن الرعاية وكمال العناية من جلالة امير المؤمنين .

ـ وبذلك صدق فينا قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم : أي تدعون لهم ويدعون لكم .. الخ .

= رواه مسلم ، والدارمي ، والامام أحمد = جـ 12 مسلم ص 244 / الدارمي ـ دقاق 78 ـ احمد جـ 1 ص 24 / 28 ـ

= تحبونهم : للعدالة ونصرة الحق وانصاف المظلوم ، والاخذ بيد الضعيف ، ونشر الامن .

ويحبونكم : للسمع والطاعة فى الحق ؛ وللامتثال فى الخير ، وللنصح المتبادل ، ولصادق الولاء .

تحبونهم : لسياستهم الرشيدة وخصالهم الحميدة . ويحبونكم : للتعاون مع بعضكم ، وللوفاء والاخلاص .

= انها ظاهرة جميلة : فى البوادي .. فى الجبال .. فى القرى .. فى الحواضر : في المساجد والمجتمعات اسمع الناس يدعون الله باخلاص ان يحفظ جلالة الملك ويؤيده بنصره ،و يبقيه عزا للاسلام والمسلمين ولشعبه الوافي الامين ـ وفى كل خطاب ملكي كريم اسمع كلمات الحب والاخلاص فى اشفاق الوالد العطوف فيبدأ قوله بكلمة (شعبي العزيز ..) :

انها كلمة تجذب القلوب وتملأ النفوس مهابة واجلالا وحبا ووفاء وولاء .

وان الشعب يتلهف على رؤية مليكه المحبوب ، فيتزاحمون – فى نظام ووقار – وأرى علامات الفرح على الوجوه اشراقا وسرورا ، وبهجة وحبورا .

انه ولاء بولاء ، واخلاص باخلاص، ووفاء بوفاء، انه الولاء لآل بيت النبي الاطهار ، وقد تحقق على ايديهم حسن الرعاية وتمام العناية ، والنهضة السباقة فى كل ميادين العز والسباده . فكان التمسك بأهداب العرش العلوي مفخرة وارتقاء ونهضة واهتداء ، وعزا وسناء .

= فبكل ادب واجلال اتقدم بالتهنئة بعيد العرش السعيد ، وبالبشرى من كلام الرسول – صلى الله عليه وسلم – للمقسطين العادلين فى احكامهم :

1 – روى مسلم والامام احمد عن عياض المجاشعي قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق (موقن) ، ورجل رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال » ج 17 مسلم ص 198 / ج 4 المسند ص 162 .

2 – روى مسلم عن عبد الله بن عمرو أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل – وكلتا يديه يمين– الذين يعدلون فى حكمهم واهليهم وما ولوا = ج 12 مسلم ص 211 .

3 – روى مسلم والامام أحمد عن السيدة عائشة قالت : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول فى بيتي هذا : اللهم من ولي من امر امتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من امر امتي شيئا فرفق بهم فارفق به .

= مسلم – امارة 19 – 11 احمد ج 4 / 62 / 93 / 257 .

= ان العرش العلوي المجيد برهان على بقاء الامة الاسلامية فى سيادة ومجد ، ودليل على رعاية الله للمسلمين بفضله وكرمه وتأييده ونصره ، واطمئنان لكل مسلم على أن فى الامة الاسلامية مملكة عادلة رحيمة .

– ان لعبت الاعاصير ببعض الدول .. كان الهدوء والامان فى المغرب .

– وان انتشرت افكار للالحاد فى ناحية كان الايمان الثابت فى المغرب .

– وبذلك يطمئن القلب الى تحقيق قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقد روى البخاري

– كتاب الاعتصام = ج 9 ص 125 عن معاوية قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : ولن يزال امر هذه الامة مستقيما حتى تقوم الساعة، او حتى يأتي امر الله .

= باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء فى الارض ولا فى السماء . وبوقاية الله وحفظه (فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين)
وبعزة الله التي لا يذل من اعتصم بها .. ولا يضام من تمسك بها وبصيانة الله وستره . وبمعونة الله وتوفيقه وسنده نسأل الله للعرش العلوي دوام المجد ، وكمال السعد ، وتمام الرشد ، ومزيد التأييد والنصر ، واستقامة الامر ، وكمال الهيبة والعز فى عدالة وتوجيه للخير .. انه سميع مجيب.

الرباط : احمد عبد الرحيم عبد البر





لقد ظل حب الحرية وعقيدة التحرر هما الميزة التي تجلل عبر القرون حركات التاريخ المغربي وتؤجج انفس المغاربة في كل ما خاضوا من معارك وما قاموا به من ثورات ، وما نبضت به ضمائرهم من حيوية واحساس ورق به وجدانهم من سمو ونبالة ..

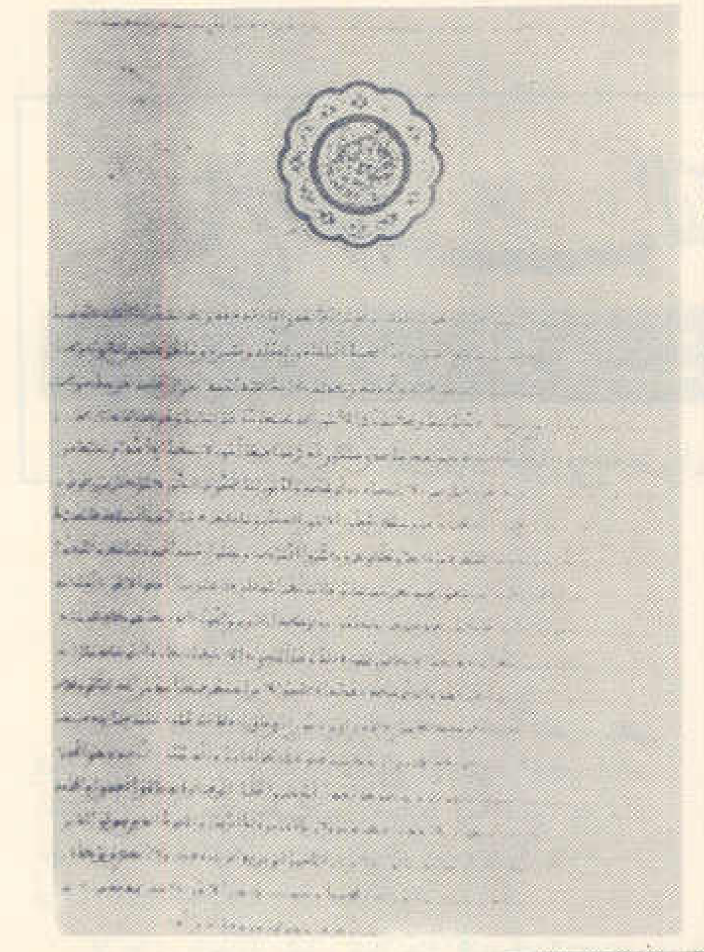
ان عرق الحرية ينبض فينا منذ الاجيال الغابرة .. ولهذا فنحن أحق بحياة يتغنى بها الطير ويشدو على الافنان في الهواء الطلق حول الربوع الخضر في هذه الارض الطيبة .

هذا وان الذكرى الرابعة عشرة لتربع صاحب الجلالة الحسن الثاني على العرش العلوى المجيد لتذكرنا في فخر واعتزاز « بالكفاح البطولي الذي خاضه ابناء هذه الاسرة العلوية العريقة ، والشعب المغربي النبيل في الحفاظ على كيان المغرب وتقدمه ووحدة ترابه والرفع من مكانته بين الدول الراقية ».

نعم ... فعندما تبسط القوى المعادية للبشرية سلطانها يولد افراد من ذوي الايمان الراسخ مدركين ادراكا واعيا حقيقة الخطر القائم على الانسان ويلعبون دورهم دون خوف او تردد غير عابئين بما يلحقهم من مكروه واذى، ولقد سجل التاريخ المغربي الشيء الكثير عن الاسرة العلوية من المكارم والامجاد منذ حلوا بهذه البلاد المغربية ... فكانت هجرتهم من الحجاز الى المغرب هجرة خير وبركة على البلاد واهلها . فنجد البطولة الحق في اروع صورها الانسانية تجلوها كل حركة قادها ملوك هذا العرش من المولى على الشريف الى الحسن الثانى ، ونجد كذلك المجد الانسانى الباذخ والسمو الروحى الامثل الذى يتعالى فى مقاصده عن المدارك والاهواء الضيقة هو الذى يؤلف وينظم السلسلة الذهبية لهذا العرش . وان عظمة هذه الدولة ، وهم بناة صفحاتها التاريخية ليقفون بين تواريخ كثير من الامم موقف التحدى فى كثير من صور البطولة والشهامة ، وفى كثير من مناهج العمل والاخلاص !

لقد اعطت الدولة العلوية للعلم والدين مميزاتهما العظمى وادت رسالتها اداء متقنا .. لم تجد طريقا تصل بها الى النهوض العلمي والثقافي الا وسلكته ، ولا سبيلا يضمن لها السمو بالدين والرفع بمقامه الا وسارت عليه .. فكانت تعفي رجال العلم من كل الاداءات المفروضة على غيرهم ، وكان المولى الرشيد ينفق في سبيل العلم اموالا طائلة ، ويمنح العلماء والادباء صلات مالية ضخمة . كما كان يعين القائمين بالوعظ والارشاد لكي لا يبقى الجمود مستوليا على افكار سامعيهم ، ولتنمو الحركة الاصلاحية التى كان يسعى ، قدس الله روحه ، فى تطورها ــ ولم يكن المولى اسماعيل والمولى محمد بن عبد الله باقل دعوة الى نجاح المسعى الاصلاحي من المولى الرشيد .

وكان المولى سليمان يشجع بعض المؤلفين حتى كثرت التآليف في عهده وكثرت المطالعات العامرة من كتب نفيسة مفيدة ابان ملكه ... ولقد كان هو نفسه مؤلفا كبيرا .



رسالة السلطان سيدي محمد بن عبد الله الى الملك كارلوس الثالث المؤرخة بفاتح محرم 1181 هـ ويقول فيها الملك انه لم يوافـــق للاسبانيين أن يصطـــادوا بالشاطىء المغربي جنوب أكادير لا لشـــيء وانما لا يمكنه ضمان حياة المصطادين في المناطـــق ما وراء اكادير ومن هذا نرى أن السلطان لم يكن يريد التدخل الاسباني بالصحراء المغربية زيادة على أن المنطقـــة كانت منطقة غير آمنة بالنسبة للاجانب .

رسالة من سيـدي محمد بن عبد الرحمن الى عاملـــه فى الصحراء المؤرخة بـ 6 صفـر عام 1276هـ(24 غشت 1860)

ولقد انفق المولى عبد الرحمن كثيرا من المال على التعليم الابتدائي والعالي واسس مدارس قرآنية كما اسس ولده مدارس حربية تلقن طلبتها العلوم الحربية وتنور افكارهم من هذه الناحية التى تعطيها الدول اليوم اهمية كبرى وتعقد عليها آمالها في النصر والنجاح ـ فكان المغرب يفتخر بالعديد من متخرجيها ويستفيد من دراستهم ومواهبهم ـ ومن اصلاحاته الدينية رحمه الله طلبه من علماء التدريس الاختصار في مقروآت الطلبة وعدم التطويل منها لكي لا تعرقلهم عن الفهم ولكي تعم الفائدة الجميع.. وهذه مسالة لها اثرها في الاصلاح . . ولقد اسس المولى محمد بن عبد الله مساجد عديدة ومؤسسات دينية وثقافية كثيرة ولقد كان اهتمام الملوك العلويين بالقضاء والعدلية كبيرا ، فلم يجعلوا في هذين المنصبين الخطيرين إلا من توفرت فيه شروط الكفاءة من علم وخبرة وكفاءة وتقوى ... فلهذا كان المولى اسماعيل يبحث القضاة ويفتشهم عن السلوك الذي يسلكونه ... ولكن ، من الذي كان يظهر لاسماعيل العظيم حقيقة الامر ؟ انه الامتحان الذي نظمه حالما تربع على عرش المغرب . . وقد عزل كثيرا من العدول الذين لم توجد فيهم مؤهلات العدالة .. وقانون الحكم في عهد هؤلاء الملوك الميامين كان مستمدا من كتاب الله العزيز وسنة رسوله الكريم : فمنهما خططوا قانون الحكم ، وبهما نجحوا في عدالتهم الكبرى !

هذا ومن جهة اخرى فقد اثبت المؤرخون ان الدولة العلوية كانت تومن ان لا رقي للشعب ولا استمرار فى سيادته الا بالقضاء على الشعوذة والتدجيل وما يعمل عملهما ... فقضوا على كثير من الطوائف المشعوذة .. وكان المولى محمد بن عبد الله العالم السلفي لا يعرف الا ما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ـ وكان يضرب على ايدي كل من سولت له نفسه ان يخرج عن هذين النظامين الراسخين والدعامتين الاساسيتين ... والمولى سليمان كان يناصر التجديد ويمنع العوام من زيارة القبور وقيام المواسم الضارة .. والمولى عبد الرحمن كان يقاوم كثيرا من البدع ويمنع المسكرات وينهي عن الفساد والزنى ، وكان يساعد الافراد الذين يقصدون للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويقاومون الخرافات والجمود !!

ولم تقف الدولة العلوية الى حد هذه الاصلاحات العظيمة بل تعدتها الى اصلاحات اخرى منها يستمد الوطن قوته الكاملة ... فتاسست في عهود ملوكهم الاسبقين اساطيل حربية كبرى تعينهم على اعمالهم الحربية وتساعدهم على قتال كل من اعتدى على الامة والبلاد... كما تكون هي همزة الوصل بينها وبين الاسفار الى الخارج ـ ومن هذه الاساطيل الاسطول الذي كان يشتمل على عدة قطع والتي اسسه المولى اسماعيل الكبير ... واسست في عهد هؤلاء الملوك الابطال مراسي كثيرة منها مرسى الصويرة ومرسى فضالة وغيرهما .

ومن انسانية الدولة العلوية ان كان في عهد المولى اسماعيل كثيرا من الاسارى يعاملهم معاملة اللطف والاحسان ... واطلق المولى محمد بن عبد الله سراح كثير منهم ، وكان يقدر عددهم بالالاف . ومن الوسائل التى اعانت هؤلاء الملوك على تثبيت دعائم المملكة المغربية والسمو بمكانتها ان نظمت عدة سفارات في الخارج بقصد التبادل التجاري والاتصال الوثيق مع الدول الاجنبية والاحتفاظ بالعلاقات الطيبة .

اما الجزء الجنوبي من البلاد المعروف بالصحراء المغربية فيذكر المؤرخون المغاربة والاجانب ومن بينهم « دولا نابيل » أن سياسة الملوك العلويين كانت نشيطة ... فقد توالت الغزوات لصد المهرجين ، وتوجهت الجيوش المغربية الى وادان عام 1665 والى ادرار عام 1678 ـ والى تاكانت عام 1730 (عن طريق ماسة وواد نون والساقية الحمراء وتيشيت عام 1789) ، ووضع المغرب فيالق من جيشه رهن اشارة امير الترارزة حوالي عام 1672 ، وحصل هذا الامير على تولية السلطان اياه.. ومنذ عهد السعديين وتعيين شيوخ الطوارق مندرج في اختصاصات باشوات المغرب في تنبكتو ... وقد تجددت هذه التوليات في عهد سيدي محمد بن عبد الله وفي عهد مولاي الحسن الاول .

وعرفت الصحراء في القرن التاسع عشر ، الصوفي الكبير سيدي محمد الفاضل ، تلميذ سيدي المختار الكنتي، الذي خلفه ماء العينين في شنقيط والساقية الحمراء، وقد ورد على مولاي الحسن ، الذي بعث بواخر مشحونة بالاعتدة للوقوف في وجه التدخل الاجنبي في الصحراء ... وعندما وصلت الجنود الفرنسية الى موريطانيا استنجدت جميع القبائل الشنجيطية بالسلطان مولاي عبد العزيز .

نعم ... فكفاح الملوك العلويين من اجل وحدة التراب المغربي وخصوصا من أجل الصحراء اكدته الوثائق والمستندات الوطنية والاجنبية ، فقد وصل الى تخوم السنغال السلطان العلوى مولاى اسماعيل وصاهر اهل



السلطان مولاي محمد بن عبـــد الرحمان الذي بعـــد هزيمة تطوان اضطر الى ابرام معاهدة 26 ابريـــل سنة 1860 وبمقتضى فصلها الثامن اعطـــى المغرب لاسبانيا قطعة أرضية لتأسيس مركز للصيد بشاطىء الصحراء المغربية .



ملك اسبانيا كارلوس الثالث الذي اشهر الحرب على المغرب سنة 1747 عندما أعلم من طرف السلطـــان سيدي محمد بن عبد الله على أن هذا الاخير سيقـوم بهجوم على مدينة مليليا قصد استرجاعها .

شنقيط حيث عقد على الملكة خناتة بنت الشيخ بكار المغافري ، هذا البيت المشهور بالصلاح والاستقامة ...

ورحل السلطان مولاي الحسن الاول بدوره الى تخوم شنقيط وتوغل فيها الى أن نزلت جيوشه بالساقية الحمراء - وعندما احتلت فرنسا بلاد السينغال سنة 1858 فكرت في الدخول الى شنقيط وهيأت حملة بقيادة الجنرال « فيدرب » وقد لاقت الجيوش الاستعمارية مقاومة عنيفة من رؤساء القبائل الساكنين في القطر من عرب وموريطانيين وكبدو العدو خسائر في النفوس لم يعرف عددها . واستمرت المقاومة الى سنة 1901 حيث بعثت فرنسا جيشا بقيادة الجنرال « كبولاني » للاجتماع برؤساء الصحراء ... فاجتمع بامير الترارزة انذاك السيد احمد ابن سالم ابن علي ، وذلك في اقصى الجنوب الموريطاني حيث تقع امارته وطلب منه عقد معاهدة صداقة وتعاون والسماح له بالدخول الى امارته !!! فرفض الامير هذا الطلب مؤكدا للجنرال الفرنسي انه لا يستطيع ابرام اية اتفاقية الا بعد الحصول على « موافقة سلطان المغرب » وعند ذلك دبر الضابط الفرنسي مكيدة لقطع نهر السينغال واحتلال الامارة بالقوة ... ولكن جيش الامير قاومه بشدة اربع سنوات .. واستمرت الحرب بين ابناء الصحراء المغربية والجيش الفرنسي مدة خمسة عشرة سنة ولم تنته الا سنة 1916 .

وكان السلطان مولاي عبد العزيز قد ارسل وفدا الى شنقيط ليتفقد الاحوال ويصلح من شانها وينصب بعض الموظفين ويسلم لهم ظهائر تعيينهم ، فقصدت هذه البعثة مدينة اسمارة بالسقاية الحمراء واجتمعت بالشيخ ماء العينين وادت مهمتها احسن اداء .

وفي سنة 1911 ، عندما تمت المعاهدة الفرنسية في شان المغرب ... وضعت خريطة لتحديد البلاد المغربية .. فكانت تحد بالجزائر وافريقيا الوسطى : « السينغال والسودان وريو دي اورو » وتوجد الصحراء المغربية داخلة في هذه الحدود ! وقد عمدت فرنسا الى ادماج الصحراء المغربية في افريقيا الغربية سنة 1920 بدون استشارة الدولة المغربية وملكها مما يجعل هذا الامر ملغى ومناقضا للقوانين الدولية !

اما من ناحية اسبانيا فقد حاولت منذ القرن الخامس عشر المسيحي احتلال الشاطىء الاطلسي من المملكة المغربية وجزر كاناريا « الخالدات » القريبة منها ...

وقد وقع تنازع بين البرتغاليين والاسبانيين حول هذه المناطق ... ثم تم اتفاق « الكروسوباس » تعترف بمقتضاه اسبانيا للبرتغال بحقه في العمل على احتلال مملكة فاس وشاطىء غينيا ... ويعترف البرتغال لاسبانيا بحقها في احتلال الجزر الخالدات . ثم لم يلبث النزاع ان قام بين الدولتين من جديد ، فقد كان مغامر اسمه « ديكو كارتيلي اريرا »، نزل سنة 1476 بقلعة مغربية جنوب اكادير سماها « سانتا كروز دي مار بيكينيا » اي الصليب المقدس للبحر الصغير ، ومنها ربط اتصالا تجاريا بجزر كاناريا ... فغضب البرتغال لذلك ورفع الامر للبابا الذي حكم بين الدولتين الاستعماريتين وبين لكل واحدة ما يجب أن تحتله من التراب المغربي ... ووقعا اتفاقية « سنترا » سنة 1508 اعترفت اسبانيا فيها للبرتغال باحقيته في احتلال الشاطىء المغربي باستثناء قلعة «سانتا كروز » — وفي سنة 1524 هجم الاسبانيون على « سانتا كروز دي مار بيكينيا » ولكن القوة التابعة للجيش الملكي ردتهم على اعقابهم .

وفي اواخر القرن السابع عشر همت اسبانيا من جديد بمحاولة احتلال قلعة سانتا كروز دى ماربيكينيا ولكنها لم تجد المتطوعين بسبب الانهزام الاول، ثم في سنة 1766 ارسل الملك كارلوس الثالث سفارة الى ملك المغرب سيدي محمد للحصول على اذن النزول بالقلعة المذكورة ... فرفض ملك المغرب كل تنازل عن سيادته بهذه النقطة وكل اذن باحتلالها من لدن اية دولة اجنبية ؛ وقام بعده الملك كارلوس الرابع بمحاولة اخرى ولكن الملك مولاي سليمان وقف نفس موقف سيدي محمد ولا يعترف الا بحق صيد السمك في المياه الاقليمية المغربية المواجهة لجزر كاناريا .

وقد كان الشيخ بيروك ممثلا للسلطة المركزية بفاس ، يرد كل المحاولات الاجنبية ... وكان آنذاك شديد القوة والباس !

هذا وفي منتصف القرن التاسع عشر ، طالب الاسبانيون بحق الصيد وفي انشاء معمل خاص بالسمك على الشاطىء المغربي ولم يطالبوا قط بالسيادة على تلك المنطقة ولم يتنازل المغرب لهم قط عن تلك السيادة الشيء الذي تؤكده معاهدة تطوان 1860 .

وقد تابع الاسبان محاولاتهم لاحتلال ايفني وما حواليها حتى تم لهم ذلك باتفاق مع فرنسا ولكن بدون موافقة المغرب حيث ان السلطان عبد الحفيظ لم يصادق على تسليم بقعة من التراب ولو من اجل انشاء معمل للصيد ؟

وعندما اسس الانجليزيان قبل ذلك مراكز تجارية في طرفاية وآيت باعمران كان رد فعل السلطان مولاي الحسن الاول شديدا للغاية وفي سنة 1886 وصلت فيالق مغربية الى كوتميم .. فخرج ماكنزي وكورتيس من طرفاية التي عا داليها الاسبان بعد ذلك ثم انتزعها المرحوم جلالة الملك محمد الخامس كما عادت ايفنى الى احضان الوطن بفضل حنكة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني الذي لا زال يكافح لاسترجاع الصحراء المغتصبة الساقية الحمراء ووادي الذهب ..

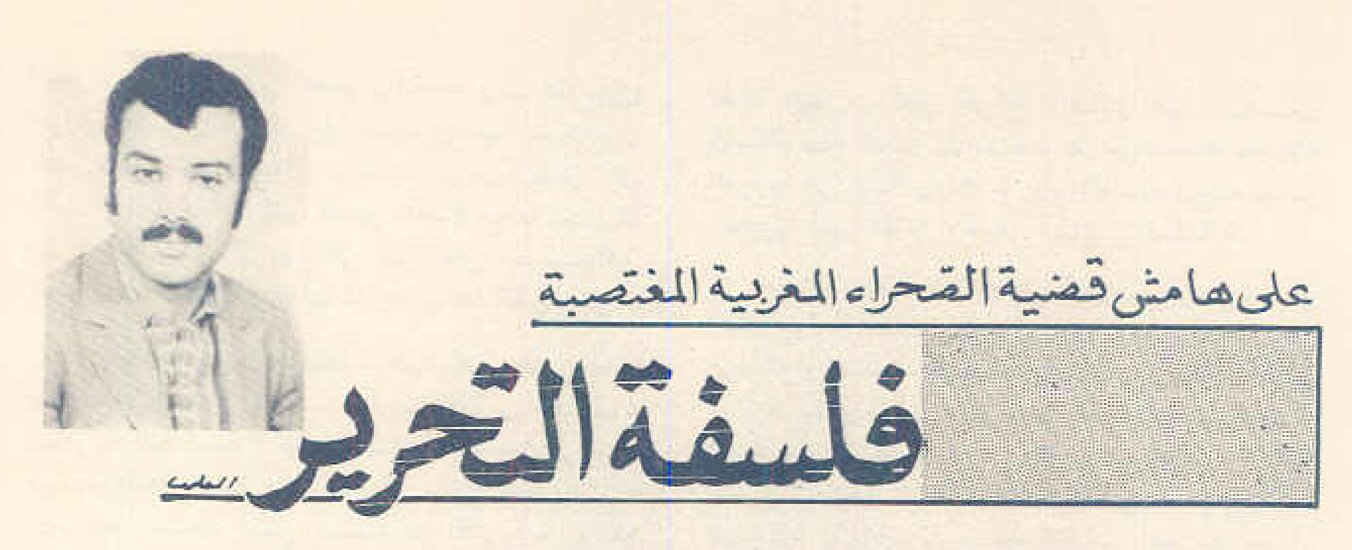
وبالرغم من الروح القبلية التي يشجعها الاستعمار .. فان سكان الصحراء يرفضون بالاجماع الشكلية الجديدة لسيطرة الاستعمارية التي تحاول اسبانيا أن تفرضها عليهم ويعتبرون مستقبلهم في الانضمام الى باقي تراب المغرب المحرر لترابطهم به روحيا وتاريخيا منذ القدم ــ وان كفاح الملك والشعب من اجل استرجاع الصحراء هو نضال من اجل الوحدة واسترجاع الحدود الطبيعية للمملكة المغربية والوقوف في وجه المستعمر حتى لا يقتطع جزءا يفرض عليه استقلال مزيفا ليس له من مؤهلات الاستقلال الا الاسم ، وذلك رغبة في الاستئثار بخيرات الصحراء وكنوزها الطبيعية .

ومن اجل فضح هذه الاساليب الاستعمارية تأسست بعثات الود والصداقة وتوجهت الى مختلف القارات للتعريف باحقية المغرب في مطالبه وتوضيح مختلف مراحل هذه القضية من الوجهة الدينية والتاريخية والجنسية ــ وكان جلالة الملك الحسن الثاني قد اسند اليهم مهمة شرح قضية الصحراء شرحا دقيقا وعميقا وتقديم ما يتوفر عليه المغرب من وثائق وحجج وخرائط تثبت تبعية الساقية الحمراء ووادى الذهب للدولة المغربية ــ وتجاوبت مختلف الاقطار مع وجهة نظر المغرب وايدته لما اقترح ملك البلاد استشارة محكمة العدل الدولية حول وضعية الصحراء قبل الاحتلال الاسباني .

ولا عجب ، فقد ورث الحسن الثاني عن اجداده العبقرية والبطولة والشهامة حيث نجد عهده الزاهر مليئا بالاعمال الجليلة والمنجزات العظيمة والمبادرات الاصيلة .. واذا اخذنا صفحات هذا العرش العلوى المجيد لنجلو ميزاته الانسانية ونتفهم الى اي مدى اتسعت اعماله الاصلاحية، وامتدت اطر مجاهديه اكبرى الى آفاق انسانية عليا ، فاننا نجد البطولة فى اروع صورها تجلوها كل حركة قادها ملوك هذا العرش من المولى على الشريف الى الحسن الثانى . ونرى المجد الانسانى الباذخ والسمو الروحى الامثل الذى يتعالى فى مقاصده عن المدارك والاهواء الضيقة هو الذى يؤلف سلسلة ذهبية لهذا العرش .

وان عظمة هذه الدولة .. وملوكها هم بناة صفحاتها التاريخية ليقفون بين تواريخ كثير من الامم موقف التحدي فى كثير من صور البطولة والشهامة ، وفى كثير من مناهج العمل والاخلاص ... فالشعب المغربي وهو يحتفل بعيد العرش المجيد يكرم عبقرية فذة من تلك العبقريات التى لا تزور العالم الا نادرا وفي فترات متباعدة من التاريخ !

سلا ــ عثمان بن خضراء



على هامش قضية الصحراء المغربية المغتصبة

فلسفة التحرير

للأستاذ عبد الرحمن بنعبد الله

يعيش المغرب اليوم – ملكا وشعبا – مرحلة حاسمة من مراحل البعث الاسلامي الذي نادى به سيد البلاد وملاذ العباد ، وبواكب العالم الاسلامي مسيرة الامة المغربية المظفرة وزحفها فى نضالها الموصول ليعود للدين صولته وشبابه ونضارته وتنبعث أمجاده ومفاخره يوم اطل على الدنيا من رمال الصحراء العربية وكثبانها زحمة نور وهداية وصلاح اشعت على عالم يسير الى التهافت والضعة والهوان .

نشأت البعثة المحمدية ، وهي نور الاكوان كلها ، فى غار حراء فأضاءت جوانبه وهو ظلام دامس وانطلقت تكتسح مجاهل الفلاة فانقلب السراب الخادع حقيقة وهاجة والاباطيل والاوهام نواميس لحياة الامة الاسلامية ، يستوي عليها العيش ولا يستوي على غيرها من الايديولوجيات التي عفى عنها الزمن فلا تثبت على محك التجربة ، ولا جدال .

والمغرب اليوم – وهو يعيش فرحة عيد العرش السعيد ، مطالبا بعودة الصحراء السليبة – يبعث روح النخوة والشهامة والاباء فى الصحراء ، ارض العروبة والصلاح والسلام حيث يعبث الظالم المستبد بأبسط قواعد السلام فليس له من ضميره – ان كانت له بقية من ضمير – ما يردعه عن خنق الحريات وتزييف الحقائق وتضليل الآراء وتشويه الظروف والملابسات فى محاولة يائسة للابقاء على الوجود الاستعماري فى قارة ضجت من ويلات الاحتلال

وتشربت حب الحرية وأسلمت زمام قيادتها لرجال الحكمة والحرية والاباء .

ويعيد التاريخ نفسه ! وتعود الصحراء المغربية السليبة لتشهد الملحمة التاريخية الخالدة ، ملحمة الصراع المشهود بين الحق والباطل ، وبين الايمان والضلالة وبين الرق والانعتاق قبل ان يكون صراعا على الارض وما تنطوي عليه من خيرات اذ لم يكن التهالك على المادة من خصال المغاربة على تعدد الاحقاب والاجيال .

فقد قلنا فى مذكرات لم يكتب لها أن ترى النور بعد : ان فى حياة الافراد والجماعات صراعا دائما بين الحق والباطل وبين الواقع والخيال وبين الامل واليأس ... وبين الحياة والموت .

للباطل جولات خاسرة لا يلبث بعدها ان يعلو الحق وتزهق الاباطيل .

وللخيال فى دنيا الناس : سراتهم واوباشهم ، مواكب سحر وزيف ورواء كاذب لا تلبث ان تهزمها فلول الواقع المستديم .

ولليأس ايام معدودات لا يلبث بعدها ان يتلاشى كضباب الفجر ، وما أضيق العيش لولا فسحة الامل

والموت فاغر الشدقين ، يترصد الانسان فى كل آونة وحين ، ولكن النصر للحياة . ان صراعا بين

الحق والباطل ، وبين القديم والجديد و – كما يقول جورج حنا – ان صراعا بين الموت والحياة سيكون الفوز الاخير فيه للحياة . ويضيف جرجي زيدان : ان الانسان العاقل اذا تدبر مصير الحياة مع ما يعتورها من الاخطار يرى الرجوع الى غير الحق ضربا من الجنون لان الحق هو الغالب ، وهو وحده الذي يبقى .

ولقد اثبت جلالة الملك ، القائد المحنك ، بما لا يدع مجالا للشك ان مطالب المغرب بخصوص استرجاع صحرائه المغتصبة لا تمليها أطماع مادية وبالتالي فهي ليست وليدة الامس ، بدليل ان وزارة الخارجية الامريكية تحتفظ ضمن مستنداتها التاريخية بوثيقة مغربية قديمة على جانب كبير من الاهمية تنص على مطالبة المغرب رسميا بانهاء الاحتلال في الصحراء على عهد المغفور له محمد الخامس المقدس . ان موقف المغرب الشجاع واصراره على استرداد اراضيه الصحراوية المحتلة استجابة منطقية سليمة ازاء التعنت الذي يبين عنه المستعمر الغاشم وضراوة التعذيب الذي يتعرض له المواطنون في الصحراء دون ما هوادة ، ولسبب وجيه واحد يكمن في تعبيرهم المستمر عن رغبتهم الاكيدة في الانضمام الى حضيرة الوطن .

وجلالة الملك الرائد يعلم جازما انه والمغرب من ورائه يطالب بحق مشروع تدعمه الحجج الدامغة والوثائق التاريخية التي تقطع السبيل في وجه المراوغات والمداهنات واللف والدوران . وارادت مشيئة الله ان تتلاحم الارادات والطاقات الشعبية على تباين المشارب والنزاعات فتؤلف سدا منيعا في وجه العدو المشترك لتهشم صلفه وعتوه وعجرفته وتنهض بمسؤولياتها كاملة في الكفاح المقدس بالكلمة والسلاح تحقيقا للنصر الموعود .

اختمرت فكرة الدعوة الاسلامية كما اسلفت في غار حراء فاضاءت دياجيره ووقفت على باب مكة وهي في صولتها دون سلاح فدانت لها مكة الكافرة لتصبح بعد ذلك حرما مقدسا الى يوم القيامة . وتبدت السماحة المحمدية في اروع صورها واصدق معانيها لان الاسلام دين السلام (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) .

واجتاحت موجة المغول الكاسرة ارض العروبة وأمست مياه دجلة سوداء حالكة السواد لفرط ما قذف اليها من ثمار القرائح والعقول فما استكان الاسلام لهذه النكبة ولم يصمت لما تعرضت له حضارة العروبة من ابادة وايذاء . ولم المسلمون شعثهم ليجهزوا على الظالم الاخرق ، طامس الحضارات .

ووقف طارق بن زياد في قليل من العدد ونزر من العدة ليواجه اضخم جيش في اوربا يسيل النضار على فرسانه ومشاته فخطب خطبته الشهيرة بعد ان احرق مراكبه ليبذر الياس في قلوب المجاهدين فاما استشهاد واما نصر مكين . وتحرر الفردوس ، لا لدنيا يصيبها الفاتحون بل لاعلاء كلمة الله ونشر الوية الحضارة والعدل في مرابع الاندلس الحبيبة بعد ان عاشت احلك فترات الظلم والاسترقاق والطبقية كما اشار الى ذلك المستشرق العلامة « دوزي » . ومنذ ايام قليلة خلت ، رن الاذان للصلاة ، صلاة الجمعة ، في اعرق جامع خلفه المسلمون في الفردوس المفقود .

وجاء الصليبيون الى الشرق ، مهد الاديان والسماحة والحضارة ، في نفوسهم نيران الحقد والجشع وكانت معارك طاحنة واسست امارات ودويلات صليبية الى حين .. وانبرى البطل المسلم صلاح الدين الايوبي لينفخ في ارواح المسلمين نفحات البطولة والجهاد فاسترجع الارض الاسلامية السليبة وكتب التاريخ اسمه مقرونا بالشهامة والشمم ... والسماحة وشهد الغرب انه كان قاسيا على المقاتلين رؤوفا بالاطفال والنساء .. ومولانا الامام سائر على نهجه متشبع بمبادئه ، بلا مراء ، وهو يباشر مسؤولية الصحراء المغربية المغتصبة في ايمان راسخ وفي يسر وحنكة واعتدال .

وامتحن الاسلام مرة اخرى قبيل منتصف القرن العشرين على يد الصهاينة في بقعة غالية تحتل من قلوب المؤمنين مكانا عاليا عزيزا فكان الاحتلال الصهيوني لفلسطين العربية وبدأ العدو الصهيوني الماكر مرحلته الاولى في تحقيق الاسطورة الزائفة التي تقوم على انشاء دولة يهودية من النيل الى الفرات . وتلاحقت الاحداث سراعا فاجتزئت من اراضي العرب مناطق اخرى في نكسة عابرة تركت جراحات بعيدة الغور في النفوس غداة حرب الايام الستة ، واحرق المسجد الاقصى ، مهوى افئدة المؤمنين فغدا الرزء اكثر جسامة وابعد اثرا واستفاق المسلمون على حقيقة مروعة تهدد الكيان الاسلامي

وجاء رد الفعل عنيفا متجسدا في حرب رمضان المبارك التي اجتثت من الاعماق جذور اسطورة التفوق الاسرائيلي الذي لا يقهر ، واعادت للعرب والمسلمين كرامة مهدورة وثقة في النفس جعلتهم يتبوؤون مكانة مرموقة في عالم اليوم ويجردون سلاح البترول الذي قلب الاوضاع المادية والسياسية وبث الرعب في نفوس ساسة الدول الصناعية .

واذا كانت الصحراء المجاهدة حاضرة في وجدان كل مواطن مغربي يذود عنها بكل ما اوتي من قوة ونفس ونفيس ، ويزيح الستار عن المآسي التي تشهدها في مصاولتها للمحتل العنيد ويدفع بأبنائه قربانا للتحرر والانعتاق ، فان جلالة الحسن العظيم قد اضاف الى مآثره الخالدة مأثرة اخرى حين قرر ان يعرض قضية باقي الاراضي المغربية المستعمرة على لجنة تصفية الاستعمار التابعة لهيئة الامم المتحدة، استكمالا للوحدة الترابية .

ان معظم الامم التي تحررت من ربقة الاستعباد قد عانت من مشاكل مستعصية في حدودها مع جيرانها . والمغرب ، من حيث المبدا ، لم يشذ عن هذه القاعدة بالرغم عن انه لم يكابد الوجود الاجنبي الذي يفقد الامة المغلوبة على امرها شخصيتها الوطنية المتميزة . واذا كانت الدولة المغربية ، بفضل حنكه ودراية العرش المجيد ، قد استعادت كرامة الامة في الوطن المحرر بأسلوب المنطق السليم والراي السديد ، فان الامر على خلاف ذلك فيما يرجع للجنوب لانعدام الحدود والابعاد ووجود اوضاع غامضة يخلق منها الاستعمار مبررات لتمديد الاحتلال والابقاء على السيطرة والطغيان (1) .

وكذا شان الحدود البحرية الشمالية ، فانها لم تسلم من مخلفات استعمارية لا سبيل بأي حال لبقائها والمغرب يخوض معركة المصير والتكامل والوحدة . وينطبق على المستعمر قول الشاعر العربي الكبير:

اذا انت اكرمت الكريم ملكته

وان انت اكرمت اللئيم تمردا

وبتعبير آخر ، فان المستعمر قد اساء الفهم واخطأ القصد وهو يقابل باللجاجة والعناد ما عرف عن الملكية المغربية من اعتدال وصبر وطول اناة ، وهي الشيم الاصلية التي تتسم بها في العصر الحاضر عند مباشرتها لمسؤوليتها والتزاماتها تجاه القريب والغريب . ان الاستراتيجية الدبلوماسية المغربية التي اعتمدها الحكم خلال الفترة الواقعة بين 1880 و 1912 تعد مثلا فريدا لسياسة النضج والرشد التي سار عليها ملوك الدولة العلوية في الظروف الحالكة التي عرفها المغرب منذ الفتح الاسلامي المظفر .

والمغرب ، وهو يجندل بيادق الاستعمار واشياعه في التراب المغتصب ، انما ينهض بعبء انساني خطير ليعلو بصحرائنا الغالية عن حضيض الرق والاستغلال ويعيد اليها انسانيتها كأرض طيبة معطاء تسخو بجليل المكارم ونبيل الاعراف ، ليضمها الى الوطن الام الذي اغدق عليها دوما ثمار الثقافة الاسلامية ومنحها اسباب الحياة السياسية الكريمة .

الرباط : عبد الرحمن بنعبد الله

---

(1) Le contentieux territorial entre le Maroc et l'Espagne par le Docteur Rachid Lazrak (Préface du Professeur Paul Reuter, de l'Université de Droit, d'Economie et des Sciences Sociales de Paris).





للأستاذ محمد ابراهيم بخات

« يجب أن تكون شخصيتنا الاسلامية بارزة في جميع مظاهر النهضة ... وان تاريخ المغرب نفسه ليشهد بان ازهى عصورنا هي العصور التي كان التمسك بالاسلام فيها من ابرز المميزات ، وان كل حركة تحريرية اصلاحية انما قامت على أسس القيم الروحية، ففي اطار ديننا الاسلامي السمح سنصوغ كل عمل وكل اصلاح ، لان المكاسب الدنيوية، ليست غاية في حد ذاتها ، لانها مكاسب محدودة ، أما المكاسب الروحية فليست لها حدود، لانها هي الوجود ، ولانها هي التي تمكن الفرد من حسن التصرف في مكاسبه الدنيوية ، وتكيف نصرفه بالخصال الحميدة ، حتى لا تكون في المجتمع شحنا. ولا بغضاء ولا تفرقة »...

من الخطاب الاول لامير المؤمنين مولانا الحسن الثاني ، بمناسبة جلوسه على عرش اسلافه الميامين ...

الدعوة الى الله والتبليغ عن رسول الله بما فيها من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، ونصيحة وتوجيه وتربية وتوعية ، اعتقد جازما وارى لزاما ضرورة القيام بها في عصرنا هذا ، لانه عصر حضارة جاهلية فاشية متفننة ، أفسدت وضيعت ، غيرت وزورت باطلها اكثر وشرها اكبر، فكانها تنبهنا لخطرها ، وتنادينا للتغيير الاسلامي ، وتدعونا الى العودة للاصل، الى الاسلام من جديد، التزموه من جديد ، جربوه من جديد ، انقذوا الناس به دعوه بفرض وجوده ، افسحوا المجال له ، اخلصوا العمل له .

انه اما ان تكونوا اصحاب الاسلام كما يجب ، والا ففي حالة لا اسلام فالنتيجة هي افلاس مكرور ، وخسران مكرور وهوان مكرور ، وضياع مكرور مما يزيد الشر جسامة ، والمشكلة تعقيدا ، والحضارة انحرافا ، والجاهلية تضليلا .

ولكن لماذا لا اسلام وجاهلية القرن العشرين وافلاس الحضارة فيه حجة علينا تندد بنا وتشهر ، تقول بلسان الواقع :

يا مسلمون ، انتم اصحاب الحل ، انتم اصحاب المفتاح، انتم رسل الخير، انتم دعاة الحق ، انتم المصلحون انتم المسؤولون ، كيف تخونون الامانة ؟! كيف تسكتون عن الحق ؟!

الى اسلامكم الصحيح ، الى بعث له صحيح على اسس صحيحة ، جنوده ناس صادقون ، ودعاة تقاة يدلون على الله ، يحيون الدين الى الآخرين بحكمة ، يستقطبون الشباب بالبراهين ؛ اعمالهم تدل على اسلامهم ؛ لا ينفرون ولا يزيفون ، لا يحابون ولا ينافقون ، يقولون ما يفعلون، يعملون ويتحركون على ضوء القرآن، التزاما منهم ووفاء لمبادئه ، اخلاصا له واهتداء به :

(انما هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون ، وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون).

والاسلام الصحيح هو الذي نحتاج اليه في هذا القرن ، نحن المحسوبون عليه، نحن الذين نسيء اليه! وانتم يا اعداء كم تحاربونه ! وكذلك الغير الذي يجهله، ونجهله له يبحث عن دين يهديه ويقيه ، وكم هو في حاجة لهداية وسعادة الاسلام !.

وحاجتنا نحن لهذا الاسلام ماسة وحتمية ، اننا فقراء اليه مفلسون منه كلية لاننا زهدنا فيه، تنكرنا له، وما نحن من الافلاس لا نحسد عليه ، ولكي نسعد ولكي ننقذ، علينا بعودة صادقة اليه ، بالتزامه ، بتطبيقه ، بدعوة له، ببعث كلي به نغير به كل شيء يخالفه اذا اردنا ان نكون مسلمين كما يريد هذا الاسلام الصحيح والا فهو تخدير يجعلنا نعذر من يقول : الدين افيون . واستعمال الدين كأفيون يكون من طرف من يستغله ويسيء به وياكل به ويحرف ويخرف ، فكيف لا ينحرف عنه من يزهد فيه ويتنكر له ؟!

وكم اصاب وكم صدق من قال (1) : (مصيبة الدين في جميع عصوره بفئتين : فئة اساءت فهمه ، وفئة اتقنت استغلاله ، تلك ضللت المؤمنين به ، وهذه اعطت الجاحدين حجة عليه).

وصاحب هذه القولة : الدين افيون كم كفر بالحقيقة الخالدة ، حقيقة الدين الصحيح ، لو بحث لوجد ، لان الحقيقة بنت البحث والوصول اليها مضمون ، ولكن (انها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور)

وعدم بحثه الاصيل تصرف مقصود منه ، وتدبير مرغوب فيه يبرهن عليه انه كان من تخطيط وتوجيه اليهودية التلمودية التي انجبت ماركس وانتجت بروتوكولات صهيون التي روجت وتروج لعبارة وفكرة (الدين افيون الشعوب) ليتخلى الناس ويضيعوا ، ويهيموا ويتيهوا ، ويبقى ويسود عباد التلمود عنصر يهود .

ومن باب وضع النقط على الحروف ، نؤكد ونقول بان الدين لا يمكن ان يكون هو الافيون ؛ وانما الافيون هو المحسوب عليه والذي يدعي الايمان به ؛ فالتحريف والتشويه ؛ يأتي منه اى من هذا الكذاب المحسوب على الدين اما الدين فهو بريء مما ينسب اليه ؛ بريء من سوء ما يرتكبه مدعيه .

اننا بمقارنة بينه وبين المتسببين اليه يتاكد لنا انه محجوب بهم ، مظلوم بنسبهم ، فالواقع الذي يريده هذا الدين هو غير الواقع الذي يوجد عليه من يتظاهرون بالاسلام ويحسبون عليه .

وهكذا بمجرد ما نحسن المقارنة ، على ضوئها نميز وندرك انه من الاجرام الكبير تفسير الاسلام بواقع المسلمين السيء ، ومتى وصلنا الى هذه الحقيقة ويجب ان نصل اليها يكون من العبث بل من البلادة، ترديد (الدين افيون) بل من الكفر الصراح ان تنطلي علينا حيلة التخدير بالدين فهي فكرة جاهلية هدامة مستوردة .

وبدحضها وبغسل ادمغة شبابنا منها يمكن ان تنجح الدعوة للاسلام لان الناس يعانون من فراغ ومن خواء ، ومن جهل ومن سوء فهم على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم من انصاف المثقفين ومن العامة الجهلة ؛ وهذا الخطر الاكبر يحدق بالناس والظلم الاكبر لهذا الدين ،« فالذين يسيئون فهم الدين اخطر عليه من الذين يتحرفون عن تعاليمه ؛ اولئك يعصون الله وينفرون الناس من الدين (2) » .

والى هنا يكون الاوان قد حان للقيام بحركة اسلامية منظمة ، صادقة يتحقق بها تبليغ اسلامي وعمل اسلامي وتغيير اسلامي وبعث اسلامي في ميدان الارض وميدان النفس :

(يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين . فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات ، فاعلموا ان الله عزيز حكيم).

---

(1) وهو الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله .
(2) لنفس الدكتور

(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم).

انه عن طريق التغيير وعدم انزال كما يوجه القرآن في ميدان النفس الانسانية نصل الى التطهير في ميدان الارض بعقيدة التوحيد الصحيحة ، بفكرة العبادة وبوسيلة العبودية لله ، وبذلك نكون قد دعونا لديننا والتزمنا احكام وانظمة الاسلام ، اننا اذا اعتقدنا هكذا ، وعبرنا هكذا ، سنتشبع وسنقتنع بضرورة القضاء على انظمة الكفر ، وعلى كل ما هو وضعي او جاهلي ، هذه الاصنام العصرية التي تحجب الحق وتحول دون الحياة به ، وتفسد الناس وتضللهم ، وتشقيهم وترديهم .

وبازالة هذه الاصنام التي هي معالم الجاهلية نكون حققنا مقاصد الدعوة الاسلامية ، ونكون قد دعونا لله ، فالحقيقة التي تفرضها هذه الدعوة ، هي : انما تنجح دعوتنا للاسلام باستمرار على اساس واحد وبشرط واحد وهما:محو الجاهلية ، وبالمحو فقط نبرهن على الالتزام، والالتزام هذا ما هو الا واقع يعاش بفرضه وبرضاه، بريده ويرعاه .

وما لم يكن المحو لها فالنتيجة هي الطامة ، وهي الخيانة ، وهي العمالة ، لان الكفر والايمان لا يجتمعان، والحق والباطل ضدان ، فكيف ندعو للخير والشر يزاحمه في الميدان ؟! ان اصنام العصر وما اكثرها عقبة ومشكلة ، بوجودها يصول الباطل ، وبفقدانها بل بطمس معالمها يفرض الحق وجوده ويتحرك اهله ويدعون .

ونحن حاضرا ومستقبلا لا تنقصنا الا مرحلة الوصول الى احقاق الحق وازهاق الباطل : باطل الاعتقاد والتصور باطل التحكيم والتنظيم ، باطل التفكير والتوجيه ، باطل التقنية والتحضر، باطل الوسائل والغايات ، انه باطل من شتى الانواع ، كله ضياع ، كله شر ، كله زور ، ولكنه باطل ولا بد له من الزهوق :

(وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا).

وهذا الحق الذي ينتظر الاحقاق في هذا العصر انما يتمثل في عقيدة الاسلام وحكمه ، في شريعته ونظامه ، في فكره ووجهته ، وهو حق انتصر به المسلمون من السلف الصالح وعاشوا له وبه ، وسر انتصارهم وريادتهم يكمن في انهم اعتقدوه واقروه ، اقتنعوا به وعملوا به بعدما تخلوا كلية عن الباطل وما يمت اليه بصلة من قريب او بعيد، انه التخلي الكلي عن الجاهلية . انهم تخلوا عن الجاهلية وتحلوا بالاسلام ، ولذلك عبدوا الله ايمانا وصدقا ، وكفروا بالطاغوت واجتنبوه ، وكيف لا بل ولم لا وقد تبين لهم الرشد من الغي ؟

لنتدبر هذا الرد الرادع الذي سنورد بعد قليل والجواب القاطع من رسول الله ، لنعقله ، لنعمل على ضوئه ، لندع على اساسه ، انه الحل الوحيد واس العلاج وسبب الاصلاح، انه اساس التوحيد الذي يهدي وينقذ الناس،

قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخاطب مشركي مكة : (... كلمة واحدة تعطونيها ، تملكون بها العرب . وتدين لكم بها العجم ، فقال ابو جهل : نعم، وابيك وعشر كلمات ، قال : تقولون « لا اله الا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه).

نهج التوحيد الصحيح هو الاصل لكل اصلاح ، هو اساس التغيير في دعوة الاسلام ، انه وسيلة لا بديل لها للهداية والقيادة ، وما لم يكن وما لم يستعمل فلا وجود لحقيقة الخير والنجاح في حياة البشر . انه بدون التوحيد تكون اية محاولة لاصلاح الناس عقيمة ، تضيع وتذهب مع ادراج الرياح :

(ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت).

(اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون).
(لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها).

لنبدأ دعوتنا لله بتقدير وتخطيط ، واخلاص واحسان، ولتكن هذه الدعوة في كل مكان : في البيت، في الشارع ، في المدرسة، في الكلية ، في الادارة ، على كل الاحوال وبشتى الوسائل .

وهي دعوة تنجح ولا شك حين يفسح المجال لهذا الدين كما اشرنا ، وتتوفر شروط الدعوة والداعية .

ومن دواعي النجاح اخلاص في الداعية وحكمة ، وعدم تقصير ، واغتنام كل فرصة للتوجيه ، وصمود وشجاعة ، ومبادرة ومواجهة ، لان دعاة الباطل في حالة غياب اهل الحق يعملون بجد ونشاط ، ويتفننون وينوعون في استعمال الوسائل لنشر باطلهم ، ويكثرون ويتقدمون في ميدان دعوتهم الجاهلية ، اما حينما يقل او يحجم دعاة الحق ، او يفترون ويسكتون او لا يهتمون ، او يعوق العمل

لدعوتهم اولا تنظم اعمال دعوتهم فان الشر ينتشر والباطل يسود خصوصا اذا كانت محاولة التغيير او اصلاح غير جذرية وغير جدية .

ان التغيير الجذري والاصلاح الجدي شرطان اساسيان لنجاح الدعوة وتحقق اصلاح الناس بها ، وهذا النوع من التغيير والاصلاح الايجابيين اساسه رفض لكل جاهلي، وقضاء على كل دخيل ، وزهد في مخلفات الجاهلية ، وكنس لآثار الكفريات ، وبذلك تتطهر الارضية التي يعيش عليها المؤمن ، ويتحصن هذا المؤمن ، ويصير وهو ملقح ضد الكفر ، في وقاية منه لانه نظيف الباطن والظاهر ، وهذه النظافة ما هي الا حقيقة الايمان فهي التي عقم بها رسول الله وعالج بها الذين آمنوا به ، والعقيم منه صلى الله عليه وسلم كان من العمق الذي ادى الى اليقين ونجم عنه (ما وقر في القلب وصدقه العمل).

وهو ايمان كان نتيجة عمل ومتواصل مدة عقد وزيادة من السنين بمكة ، ولم يكن هؤلاء الافذاذ من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه خريجي **دار الارقم بن ابي الارقم** على يد معلم البشرية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

انهم الامثلة الحية للايمان الحركي ، ورسل الدعوة الخالدة ، وحماة الاسلام ، وابناء الاسلام البررة الكرام .

ابي الاسلام لا اب لي سواه
اذا افتخروا بقيس او تميم

ان دعوة الاسلام وهي الدعوة العالمية ، لايجابية ، الواقعية ، الحركية كانت وما زالت مبدأ (3) الحركة في حياة الناس عموما وحياة المسلمين خصوصا .

(ان هو الا ذكر للعالمين).

(وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا).

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون).

(ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم)

هذه الدعوة ضمان سلامة للافراد والمجتمع .

هذه الدعوة قوة تصحيح (4) دوما للانسانية جمعاء .

هذه الدعوة ينقصها عند اهلها تحديد المفاهيم.

هذه الدعوة ينقصها عند اهلها توحيد المواقف .

هذه الدعوة ينقصها عند اهلها تجميع الجهود .

هذه الدعوة ينقصها عند اهلها تكتيل الصفوف .

هذه الدعوة ينقصها عند اهلها توزيع المهام .

هذه الدعوة ينقصها عند اهلها اخلاص العمل .

هذه الدعوة ينقصها عند اهلها حكمة التدبير .

هذه الدعوة ينقصها عند اهلها تمويل المشاريع .

هذه الدعوة ينقصها عند اهلها حركة في كل الميادين.

الرباط ـ محمد بن ابراهيم بخات

(3) انظر بحث الدكتور خورشيو احمد : (الدعوة الاسلامية اهدافها واستراتيجيتها ...) بمجلة (البحث الاسلامي) مجلد (18) ، عدد (1) .
(4) انظر نفس البحث .

في طريق بناء المغرب الجديد :

تطور المفهوم الصحفي في المغرب

للأستاذ زين العابدين الكتاني

«.. ان العمل الذي نحن مقبلون عليه هو عمل ثوري بكل ما في الكلمة من معنى حقيقي ، ثوري ليس بمعنى خرق النظام ، ولا قلب الانظمة ، وليس بمعنى التهريج ، والارتجال ، ولكن ثوري بمعنى التغيير ، التغيير في الاساليب ، التغيير في وسائل الانتاج ، التغيير حتى في واجبات الدولة ، وفي واجبات الفلاحين ...

الحسن الثاني

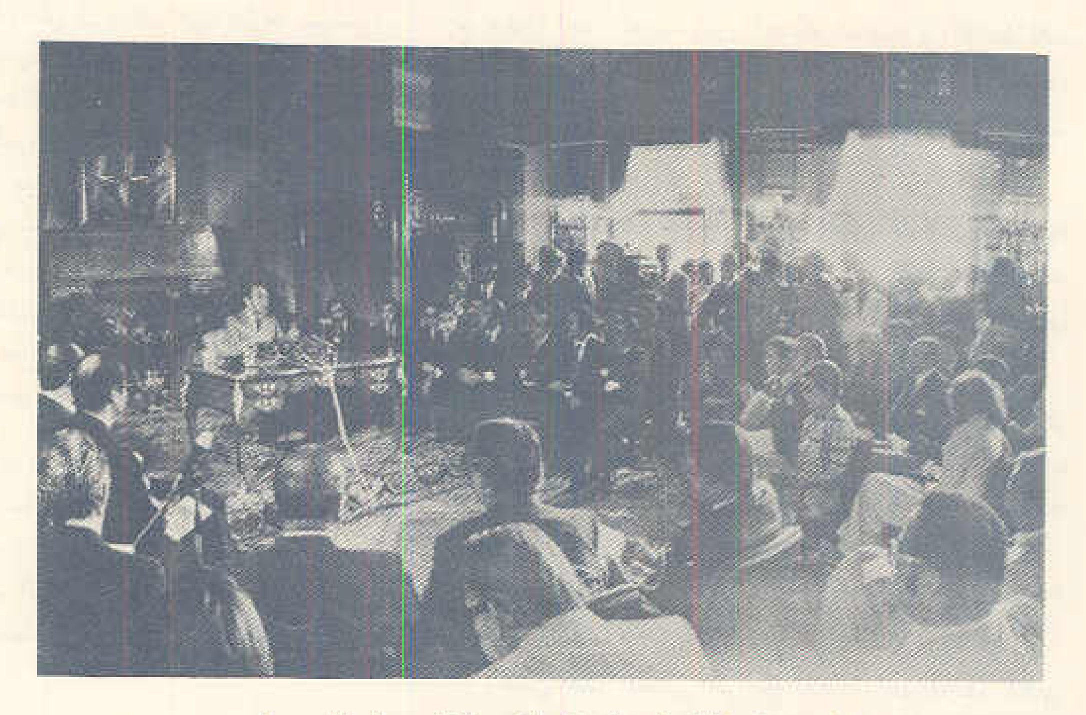
الاختيــــار المغربــي

لن اختار في هذه المناسبة موضوعا عاما او مجـالا للتعبير عن العواطف وتصوير الاحساسات التي تثيرها في المرء عادة الذكريات المتكررة العزيزة ، فانني سابقى وفيا للبحث الذي اخترته منذ سنوات ، ومن ينابيع هذا البحث اختار الحديث في هذه المناسبة لانه الموضوع الذي يتلمس في الحقيقة ابعاد انطلاق مغرب الغد المشرق الذي بشرت به ثورتنا في خطواتها المباركة في كل المجالات .

اذا كانت التجربة المغربية : تجربة الاختيار والاتجاه (1) فان هذه التجربة قد اكدت في خطوطها العامة واهدافها ثم ما حققته من خطوات في (مدة 1961–1975) ان المنطق يرتكز على خط ثابت كل المآخذ التي يمكن ان تطرح على بساط المناقشة ان الخطوات التي يحلم بها البعض تطمح في نوع من الهرولة التي تتأثر عادة بالاهداف والشعارات التي يلوح بها الذين يبحثون اما عن مسكنات لشعوبهم ، أو حمل هذه الشعوب على السير في خطواتهم المستعجلة أو المجلوبة ، ويقصد الذين يفرضونها على شعوبهم ان يعتنقوا مبادىء واهداف تعتبر اليوم محنة للامة الاسلامية وشعوبها التي ابطلـق تتحرر مـن ربقية الاستعمار ومخططاتها التي زرعها ابان نشوء الحركات السياسيـة ببلادهم تحت شعارات مختلفة تعتبر اليوم اخطر مـا يعاينه المواطن المسلم وهو يعمل من أجل الانطلاق الحر.

وهذا هو السر الذي وضعه مؤسسو المغرب منذ الفتح الاسلامي في المقدمة ، وهو ايضا سر الاختيار المغربـي

(1) انظر محاضرة الاستاذ السيد احمد ابن سودة فى جمعية العلوم السياسية فى لبنان منشورة فى كتاب : (المغرب ملك وشعب) صفحات : 103 / 133 .



صاحب الجلالة فى ندوته الصحفية حول الصحراء



جانب هام من رجال الاعلام يتتبعون باهتمام بالــغ
الندوة الصحفية التي أقامها جلالة الملك فى قصره

الذي يصارع اليوم ما يمكن أن نطلق عليه بازمة سياسية ونحن نقطع مراحل جديدة في الخط الذي رسمناه لانفسنا وبانفسنا منذ ان انفصلنا بثورة الملك والشعب عن الركب الاستعماري الذي حشرنا فيه عوامل لا نقول باننا قد تخلصنا منها ، ولكنها عوامل قد ذوبت بهذه الثورة التي لا زال العرش المغربي يحمل علمها المقدس بصوفية صادقة ، وبايمان الشعب المغربي في قاعدته ، وتلك هي أهداف وعمق الخط الثابت الذي انطلق منه العهد الحسني من اول يوم ، وتلك هي اهداف مخططاته التي نلمسها ونحن نحاول تحديد خطوطها العامة في هذه الدراسة .

واذا كنت قد اخترت في هذه الدراسة الاختيار الدقيق كجانب من جوانب الانطلاق بالمغرب الجديد فمرجع ذلك في العمق يرتكز كما سنرى في التخطيط الذي يميز العهد الحسني على الاسلوب العلمي المحدود الاهداف والمرامي والابعاد ... التي استهدفها في خطواته الاولى في كل المجالات .

ولا يعني هذا الاسلوب او التحديد أن الاسلوب العلمي قبل ، ولكن بزوغ هذا العهد قد اقترن بوضع تخطيط مدقق للخطوات المرسومة التي قطعها المغرب منذ الفرحة الكبرى ... في سنة 1956.

واذا كان هذا الاسلوب او التحديد قد ارتكز مكرسا كل مجهوداته واهدافه ومراميه منذ البداية لوضع نقط توازن بين مختلف الاتجاهات وبين اسلوب العمل الذي اختاره المغرب مسبقا لضمان الاستقرار ، وتكافؤ الفرص ، وخلق المواطن المغربي الحر ... الشاعر بالحرية في اوضح صورها ، العامل من اجل حماية هذه الحرية ورعايتها لانهما الضمان الاساسي للاستمرار .

ولقد اقترن ظهور التفكير العلمي (2) في المغرب الجديد بظهور :

– تحديد علمي لكل الخطوات التي اصبح المغرب يخطوها في مختلف المجالات التي تنتظره وهو يعدو راكضا نحو اللحاق بامجاده ... نحو آفاق الغد الذي يتراءى أمامه بل والوقوف في صف الدول التي اكتمل نموها للسير الى الامام ...

– عندما اخذ المغرب يبلور أعماله العادية في التخطيطات العلمية والتصميمات التي تضمن له نجاح الخطوات التي يتطلبها مستقبل المغرب ، وتحقيق رغباته في تجاوز مراحل النمو والقضاء على التخلف نهائيا .

ولقد بلورت هذه التصميمات والتخطيطات مدى صلاحية الاتجاه الاختياري الجديد وقدرته على تحقيق الرغبات الشعبية في كثير من المجالات ... باعتبار الشعب المغربي كما قال صاحب الجلالة .

« شعبا قوي الاحساس ، كثير النشاط ، شديد الاهتمام بالمشاكل التي تواجهه ، والصعاب التي اعترضته ، ولانه شعب يقظ ذو ماض مجيد ، تواق الى بعث أمجاده واحياء عظمته ، وتشييد صرح النهضة الاقتصادية والاجتماعية ، وتحقيق تقدم صناعي وتقني يضمن لابنائه السعادة وزيادة المجد والفخار (3) .

ونفس هذا التفكير الواضح مقدمة واهدافا هو الذي يبرز الاسلوب العلمي الذي يميز العهد الحسني في النواحي الاساسية وهي :

اولا : بلورة التفكير العلمي ويتجلى ذلك في :

استمرار تتميم مرافق الجامعة المغربية ، والبحث عن اسلوب المدرسة المغربية الجديدة الذي يضمن تحقيق التخطيطات الواسعة في مختلف المجالات استقبالا .

– خلق التعليم الفلاحي ... باعتبار « الفلاحة كما قال جلالة الملك هي ثروتنا الوطنية الاولى ، والتي اكثرية سكان مملكتنا يقتاتون منها ، ويجب أن يستهدف التعليم في جملة ما يستهدف تكوين الطفل المغربي تكوينا يجعله وثيق الصلة بشؤون الفلاحة ، وان تحظى الفلاحة بالعناية في جميع مراحله ، وان نسعى البرامج والمناهج الى تحقيق هذه الغاية » .

وهذا ليس اتجاها كوميا بل هو اختيار شعبي صميم ، وامنية كل الذين ينتظرون تحقيق المعجزة الاجتماعية في هذا البلد الكريم .

ثانيا : تجربة وزارة الشؤون الاسلامية ، وقد اكدت هذه التجربة وخاصة في الجانب الثقافي الذي برزت عنه

---

(2) انظر دراستي عن (الخط الثابت لتفكير المغرب الحسني) ب : (دعوة الحق) (العدد : 1 السنة : 15 محرم 1392 / مارس 1972 ، صفحات : 143 – 147) .

(3) خطاب العرش 1963 .

مجلة (البينة) وجريدة (الحسنى) التي ارتكزت على تقديم الآثار العلمية المغربية الاسلامية ، وبلورتها في اسلوب مغربي كان له اثره البارز في نجاح أهداف هذه التجربة ...

ثالثا : حماية التفكير المغربي وخلق اسلوب للتفكير المعاصر واستهدف هذا العمل خلق آفاق جديدة خصوصا عندما اكد رائد المغرب لشعبه «... ان السر فيما بلغه (المغرب) من رشد ما يتحلى به من حسن تصرف ، ثيرجع الىما لديننا الاسلاميمن تاثير طيبعلىنفوس ابنائه»(5

رابعا : الاختيار الاعلامي الذي لا يجعل الدولة تستولي على القارىء بامكانياتها العريضة ، ووسائلها ، بل تعمل مواصلة الخطوات نحو اقرار اختيار للعمل على صعيد الاتجاهات المختلفة التي تدافع عن وجهات نظرها ، وتعمل بوسائلها لاستقطاب الراي العام ...

وما وجود جرائد ومجلات ودوريات ومنشورات مختلفة وكلها تصدر حسب اهداف منظماتها وبوجهات نظرها الا دليل على ان الاختيار يسير نحو الخط الثابت له في دولة تحترم نفسها ، وتحافظ على خط السير ، وعلى حرية الراي كما يجب أن تكون ... (6) وكل يوم تتوضح أهدافها وتبرز اسسها الواضحة ..

واقع الصحافة المغربية

وان الحقيقة الملموسة بوضوح ، والواضحة المعالم من خلال مجموعات الصحف التي عرفتها بلادنا الى سنة 1956 هي حقيقة الدور الذي لعبته كل هذه الصحافة ويمكن التأكيد بانه دور لم تلعبه الصحافةفي اي بلد آخر بنفس هذه الصورة سواء في البلدان العربية او الافريقية او في اقطار العالم الثالث بصفة عامة بالرغم من أن تقبل المغاربة للصحافة ظل خاضعا لتفكير خاص ومحدود لاعتبارات شتى مرجعها تنوع الاتجاهات الموروثة ...

ولكن الواقع الحقيقي هو أن هذه الصحافة كانت على الدوام عاملا قويا وهاما في الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية في جميع جهات البلاد ، وكان لها أثرها الواضح في قضايا المغرب وخروجه من العزلة وخدمة قضايا الحرية والوحدة ، ومقاومة الاستعمار والنفوذ الاجنبي والانحراف ، ثم في القواعد الاساسية للفكر المغربي المعاصر الذي يطل علينا من بين أكام التخلف والانحراف المحيطة بنا والتي تستنزفها الآن معارك الشغل والتصنيع والتكوين والتحرر من المخلفات ، وتحقيق الوحدة في عدة معارك ابرزها الثورة الاجتماعية الصامتة.

وهكذا فعندما نقف قليلا نتقلب تطور المفهوم الصحفي بالمغرب سنة 1961 بالخصوص وهو ايضا تطور المفكر المغربي منذ اليوم الذي بويع فيه جلالة الحسن الثاني انما نقف في الحقيقة على ادق حقبة من تاريخ الصحافة المغربية وذلك لاعتبارات مختلفة.

واذا كانت هذه الظروف تعتبر ادق مرحلة في تاريخ التطور المغربي وخاصة في المجال السياسي والصحافي فان ذلك قد اكد ان حركة التطور أو حركة الانتقال هذه قد اخذت صورة واضحة من جهة ، ثم سارت في طريقها العادي لبلورة الواقع المغربي وبالذات بعد ان انطلقت فكرة خلق صحف جديدة مختلفة حملت مشعل اتجاهات جديدة كسر ظهورها كابوس الارهاب السياسي والصحافي الذي بدات بوادره تظهر للعيان (7) .

وهذا الكابوس كان عقبة كاداء في وجه انطلاق الشباب في هذا المجال . غير ان اتجاه اسلوب سياسي معين كان يهدف التمركز وحده وكان يعمل دائما للوقوف في وجه اي انطلاق جديد ، وكنتيجة لاختياره هذا فقد دفعت الظروف المحيطة بالمغرب الى ادخال تغيير على نص تشريعي في قانون الصحافة الذي اختاره ملك المغرب جلالة الملك المقدس محمد الخامس ضمن (ميثاق الحريات العامة).

واذا كان تطور المفهوم الصحافي عند مجموعة صحافة فاس باعتبار نشراتها كانت اول نشرات مغربية وطنية ظهرت ببلادنا يرتكز على بلورة الوضعية المعزولة

---

(4) نفس المصدر .
(5) نفس المصدر .
(6) انظر حديث نقيب الصحافة الوطنية السيد عبد الكريم غلاب المنشور بجريدة (الحياة) اللبنانية (ع : 6135) (ص : 3 / 8 / 4 / 1966) .
(7) انظر المصدر السابق .

والمنكمشة التي كان يعيشها المغرب وخاصة على المستوى الشعبي ، فان هذا المفهوم ارتكز بعد (سنة 1921 حتى سنة 1937) على البحث على اسلوب للخروج بالمغرب من الظروف الشاذة التي اصبح يعيشها بالرغم منه .

أما بعد سنة 1937 فقد بدات طلائع المعركة الجديدة في مظهرين :

-- مفهوم الصحافة الوطنية الصرفة

- مفهوم الصحافة الموجهة

- في حين ظهرت بعد سنة 1956 بالتحديد بمفهوم جديد هو الانطلاق العام .

اما المفهوم الذي عرف ما بين سنة 1961 و 1965 فهو يؤكد ابعاد التطور الذي عم الفكر المغربي .. وهذا المفهوم بعث كما سنرى نهضة من حيث الشكل لا باس بها ، ورغم ذلك فهي تؤكد أن المغرب يسير نحو الايمان بالصحافة والصحف ، ونحو خلق اقلام صحافية سياسية معينة سرعان ما طرات عليها تطورات مضادة لاهدافها .. يضاف الى ذلك تبخر شخصيتهم الصافية مع الحصول على الهدف الذي وصلوا اليه اذا استثنينا البعض .. وهذه حالة مهمة في تطور المفهوم الصحافي المعاصر لا يتسع المجال الى مناقشتها هنا في هذه الدراسة الخاصة .

وهذا في الحقيقة ما جعل الميدان الصحافي في المغرب يبقى بين المد والجزر بين الانتعاش وانهزال ، بين القمة والبداية .

ولذلك راينا صحافة المغرب المستقبل تمثل فترة الانتقال بادق معنى الكلمة ، وهؤلاء القلة ليسوا صحافيين في المجال الصحافي فقط . ولكنهم كتاب المقالة وكتاب التعاليق وكتاب الاسلوب الكاريكاتوري والمراسلات والمذاكرات والبحث .. ومن المؤسف أن تسخر الصحافة هؤلاء في كل هذه المجالات أو اغلبها (8).

ان الصحف التي تصدر ببلادنا باستمرار ، والمجلات التي تظهر خير معبر لنا على أصالة وتطور المفهوم الصحافي عندنا ولو انه يتعثر فان السبب الحقيقي يرجع الى عدم وجود سوق اولا ، ثم لعدم وجود صحافة تجارية تخدم الخبر ... وتخدم الصحافة ، وتخدم الاعلان وهذه المرحلة تنتظرها الحياة الصحافية ببلادنا .. للانطلاق . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فاننا نجد ان الصحافة المغربية التي اتسمت في اطوارها بالطابع الديني سواء في اسلوبها العام ، او اتجاهها الخاص أيام المعركة الوطنية ، فان الصحف الرسمية لم تلتزم بهذا الاتجاه الى الحد الذي التزمته الصحافة الوطنية وبالصورة التي كانت تلتزمه وتتمسك به باعتباره الهدف الحقيقي ... ولكن بعد الاستقلال انقلب الوضع بالنسبة لكل الصحف من حيث هذا الجانب ومرجع ذلك الى هذه الاسباب :

اولا -- ان العناصر الجديدة التي دخلت ميدان الصحافة تختلف تماما عن الجيل الذي سبقها من جوانب متعددة لانه تكون تكوينا آخر ، هذا بالاضافة الى الطريق الموصل للعمل الصحفي .

ثانيا -- ان الاقبال على مظاهر الثقافة الجديدة كاخبار الفن والموضة والادب الرخيص والقصص والروايات قد ظهر بصورة خاصة واصبح له مركزه . ولهذه العناصر اثرها كذلك يضاف اليها ما يطلق عليه بالتحليلات الايديولوجية الفارغة .

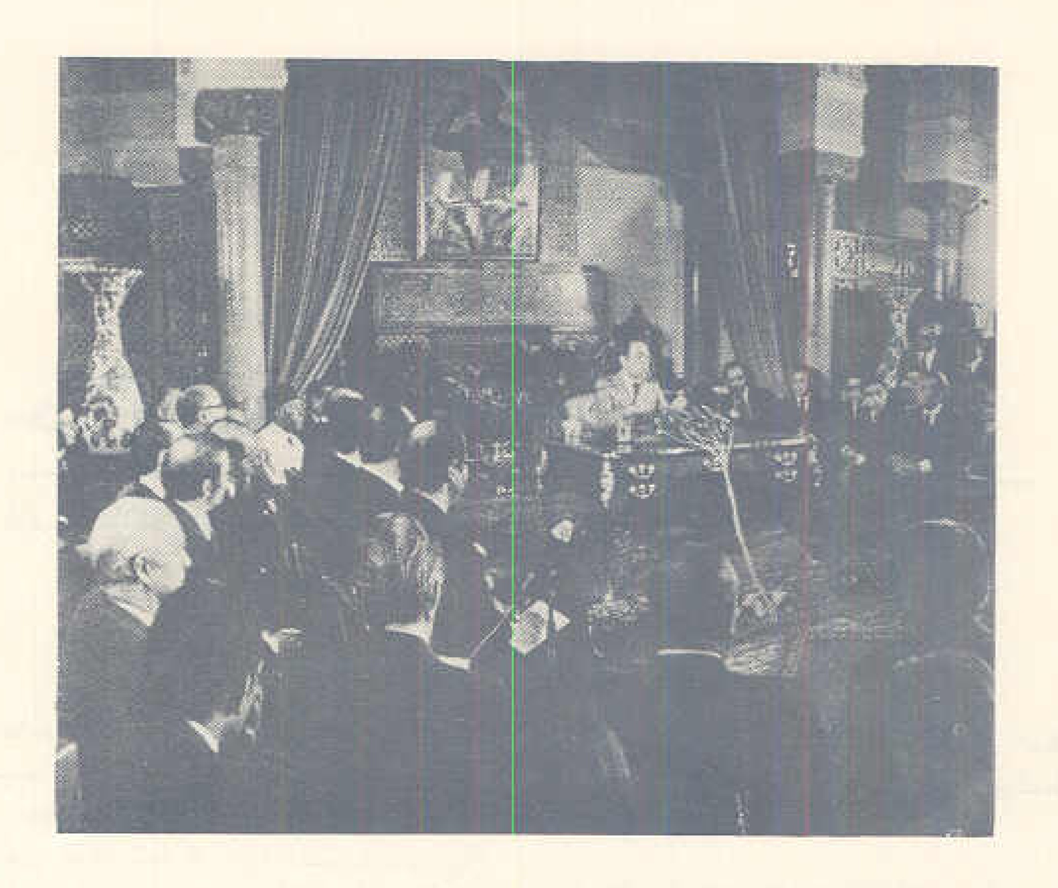
وهناك جرائد ظلت تلتزم الاسلوب القديم من حيث الشكل ، وقد يكون السبب المباشر في ذلك المشرف على الصحيفة او وسائل الطبع ، وهذه مشكلة تعرف الآن اعنف هزة وستؤتي نتائج خاصة قريبا .

ثالثا -- ثم ظهر بعد ذلك تطور مفاجيء في بعض المجالات فظهر عدد من الجرائد الجديدة في حين ظهرت عدة اسماء في جرائد متباينة الاتجاه والهدف لشباب واوانس له اهمية خاصة في هذا المجال ..

والحقيقة الواضحة التي يلمسها المواطن العادي في كل الجهات ، وتشهد بها بشائر الغير ، وحركات العمل المتواصل في « مراكز التنويم الاستعماري » بالامس القريب ثم ما تخطه اقلام الشباب من الجنسين في كل وسائل الاعلام تشير في عمق الى الاختيار الذي اصبح يرسم رسالة المستقبل الصحفي بالخصوص ، وتسير افكاره واهدافه الى أن الملامح القادمة ليست موجهة بل ترتكز على بعث تفكير مغربي صرف خالص من التاثيرات والمؤثرات والنزعات المذهبية ويستمد اسسه وغاياته

---

(8) انظر مجموعات : مجلة (السلام) التطوانية وجريدة (الاطلس) الرباطية و (مجلة) المغرب وجريدة (الوداد) السلاوية ، وجريدة (الدفاع) الفاسية وغيرها ..



من الرائد الذي انطلق مؤمنا وناصحا في هدوء وصمت وهذا في الحقيقة يؤكد أن هذه الظروف تعتبر بصورة خاصة مواكبة لتاريخ التطور المغربي وخاصة في المجال السياسي والصحفي ، فان ذلك قد اكد ان حركة الانتقال هذه قد اخذت صورة واضحة من جهة ، ثم اخذت طريقها العادي لبلورة الواقع المغربي من جهة اخرى .

ومن هنا نرى أن المغرب سيحمد هذه الخطوات البناءة التي ستكون اسس المرتكز والتي ستكون السبيل لتحرير الكلمة من كل القيود والمؤثرات المعاكسة ، وستجد الاتجاهات المغربية القدرة على التعبير عن وجهة نظرها، دون قيد او ارهاب وخاصة اذا ما حسنت النية وتظافرت الجهود للتعبير الصادق بعيدا عن اي اعتبار طاريء او مصلحة موجهة او ضغط او توجيه بعنف .

وتلك في الحقيقة هي اسس الخط الثابت لصحافة الغد كما ترسم خطوطها الآن في مغرب الغد ..

واذا كان هذا الخط يحيط على العموم بعوامل عنيفة فهو قد قطع مراحل مهمة في :

1) بلورة اسلوب الحرية طبقا للنظام العام للحريات العامة .

2) نمو الاقلام الشابة المومنة بالحرية ، المقتنعة بالاختيار المغربي.

3) الانكباب على الموضوع المغربي وانتشاله من خضم الصراع الذي يملأ اجواء السياسيين .

واذا كان لنا ان نفتخر في هذا الميدان فهو التجربة الخالدة التي عبرت عنها اسرة وسائل الاعلام عندنا بصفة عامة بالمغرب غداة حوادث 10 يوليوز والموقف المبني على الايمان الصادق ، والوضوح في التفكير عند اسرة (الانباء ـ جريدتك) في نفس اليوم وبعد ساعات قليلة مما يعتبر في تاريخ الصحافة المغربية الدرس الواضح للمحافظة على العقلية المغربية السليمة ، واخلاصها الذي لا يشوبه انحراف .. او خوف ، او ارهاب .

وهذه هي اسس الخط الذي تنطلق منه صحافة عهد الحسن الثاني .

سلا ـ زين العابدين الكتاني

حيا الله قاضي العيون...

لقد امتثل أمر ربه.. فاستبرأ لدينه. ونصح لوطنه وأمته...

للأستاذ
عبد الرحمن العمراني
الادريسي

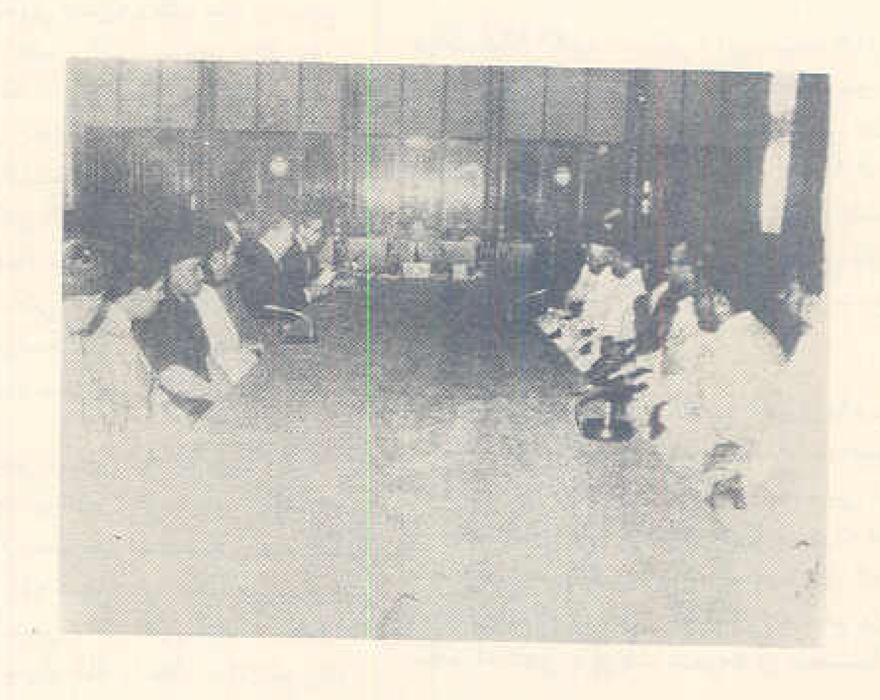
ان من تعاليم الاسلام ودعواته التي اخذ بها السلف الصالح، فسما وساد، واهملها الخلف، فضعف وهان، دعوته الى جمع الكلمة ولم الشعث وتوحيد الصف، بحيث لا تكون هناك ثلمة او ثغرة تتسرب منها رياح التفرقة واعاصير التمزق، فتضعف الكيان وتهد البنيان. فلقد حصر الاسلام شان المسلمين في الاخوة وامر اذا ما وقع ما يكدر الصفو باصلاح ذات البين، قال تعالى: « انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم ». ووردت احاديث كثيرة في هذا المعنى لا ارى ضرورة لذكرها، لان كثيرا منها معروف متداول.

ولكي تبقى هذه الدعوة محفوظة قائمة كان لابد من راع يرعاها كغيرها من شؤون الامة الدينية والدنيوية، لذلك اجمع المسلمون على وجوب تنصيب الخليفة، وجعلوا بيعته من الزم ما يتصف به المسلم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح مسلم: من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية. وقال ابو بكر الصديق في خطبته المشهورة: ان محمدا قد مات، ولا بد لهذا الدين من يقوم به» (الابي ج 5 ص 165).

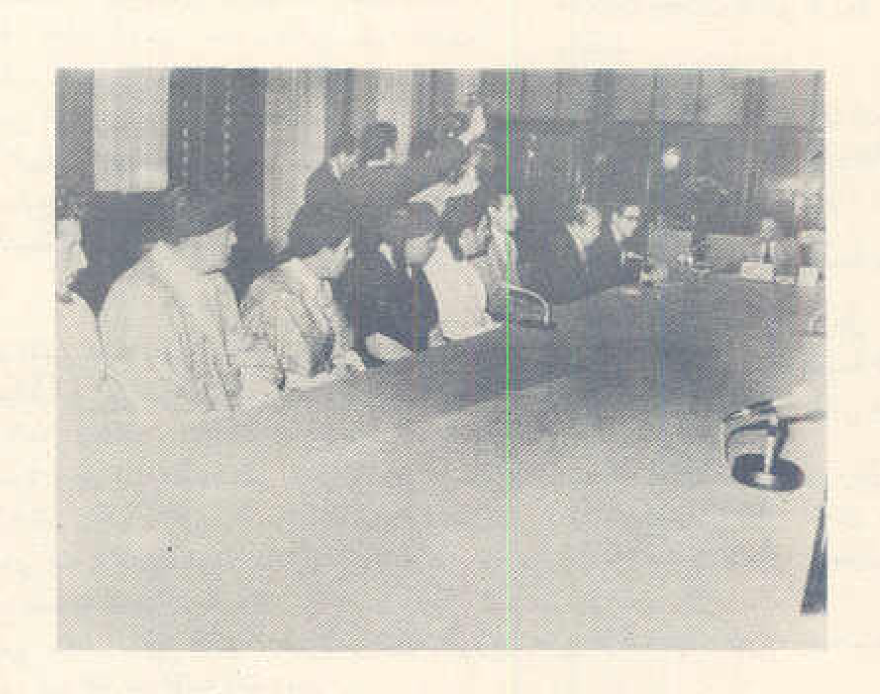
ولقد بايع المسلمون فرادى وجماعات رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ما مرة، فكانوا مثال الصدق والوفاء لما بايعوا عليه، وبذلوا في ذلك امنهم وراحتهم واموالهم ودماءهم، وكانت هذه البيعة تتجدد كلما دعت الحاجة الى ذلك من تجديد عهد، أو توكيد امر. واستمرت الحال على ذلك طيلة ايام الخلفاء الراشدين، فظلت الوحدة موفورة ومعها القوة والعظمة والصولة، والصف موصولا ومعه الخير والبركة والعزة.

وحتى في عهد حدوث الثغرات، وتسرب الاهواء، بقيت اصوات المخلصين لتعاليم دينهم وقضايا اممهم مرتفعة صارخة تنادي بوجوب سد الثلم وترميم الشق، وذلك بحتمية طاعة الامام والالتفاف حوله والاقتداء به مهما كانت الاحوال وحدثت الاحداث، فلم يخل اي عصر من عصور تاريخ الاسلام ممن يدعو الى ذلك سرا وعلنا، قولا وفعلا، وخاصة في وطننا العزيز هذا الذي لم يفقد فيه هذا الركن - ولله الحمد - غضارته ونضارته وهيبته ومكانته في النفوس منذ ادريس الاول الى محمد الخامس فالحسن الثاني - دام عزه وعلاه.

لقد حاول الاستعمار الفرنسي أن يمس الوحدة الوطنية في شخص محمد الخامس - قدس الله روحه - فغضب الشعب بكل هيئاته وطبقاته، واعتبر ذلك مساسا بمقدساته الدينية والوطنية؛ فاحتج العلماء وضجوا؛ ونبهوا افراد الامة الى خطورة الوضع في مجالسهم الوعظية وخطبهم، بل واصدروا الفتاوي بتكفير من يشارك في المؤامرة الدنيئة، وكنت وانا طالب يومئذ بالقرويين، قد رايت واحدة من هذه الفتاوي في دار المرحوم العلامة الشريف مولاي احمد الشبيهي بفاس.



أعضاء من وفد الصحراء المحتلة بين يدي مقام صاحب الجلالة



وبعد تنفيذ المؤامرة مباشرة استقبل الحاكم الفرنسي لمدينة فاس ، الجنرال لاباره العلامة المرحوم الشريف سيدي محمد بن العربي العلوي بمنزله وطلب منه ان يبايع ابن عرفة فاجاب الشيخ : نعم ، انني مستعد لذلك على شرط ان تاتوني بابن عرفة ، أو تحملوني اليـه ، وان تعطوني مسدسا !! فقال الجنرال : نعم ساحملك اليه. ولكن لماذا المسدس ، قال الشيخ لابايعه البيعة الاسلامية ، وذلك بأن اقتله . فما كان الا ان تمعن وجه الجنرال وظهرت عليه امارات الخيبة بقدر ما كان قد استبشـر وتهلل لدى سماعه كلمة «انني مستعد لذلك» ، وانصرف غاضبا بعد ان شدد الحراسة على منزل الشيخ المومن في انتظار نفيه الى الصحراء حيث بقي سنة كاملة (1) .

نعم ، ان حكم الله فيمن يسعى لتفرقة كلمة الامة ، وبعثرة صفوفها ، وجعلها طوائف وشيعا هو القتـل والمحاربة . اخرج مسلم في صحيحه بسنده على عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال : كنا مع رسول الله صلى عليه وسلم في سفر ، اذ نادى مناد : الصلاة جامعة ، فاجتمعنا الى رسول الله ، فقال : انه لم يكن نبي قبلي الا كان حقا عليه أن يد لامته على خير ما يعلم لهم ، وينذرهم شر ما يعلم لهم ،وان امتكم هذه جعل عافيتها في أولها،وسيصيب آخرها بلاء وامور تنكرونها وتجـيء فتنـة فيرقـق بعضهـا بعضـا ، وتجيء الفتنة ، فيقول المومن : هذه مهلكتي ، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة ، فيقول المؤمن : هذه ، هذه . فمن احب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتاته منيته ــ وهو يومن بالله واليوم الآخر ، وليات الى الناس يحب ان يوتي اليه ، ومن بايع اماما ، فاعطاه صفقة يده ، وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع ، فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر (3) .

قال الامام الابي معلقا على قوله صلى الله عليه وسلم « من بايع اماما » اي مباشرة او باندراجه تحت من عقدها له من أهل الحل والعقد ، لانه لا يشترط في لزوم حكم البيعة المباشرة ، بل اذا عقدها اهل الحل والعقد لزمت الجميع (ج 5 ص 189) . قال القاضي عياض : والظاهر من قوله صلى الله عليه وسلم « فاضربوا عنق الآخر » القتل حقيقة ان لم يجب الى الخلع واماتة الذكر بغيـر حرب .

ويدل لهذا الذي استظهره ابن سبتة البار ، ردها الله الى حظيرة الوطن والاسلام ــ ما اخرجه مسلم ايضا عن عرفجة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ستكون هنات ، وهنات ، فمن اراد ان يفرق امر هذه الامة ــ وهي جميع ــ فاضربوه بالسيف كائنا من كان . وما اخرجه عن ابن سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا بويـع بخليفتين ، فاقتلوا الآخر منهما » .

وها هو اليوم فضيلة قاضي العيون بالصحراء المغتصبة العلامة المسلم المومن السيد الحاج ابراهيم الليلي يفتح الدليل على ان تعاليم الاسلام ستبـقـى شوكة في حلق الاستعمار ، وعقبة كاداء في طريق مسيرته الخبيثة ، ولذلك فقد بذل وما يزال يبذل ــ الجهود تلو الجهود لاضعاف عقيدة الاسلام في نفوس شبابنا وابعادهم عن تعاليمه حتى يخلو له الجو ، فينفث سمومه في مجتمعنا وامتنا .

لقد قدم فضيلة القاضي استقالته من منصب القضاء ولجا الى الجزء المحرر من الوطن الاب ليجدد باسمه واسم عائلته وكافة الصحراويين بالجزء المحتل البيعة لاميـر المومنين الحسن الثاني ، رمز الوحدة ، وعنوان السيادة والعزة .

ولعل من الخير كثيرا ان نورد هنا نص وثيقة الاستقالة وتجديد البيعة لما تشع حروفها وكلماتها وجملها من نور الايمان بالله ، وحب الوطن ، والتعلق بالمقدسات .

تقول الوثيقة بعد البسملة والتصلية :

امتثالا لامر الله عز وجل ، واستجابة لنداء الوطـن العزيز ، جئت مجددا البيعة لامير المومنين ، صاحـب الجلالة مولانا الحسن الثاني دام ملكه .

وذلك اصالة عن نفسي وعن بقية افراد قبيلـة الشرفاء أوبالت جميعا بالجزء المحتل ، وباسم زاوية أهل الليلي خاصة معلنين لامير المومنين اننا جنود مجندون وراء

(1) حدثني بهذا الشيخ نفسـه بمنزله بدرب الورد بفاس يوم ذهبت اعوده بمناسبة عودته من هـذا المنفى في ثلة من طلبة القرويين .

(2) روي « يرقق » بضم الياء وبفتح الراء وبقافين اي بسبب بعضها بعضا ، كما روي بالدال المهملة وبالفاء بعدها « يدفق » اي يسوق بعضها بعضا ويدفعـه .

(3) تصح قراءته بالكلس والفتـح .



مظاهرات شعبية مطالبـــة بتحريـــر الصحـــراء



رسالة من السلطان المولى عبد الحفيظ يأمر قبائل تكنة الوقوف في وجه الاسبان ومنعهم من النـــزول على الشاطىء (4 صفر 1327 هـ)

جلالته في سبيل تحرير المناطق المغربية المغتصبة راجين من سدته العالية بالله أن يعتبر وفادتنا تمثيلا لجميع رعاياه هناك نظرا لقوة الحواجز والموانع التي اوجدها الاستعمار واصبحت بها المنطقة تحت وطاة من القهر والغلبة شديدة جدا لا يمكن الخروج منها الا بشق الانفس لكل احد ، ولا الالتحاق بالجز، المحرر الا نادرا .

وحرر بالعيون بتاريخ 15 شوال 1394 هـ. موافق 31-1-1974.

الامضاء : ابراهيم بن سيدي يعقوب الليلي ، وبداخل الطابع (المحكمة الشرعية بالعيون) .

انها صرخة مدوية تلقتها آذان العالم في الشرق والغرب كدليل على حيوية المغاربة ويقظتهم وعلو روحهم المتشبعة بروح الاسلام في شؤون الدنيا والدين .

فحياك الله - ايها القاضي الفاضل - الذي ربطت حاضرنا بماضينا ، واحييت سنة امر الله أن تحيا ، فسددت بذلك بابا من الشر في وجه الاستعمار ، واعطيت مثالا حيا لما ينبغي ان يكون عليه المومن من اعتبار المسؤولية تكليفا بالدرجة الاولى وليست تشريفا وزينة تنسي المرء واجباته وتسلبه فضائله .

حياك الله ، يا من امتثلت امر ربك ، واستبرات لدينك ، ونصحت لوطنك وامتك ، فلامت جماعة المسلمين وامامهم ، ولم تستجب لاولئك الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « دعاة على ابواب جهنم من اجابهم اليها قذفوه فيها ».

عن حذيفة بن اليمان قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة ان يدركني ، فقلت يا رسول الله ، انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ، فقال : فهل بعد هذا الخير بشر ؟ قال : نعم ، وفيه دخن (4). قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يستنون بغير سنتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر ، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة على ابواب جهنم ، من أجابهم اليها قذفوه فيها . فقلت : يا رسول الله صفهم لنا . قال : قوم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا ، قلت : يا رسول الله، فما ترى ان ادركني ذلك. قال : تلزم جماعة المسلمين وامامهم، قلت : فان لم تكن لهم جماعة ولا امام ، قال : فاعتزل تلك الفوارق كلها ولو ان تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وانت على ذلك ،صحيح مسلم.

فحياك الله ، يا ابن الصحراء البار ، وان شعبا اعطاه الله من الرجال امثالك في ايمانهم بربهم ، وحبهم لوطنهم، وتعلقهم بمقدساتهم، وحفظهم للعهد، وادائهم للامانة ، وتقديرهم للمسؤولية لجدير ان يحقق آماله ، ويصل أهدافه ، ويحرر اجزاءه .

وان غدا لناظره لقريب ، يوم يجتمع الشمل ، وتتم الوحدة الكبرى ، فيعقد الحسن العظيم الحبيب دروسه الحديثية ، وحوله علماء الاسلام ورجال الفكر والسياسة هناك في العيون بالساقية الحمراء ، وهناك في سبتة ، مدينة عياض ، والادريسي الذي بقي استاذا لاوروبا حتى عصر النهضة ، وابي الحسين الشاري وغيرهم ممن كانوا اساتذة الدنيا ومعلميها ، فتتحقق الامنية ويستعيد المغرب مكانته بان يصبح مرة اخرى مصدر اشعاع لفيض من نور الايمان والفضيلة والمعرفة الحقة ، والحضارة النافعة يعم افريقيا واوربا في البداية ليصل في النهاية - بحول الله - الى كل اجزاء المعمور ، والعزيمة فعالة او كادت أن تفعل .

واذا كانت النفوس كبارا

تعبت في مرادها الاجسام

عبد الرحمن العمراني الادريسي - فاس

(4) بفتح الدال المهملة والخاء المعجمة ، اصله أن يكون في لون الدابة كدره الى سوداء ، والمراد هنا عدم الصفاء .



لله أيامك الغر التي اطـــــردت
فيها السعود بما ترضي ويرضيهـــا

لله دولتـــك الغــراء ان لهـــا
لكافلا من اله العــرش يكفيهــــا

يا ابن الملوك وأبناء الملـــوك اذا
تدعو الملـــوك الى طـوع تلبيهـــا

هم المصابيح نور الله موقدهـــــا
تضيء للدين والدنيا مشاكيهـــــا

بقيت للدين والدنيا امام هـــــدى
تبلغ النفس ما ترجـــو امانيهـــــا

لم يشهد المسلمون عبر القرون الخوالي ، منذ عصر صلاح الدين الايوبي ، ولم يشرق عليهم زمان اعز ، وعصر ازهر وأسعد من عصر جلالة الملـــك الحسن الثاني ، الذي أشرق به وجه الدين الحنيف وتهلل ، وأحس بتحقيق ما أمـــل ...

واذا أراد الله تعالى صلاح عباده ، وانتظام هذا العالم فى سلك سداده ، جعل لكل دولة ملكا قائمـــا بتدبيرها ، وعاملا على رفع شأنها ...

ومن رحمته سبحانه ، ولطفه بالامة الاسلامية ، ان ابقى ذرية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعترته الطاهرة ، تستنير الامة بهديهم ، وتستمــد النــور والارشاد من علومهم وآرائهم ، ولله تعالى بقايا مـن عباده فى بلاده ، خلفهم لينعش بهم العاثر ، ويشـــد بأزرهم المفاقر ، ويحيي بحياتهم المعالي والمآثر ... واولئك هم عترة الرسول ، وسلالة الزهراء البتول ، اهل البيت العلوي المجيـــد ، الـــذي شرف الله بأجدادهم الوجود ، وأحيا بهم من المكارم كل مفقود ، فهم ملح الارض اذا فسدت ، وعمارة الدنيا اذا خربت.

وللاحـــداث اذا عظمـــت ، والمعضــــلات اذا استعصت ، رجال موفقون ، وقادة ملهمون ، يظهرون عند الشدائد والملمات ، يعالجونها بالحكمة والسداد.

رأى جلالة الملك الحسن الثاني أدام الله نصره — ان سعادة الامة فى تضامنها وتضافرها ، وأن قوتهـــا وعزتها فى اتحاد صفوفها ، وجمع شملها ، وأن يـــد المستعمرين قد امتدت اليها بالغدر والخديعة ، حتى تفرق المسلمون شيعا وأحزابا ، واقاموا لبلادهـــم حدودا واطنابا ، الهمه الله سبحانه ان يعمـــل على توحيد الامة الاسلامية واندماجها فى صف واحد ، فخطا فى سبيل تآلفها ، وجمع كلمتهـــا ، خطـــوات موفقة ، كانت سببا فى تكاتـــف الدول العربيـــة ، وتعاونهـــا ...

دعا — أدام الله له التأييد — ملوك ورؤساء الدول العربية ، الى مؤتمر جامع شامل ، بعاصمة ملكه ، ولبوا هذا النداء الصادق — ثم سعى جهده فى انجاح هذا المؤتمر — بسياستـــه الرشيـــدة ، وآرائـــه الـــسديدة ، حتى شاد عظماء الدول بذكائه ، وسعـــة

افقه ، واراد الله تعالى ان تكون وحدة المسلمين على يدي جلالته ، وفى عاصمة ملكه ــ التي ازدادت شرفا واشراقا برؤساء المسلمين ...

وكان نجاح هذا المؤتمر ــ اهنأ من الشفاء ، بعد الداء ، ومن النعماء فى اثر البأساء ، ومن استجابة الدعاء ، وتحقيق الرجاء ...

أمل كان يراود عقول المسلمين ، ويخامر قلوبهم قرونا وأجيالا ، حتى جاءت الايام الغر ، التي اجتمع فيها أقطاب المسلمين ، واجمعوا على الوحدة والصفاء ، فتمت الفرحة الكبرى ، وصفقت القلوب ، وانشرحت الصدور ، وابتهجت النفوس ، فعلى كل ثغر بسمة ، وفى كل قلب فرحة ، والله اكبر ولله الحمد ، جاء نصر الله والفتح ، وجلا الله تلك الضبابة ، وقشع تلك السحابة ، وغسل عن وجه المسلمين تلك الكآبة ... وهكذا تنطوي صفحات مليئة بالفرقة والجفاء ، ليفتح التاريخ صفحات بيضاء طابعها العزة والمحبة والاخاء ..

ولا عجب فانن امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني من سلالة مولانا وسيدنا أبي محمد الحسن السبط بن السيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام ، والتاريخ يعيد نفسه ، فقد كان جده السبط عليه السلام سببا فى توحيد صفوف المسلمين ، وجمع شملهم ، حيث تنازل عن الخلافة ، ابقاء على وحدة المسلمين ، وحقنا لدمائهم ، وخيفة تفرقهم .

وقد اخبر بذلك جده سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، حيث قال فيه :

(ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) فما أشبه اليوم بالبارحة ، وانما على أصولها تنبت الفروع ، واذا طاب الاصل فالفرع طابا .

وحق لنهر تشعب من بحر ان يكون غزيرا ، ولنجم استضاء من بدر ان يكون منيرا .

ولقد كان نجاح المؤتمر نقطة تحول فى تاريخ الامة الاسلامية ، ومن قبل بدأ هذه الوحدة ــ أطال الله عمره ، وأعلى فى الخافقين ذكره ــ بتزويد المجاهدين من المسلمين فى الشرق ــ بطاقة من جنوده البواسل ، ليكونوا عضدا وسندا لاخوانهم فى أرض سينا والجولان ، وليساهموا معهم فى حرب الصهيونية الغادرة ، التي فاقت فى شدتها الحروب الصليبية ...

وهذه احدى اياديه البيضاء العديدة ، التي يسديها لاعزاز الاسلام ، ونصرة المسلمين ، فليشهد الدهر ، وليكتب التاريخ ...

وليس هذا الفضل منه ببديع ، وانما يجري على عرق جاذب ، وليست النجابة فى هذا البيت موروثة عن كلالة ، ولكن والده العظيم مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه ــ خرج فاغترب ، وادب وهذب ، وولد فأنجب ، فهو غذى النفحة ، وسليل بيت النبوة ، وفرع الرياسة والسياسة ، وابن السيادة والقيادة ، وكنت احسب قول الحكمى :

وليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم فى واحد

كلام مسهب ، وفلق منكسب ، حتى علمت انه قال ما لا يمتنع امكانه ، ولا يتعذر وجدانه ...

وغدت « الرباط » عاصمة المملكة المغربية كعبة القاصدين ، ومقصد الوافدين ، من افواج المسلمين ...

وممن قدم الى المغرب فى رمضان الفارط أربعة حديثو عهد بالاسلام ، احدهم فرنسي يقيم فى ساحل العاج ، والباقون يعيشون فى السنغال ، واستقبلهم جلالة الملك حفظه الله ببشره المعهود ، وبخلقه الموهوب ، واطلق عليهم أسماء الخلفاء الراشدين ، ابي بكر ، وعمر ، وعثمان وعلي ، وعاشوا فى رحاب الكرم والجود ، حتى اذا حان موعد الحج ، استدعاهم معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية ، وارسلهم ليؤدوا فريضة الحج على نفقة جلالة الملك ، واذا وفد الناس من كل حدب على المغرب ، فلا غرابة فقد كان مولانا امير المؤمنين الامام علي كرم الله وجهه ، كعبة القاصدين من المسلمين ، يقول شهاب الدين ابن معتوق الموسوي فى ذلك من قصيدته البائية يمدح فيها سيدنا عليا رضي الله عنه :

وانت يعسوب نحل المؤمنين الى
اي الجهات انتحى يلقاهموا تبعا

فاما نهوضه بالشعب المغربي ، فحدث ولا حرج، فقد خلق فى هذا الشعب روحا فياضة ، ايقظت الهمم ، والهبت الشعور ، فوثبت الامة المغربية ، وثبة تقدمية ، كان من اثرها ـ ان انشئت المصانع ، واسست المعامل ، وبنيت المساجد ، والسدود ، وشملت النهضة مرافق الحياة فى كل اقليم ، فانتعشت الصناعة ، وازدهرت الفلاحة ، وعم الرخاء وتحركت الايدي المتعطلة ، واثمرت هذه الجهود خيرا وفيرا ، وعيشا هنيئا ...

ولمثل هذا فليعمل العاملون ، فهكذا تبنى الحضارات ، وتقام المنشآت ، وبهذه الوسائل ترقى الدولة ، وتزدهر الحياة ، ويعم الخير من كل جانب ، وتتبوأ بين الامم مكانا عليا ...

ولقد اوتي جلالة الملك الموفق من النظر الثاقب ، والفكر الصائب ، ما جعله ينظر الى الامور بعين الاهتمام ، ويبحث عن الادواء ودوائها ، فاخذ من الماضي عبرة للحاضر ، وسلك طريق اجداده الراشدين ، فشارك الشعب فى مهام شؤونه ، حتى أصبح من الشعب بمثابة القلب من الجسد ، والروح من البدن ، واصبح الناس يعيشون فى ظل ملكه سعداء ، يسيرون الفلاح فى طاعته ، والفوز فى الانضواء تحت لوائه ، والسير على سننه وهديه ...

واينما توجهنا نراهم يلهجون بالثناء المستطاب على جلالته ، حيث اتت توجيهاته الرشيدة اثمارها، وانتجت آراؤه الحكيمة آثارها ، وشملت النهضة ارجاء المملكة ، ودب النشاط فى كل ناحية ، واقبل الناس على الانتاج كل فى حقله ، بصدور ملئها البشر والامل ، بمستقبل حافل بالسعادة والازدهار ...

واذا كان الربان ماهرا سلك بالسفينة طرق النجاة ، وجنبها التعثر والانزلاق ، ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ...

وحق للشعب المغربي أن يملأ الدنيا سرورا وابتهاجا بهذه الذكرى السعيدة ...

وان الشعب ليجدد ثقته بمليكه المفدى ، مستبشرا بهذا العيد السعيد ، سائلا المولى جلت قدرته أن يطيل عمر مولانا امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني فى عزة وسؤدد ، ورضوان من الله ورسوله ، وان يجعل ايامه اعيادا ، وان يحفظه ذخرا لشعبه الكريم ، وحصنا للاسلام والمسلمين ، وأن يقر عينه بولي عهده الامير المحبوب سيدي محمد ، وشقيقه الامير السعيد مولاي رشيد والاسرة الملكية الشريفة ...

وحفظ الله بعنايته ورعايته الشعب المغربي والشعوب الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها . كما نسأله سبحانه أن يخلص الصحراء المغربية وأرض فلسطين من أيدي الغاصبين ، وأن يمطر شآبيب رحمته ورضوانه على المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه ، وجعل الجنة متقلبه ومثواه .

القنيطرة : عبد الفتاح امام

1394 هـ
1974 م

سنة طافحة بأعمال جليلة بناءة، ومبادرات ذكية سريعة

في نضال ملك وشعب

من أجل تحرير الصحراء، وافتكاك الأراضي المغتصبة والجيوب السليبة من الوطن العزيز

توجيهات ملكية سامية، وصرخة مدوية ضد الوجود الاستعماري يطبعها الصدق والتفاني في خدمة الوطن، وتوحيد اجزائه.

توجيهات سامية، ومقتطفات مضيئة، واقباس وهاجة وعناوين بارزة في نضال عرش وشعب للدفاع عن صحرائنا المغتصبة نسوقها ثمارا دانية القطوف في ملف الصحراء لتؤكد في وضوح عزم الامة المغربية على خوض غمار معركة مضمونة النتائج، مامونة العاقبة ... وهي، ايضا، بيان واضح من طرف صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني حفظه الله الذي يرسم للحاضر الزاهي ويخطط للمستقبل الواعد بتوفيق ورعاية من الله وتاييد من شعب مخلص وفي اقسم ان يترسم خطاه، ويذود عن حمى وحدة التراب الوطني، وتحرير الاجزاء المغتصبة، وافتكاك الجيوب السليبة ..

تصريح المغفور له محمد الخامس أمام الجنرال فرانكو عند افتتاح المفاوضات المغربية الاسبانية بمدريد يوم الخميس 5 ابريل 1956 «23 شعبان 1375 هـ»

« وغني عن البيان ان علاقتنا الجديدة ستبنى على امتن الاسس واثبتها اذا ما تحققت مطامح الامة المغربية في الوحدة تلك الوحدة التي تضمنها

المعاهدات ضمانا صريحا ، وغير خاف ما خلفته تجزئة الارض المغربية الى مناطق من المصاعب والمشاكل المادية والمعنوية فى حياتنا السياسية والاقتصادية ، ونحن متيقنون بان اسبانيا التي وقفت بجانب المغرب فى أحرج الاوقات ستلبي هذه الرغبة لما عهدناه فيها من أريحية وشمم ، وان المغاربة لينتظرون بتلهف من هذا الاجتماع التاريخي ان يزيل من داخل أرضهم تلك الحدود والفواصل التي هي رمز لعهد قد تصرم : عهد الحجر والحماية ، وان الاعتراف بوحدة التراب المغربي فى دائرة الاستقلال لا يتنافى مطلقا مع احترام مصالح اسبانيا والاسبانيين المستوطنين بالمغرب .

* * * * *

نستنكر المناورات الاستعمارية على أرضنا

وما تزال الدول المستعمرة تواصل احتلال اجزاء كاملة من اقطار تتمتع بسيادتها وكثيرا ما تخلق دولا مصطنعة وهذا التعدي على وحدة تراب بلاد مستقلة عضو فى الامم المتحدة خلق جوا من الاحتلال والاستفزاز ويكون تهديدا دائما للامن والسلم ، ففي المغرب مثلا تستمر اسبانيا فى احتلال جهات كاملة فى جنوب بلادنا (الساقية الحمراء - ايفني - ووادي الذهب) كما تحتل قطاعات من شمال مملكتنا .

« ونحن نستنكر هذه المناورات الاستعمارية التي لا تهدف الا للابقاء على الوجود الاستعماري فى شكل جديد ، وليس المغرب مع الاسف هو البلد الوحيد الذي ذهب ضحية هذه المناورات التي قام بها الاستعمار فى ابريان الغربية وكوا والبريمي ، واننا نؤكد لها عطفنا وتاييدنا فى كفاحها للمحافظة على حريتها ووحدة ترابها » .

من خطاب جلالة الملك الحسن الثاني يوم 8 شتنبر 1961 فى مؤتمر بلغراد لدول عدم الانحياز .

* * * * *

ستعود لنا أرضنا

« ،، نقول لكم ايضا على انه لا بد لنا من الصبر ونقولها هنا ونكرر ان الاراضي المغتصبة ستعود الى المغرب ان شاء الله ، ففى اليوم الذي تاسست فيه الحركة الوطنية المغربية مثلا حوالي 1935 هل كان مؤسسوها يفكرون اذ ذاك ان الاستقلال سيعلن فى ذلك الظرف ؟

لا بطبيعة الحال فقد طالبوا بالاستقلال والاصلاحات سنين واعواما ، واتم الله نوره بعد مرور 23 سنة من ذلك فى 20 غشت 1953 ، يوم امتدت يد المستعمرالى محمد الخامس ونفته ، فى ذلك اليوم بالذات استقل المغرب وهل استقل المغرب خلال مطالبتنا مدة 25 سنة بالاستقلال وهذا الاعتبار يطبق ايضا على اراضينا فى الصحراء » .

من خطاب جلالة الملك الحسن الثاني يوم 1 نوفمبر 1961 بمناسبة يوم التضامن مع الجزائر الشقيقة .

* * * * *

التشبث بالارض

« .. على ان هذا كله لم ينسنا تشبثنا الدائم بتحرير جميع الاجزاء المغتصبة من وطننا فى الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وان استمرار تآمر الاستعمار على اقاليمنا الجنوبية وبقية الاقاليم المغتصبة من وطننا ، ومساعيه لفصلها عن الوطن لن يفل عزمنا القوي وعزم مواطنينا هناك على مواصلة العمل لتحريرها واسترجاعها » .

من خطاب جلالة الملك يوم 3 مارس 1962 بمناسبة عيد العرش .

* * * * *

الى رعايانا فى الصحراء
لستم نسيا منسيا

« واي مغربي ، مغربي ، يذكر طرفاية دون ان تتعدى انظاره الحدود المختلفة لترى ما فوق الربى وما فوق رمال الارض المغتصبة وليحن القلب الى الرعايا والسكان المخلصين فى الصحراء المغربية التي اقول لاهلها : « لستم نسيا منسيا ولا بعيدين عن افكارنا ، وقلوبنا ، ولكن الطريقة التي اتبعناها والسياسة التي خططناها وان كانت صامتة ليست متناقضة مع عزيمتنا القوية على ان نربط الصلة ونصل الرحم من جديد مع رعايانا وابنائنا سكان الصحراء » .

من خطاب جلالة الملك يوم 23 مارس 1972 .

سننتصر .. لان سكان الصحراء كلهم عرب ..

« وفيما يخص مدننا المغتصبة لا بد ان نؤمن انها ستعود الينا ولنا ان نعمل من اجل هذا واذا لم تكلل جهودنا بالنجاح عاجلا فانني على يقين من ان الله سبحانه وتعالى سيحقق مساعينا ولا شك ، المهم ان يكون كل مواطن منا سواء كان رجل الشارع او مسؤولا او وزيرا او ملكا مرتاح الضمير وانه يشعر انه عمل ما في وسعه لتحرير اطراف بلاده واذا سرنا بثبات وحكمة وبايمان سيزداد انطباعا فى قلوب اخواننا سكان الصحراء المغربية لنتعاون معا .

ويقيننا ان الاسلام سينتصر والعروبة ستنتصر لان سكان الصحراء كلهم عرب ومن شيمة العرب ان لا يسمح للمستعمر وعملائه ان يتحكموا فى رقابه وحريته وامواله » .

من خطاب جلالة الملك .

.....

محاولاتنا من أجل الحق

« وامتازت السنة الماضية بخلق اجواء ملائمة لتحسين علاقاتنا باسبانيا تمهيدا لحل المشاكل القائمة ، واوفدنا ممثلنا الشخصي وزير خارجيتنا الى الديار الاسبانية خلال شهر اكتوبر ، واستقبل من طرف فخامة الجنرال فرانكو رئيس الدولة الاسبانية والمسؤولين فى حكومته استقبالا وديا ، ويتمثل هذا التحسن ايضا فى الزيارة التي قام بها نائب رئيس الدولة الاسبانية الجنرال منيوس كراندبس الى المغرب .

وهذا جميعه يعتبر خطوات مشجعة فى سبيل تصفية مخلفات الماضي واقامة علاقات المغرب واسبانيا على اسس جديدة » .

من خطاب العرش 3 مارس 1963

بعد ثلاث سنوات ، جلالة الملك يدخل ايفنى دخول الابطال
ايفنى تدين لجلالته برجوعها الى حظيرة الوطن
هبية ملكية ، لانجاز عدد من المشاريع فى ايفنى

« اننا نريد انتبلغـوا سكـان ايفني ، وسكـان آيـت باعمـران كلهم ، تاثرنا العميق وان الذاكرة لترجع بنا الى روح والدنا المقدس ـ طيب الله ثراه ـ محمدالخامس ، محرر هذا الوطن . ذلك ، اننا كنا مؤمنيـن بان روحه الطيبة ، وروح جميع المناضلين الشهداء الذين استشهدوا على هذه الارض ، تبتهج معنا ، وتفرح معنا ، وتسعد معنا ، وتبتسم الى الغد المشرق البسام . نعم ان هناك المشاكل للادماج . علينا ان لا ننسى انه طيلة قرن ، او ما يقرب من قرب ، بقينا معزولين . فلا يمكن بين عشية وضحاهـا ان تنمحي تلك الصعاب ، ولا تلك العقبات ، ولكن يكفينا ان نكون واعين بها ، حتى لا يكبرا ولادنا وهم يعيشون فى هذه العزلة المختلفة .

فعلينا اذن ان نهيمن باسم الله ، وان ندخل البيت الجديد قائلين : باسم الله والقدم اليمنى تفاؤلا ، واقتباسا لما كان يعمله ويصنعه جدنا محمد عليه الصلاة والسلام . واخيرا ارجو منكم ان تبلغوا تحياتنـا الى سكـان الاقليم ، وبهذه المناسبة ، ابلغ سكان المغرب قاطبة ، افتخاري واعتزازي، وحمدي لله ، وتواضعي أمام جلاله ، لكونه انعم علي بان اكون ثاني الفاتحين لهذه البقعة . اعاننا الله جميعا ، وسدد خطانا والهمكم التوفيق والرشـاد . والسلام عليكم » .

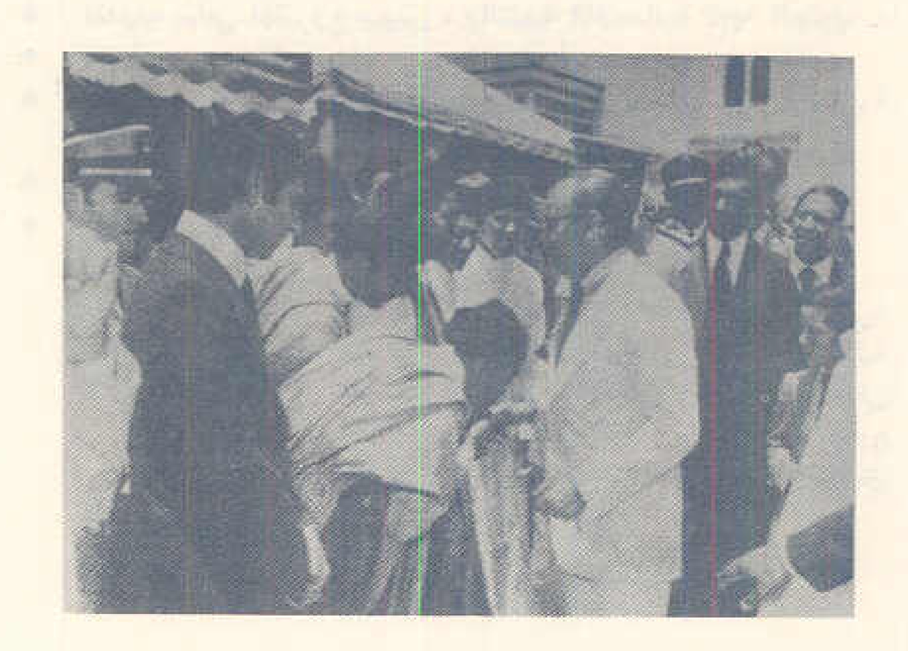
من الكلمة التي القاها جلالة الملـك الحسن الثاني ـ نصره الله ـ اثناء اجتماعه بأعضـاء المجلس البلدي بايفني ، حيث سلمهم هبـة سامية ، وذلك يوم الخميس 4 ربيع الثانـي عام 1392 هـ ، الموافق 18 ماي 1972 م .

.....

من الخطاب التاريخي لصاحب الجلالة ، فى نهاية رحلته الموفقـة لاقاليـم الجنـوب :

حامى حمى الوطن يقول لسكان صحرائنا المغتصبة :

- **لستم نسيا منسيا ، ولستم بعيدين عن قلبنا وافكارنا**
- **سنربط الصلة من جديد ، مع رعايانا فى الصحراء المغتصبة**
- **حلقات للنمو الاقتصادي الشامل فلاحيا ، صناعيا ، سياحيا :**



وفـــاء وولاء .. مـــن أبنـــاء الصحـــراء



دعـــوة للنضـــال من أجـــل التحريـــــر ...

- مندوب سامي لمشروع سوس ، والتنمية الاقتصادية لجهة الجنوب .
- بناء سد للادخار .
- خضراء ... من ورزازات الى البحر، ومشاريع كفيلة بالتقدم الشامل ، والانتاج الوفير .
- اتصور اكادير غنية دائبة الى الامام .
- الزيادة فى بعض المشاريع ، وخاصة بالنسبة لاقليم طرفاية .

تلك هي اهم النقط من الخطاب الملكي السامي، فى نهاية رحلته التاريخية الى اقاليم بني ملال، خريبكة ورزازات ـ اكادير ، ايفني ، وذلك فى اجتماع ترأسه حفظه الله فى اكادير ، يوم الثلاثاء 9 ربيع الثاني عام 1392 هـ ، الموافق 23 ماي 1972 م .

.....

جلالة الملك يودع الرئيس الموريطانى ولد دادة ،
بعد زيارة استغرقت 16 ساعة

- المغرب وموريطانيا يعملان من اجل بناء المغرب الكبير
  جلالة الملك يخاطب رجال الامن :
- املي ان تكونوا واعين لمسؤولياتكم .
- هذه البذلة اعطتكم سلطة ، وتعطيكم واجبات .

يوم السبت 3 جمادي الثانية 1392 هـ ، الموافق 15 يوليوز 1972 م .

.....

أقسامنا أن نحرر بلادنا فحررناها ،
وأقسمنا أن نوحد أطرافها ،
وها نحن سائرون فى طريق التوحيد

« ... وأملنا ان يبقى الائتلاف بين الارواح ، وهذا التلاقي بين القلوب، حتى نبني على اسسها مستقبلا زاهرا ، وحتى نبني قلعة من الكرامة والمناعة والخير والاستقرار ، نرد بواسطتها كيد الكائدين . قال النبي (صلعم) : ان لله رجالا لو اقسموا على الله لابرهم . فانا اقول : ان لله شعوبا ، لـو

اقسموا على الله لابرهم . لقد اقسمنا على الله ان نحرر بلادنا فحررناها ، واقسمنا على الله ان نوحد اطرافها ، وها نحن سائرون فى طريق التوحيد . كما اقسمنا على الله ان نعطي لهذا البلد ، ولهذا الشعب اطارا مبنيا على القانون والمشروعية والمساواة فى الحقوق والواجبات ... وقد اقسمنا على الله وعلى انفسنا ان نبقى سائرين فى هذا الطريق ، وان الله سبحانه لا يخيب املنا ، بل سوف يحقق رجاءنا ان شاء الله)) .

من الخطاب الذي القاه جلالة الملك الحسن الثاني ـ نصره الله ـ قبل ان يغادر مدينة اكادير ، امام ممثلي الاقاليم ورجال السلطة ، شكرهم فيه على حسن الاستقبال ، واوصاهم بالمواطنين خيراء والاعتناء بالسكان عناية خاصة،

.....

ندوة جلالة الملك الحسن الثانى حول الصحراء

يوم 17 شتنبر 1974 ، كان موعد الصحافة الدولية مع ندوة جلالة الملك الحسن الثاني حيث اعلن جلالته فى هذه الندوة الصحفية ان المغرب عرض على منظمة الامم المتحدة وعلى اسبانيا رفع القضية امام محكمة العدل الدولية لتقول كلمة الفصل فيها بناء على الوثائق والمستندات التاريخية والقانونية ، وقال جلالة الملك انني اعتمد على حكمة جميع اعضاء منظمة الامم المتحدة وعلى راسها الامين العام كما اعتمد على رئيس الدورة الحالية للجمعية العامة السيد عبد العزيز بو تفليقة .

وفى بداية البيان الذي قدمه جلالة الملك فى مستهل الندوة والذي استغرق عشرين دقيقة ، قدم جلالة الملك عرضا عن تطور النزاع المغربي الاسباني حول الصحراء المغربية منذ الاستقلال الى الان .

وقال جلالة الملك : ان مطالبة المغرب بتلك المنطقة كانت قبل اكتشاف الفوسفاط الذي يعتقد البعض ان المغرب مهتم به ، وقال جلالة الملك ان الفوسفاط لا يهمنا ، فالمغرب يابى عليه ضميره كسب المال على حساب البلدان غير الميسورة .

واعلن جلالة الملك ان المغرب قرر عدم ادخال تغيير على ثمن الفوسفاط وانه سيتخذ موقفا خاصا تجاه البلدان غير الميسورة وسيواصل تزويد زبنائه التقليديين وسيقدم مساعداته للبلدان الافريقية .

وبعد ان رحب جلالة الملك بالصحفيين القادمين من مختلف عواصم العالم أجاب جلالته على اسئلة الصحفيين والتي بلغت ثلاثين سؤالا فى مختلف المواضيع التي تهم المغرب والصحراء والوضع العربي والافريقي والاسلامي والدولي وقد استغرقت الندوة تسعون دقيقة .

.....

تضحيات المغرب

وهناك ما ليس بالحوار .. !

واثناء مؤتمر نواذيبو الذي حضره اصحاب الفخامة رئيس الجمهورية الجزائرية السيد الهواري بومدين ورئيس الجمهورية الاسلامية الموريطانية السيد المختار ولد دادة ، كان البلاغ بسيطا وواضحا جدا حيث انه اشار الى تصفية الاستعمار والتحرير ، وكان من الطبيعي ان تكون الدول الثلاث المحيطة بالصحراء الدول الاولى بتقديم العون والمساعدة لسكانها للتخلص من ربقة الاستعمار ، الا ان الامور لم تتطور بهذا الشكل ، ومع كامل الاسف فان هذه الاستشارة للدول الثلاث حول تصفية الاستعمار بدأت تخلق عند جيراننا الموريطانيين شعورا بالمطالبة وابتداء من هذه اللحظة بدانا نفكر ودعوت لعقد مؤتمر اكادير وحرصت على استعمال واجبهما وبالضبط فلانني احترمهما واحبهما وبعثت لهما الخطاب التالي مع صديقين لي احترمهما حرصت على ان اكون صريحا معهما قائلا لهما :

« لقد تحملت كثيرا لتحسين علاقاتنا معكما ، واذا كانت هناك دولة افريقية قدمت تضحيات كثيرة من اجل تحسين علاقاتها مع الجزائر وموريطانيا فهي المغرب ، واني لذلك لا اريد ان تذهب هذه الجهود سدى وان يتحطم كل ذلك بسبب قضية الصحراء ، ولذلك فسوف نسترجع حريتنا فى العمل فيما يخص تحرير هذه المنطقة » .

وكانت النتيجة ان تلقى مندوبنا لدى الامم المتحدة فى تلك السنة نفسها الامر القاطع بالامساك عن التصويت المتعلق بقرار تقرير المصير ، وذلك لان الاطراف المعنية بالنسبة لي لم تعد معنية ايديولوجية غير ان ذلك اظهر بشكل خفي ثم بوضوح ان الامر لم يعد يتعلق بالتحرير او تصفية الاستعمار ولكنه اصبح مسالة مطالبة .

وخلاصة القول فان كل ما ذكر يرجع الى التاريخ .

اذن ماذا سنفعل ؟ ليس هناك ستة وثلاثون حلا .

هناك الحوار ثم الحوار ودائما الحوار ، وهناك ما ليس بالحوار .

انمشكل الصحراء ومشكل فلسطين اذا ما طرحا معا سيكون من شانهما تشتيت جهود الدول العربية او تقليل اهميتها لان المشكلتين تختلفان تماما .

فبالنسبة للصحراء فان المشكل المطروح له صبغة جغرافية ذلك ان الامر لا يتعلق بطرد احد لاحلال آخر فى مكانه كما ان الامر لا يتعلق بخلق شيء من لا شيءاو سلب ذي حق حقه لاعطائه للغير بل كل ما هنالك هو رفع علم مغربي مكانالعلم الاسباني على البنايات الادارية .

وهناك يعتبر المشكل بسيطا ولا يشكل اي بعثرة للجهود ان المشكل الفلسطيني هو مشكل قائم بذاته واني فلسطيني بقلبي واكاد اقول : ايتها الملائكة ساعدوني ولكن لا تساعدوني جميعا فى ءان واحد . فهناك الكثير من الدول العربية ترغب كل واحدة منها ان تساعد الفلسطينيين بصورة مباشرة وانا لو كنت فلسطينيا فعلا وكنت معينا مثلهم سواء بالقرعة او الاختيار لاخترت ثلاثة او اربعة بلدان فقط واعطيها تفويضا بصفة استثنائية او دائمة وشاملة لمتابعة قضيتي امام المحافل الدولية وامام التجمعات الاقليمية . وان الامر يعود اليهم فى اختيار المدافعين عنهم ويتمكنوا من تفويضها عن طريق الجامعة العربية ، وآنذاك فان جميع ملائكة الجنة لن يساعدوهم فى ءان واحد بل سيقوم البعض منهم بهذه المساعدة .

وان اختيار اثنين او ثلاثة من الانصار يعملون بواقعية وتجرد هو فى نظري اضمن طريق واسرعه لتجسيم القضية حيث ان المشكل الفلسطيني وجوانبه وابعاده معروفة الان ، بل واكثر من ذلك فان عزيمة الشعب الفلسطيني على الصعيد التاريخي معروفة ايضا ، والجميع يعرف الان انه بدون حل هذا المشكل لا يمكن تسوية ازمة الشرق الاوسط ، فكيف يمكن تسويته ؟ وما هي المرحلة التي يمر بها ؟ اني ارى ان مبدا الحوار وقد بداوا بالفعل فتح هذا الحوار مع الاتحاد السوفياتي حيث يجب ان نقول ان كل تسوية يتعين تحقيقها فى الشرق الاوسط ينبغي ان تنظر بعين الاعتبار الى الدولتين الكبيرتين ولا يمكن تجاهل احداهما دون الاخرى ، انهم بداوا الحوار مع الاتحاد السوفياتي ، ولا يسعني الا ان اشجعهم على فتح حوار مع الولايات المتحدة اذ انه لا يمكنهم ان يتجاهلوها ، اذن السؤال المطروح هو كيف وبواسطة من واين فهذا الامر يهمهم لكنه فى جميع الحالات يجب عليهم ان يفعلوا ذلك .

من ندوة صاحب الجلالة حول الصحراء .



صاحب الجلالة مع أعضاء الاحـــزاب السياسيـــة



صاحب الجلالة مع رجال الصحراء فى جلسة عمل

ج لقد سبق لي القول ان التزامات المغرب ستبقى كما هي ، ولكن من المؤكد وبدون حكم مسبق على القرار الذي ستتخذه محكمة العدل الدولية ، فان الطريقة التي ستجري بها المناقشات بين اسبانيا وبيننا على هذا الصعيد اي على صعيد المسطرة والارادة التي ستعرب عنها تجاهنا ستؤثر جدا على طبيعة وعمق العلاقات التي ستربطنا معها . فاذا شعرنا بان هناك ارادة دائمة وصريحة من طرف اسبانيا من اجل الحوار مع المغرب ، فان مقترحاتي يوم الثامن يوليوز ستبقى مستمرة بنصها الكامل .

ومن الاكيد انه اذا استعدنا صحراءنا بعد مواجهة مسلحة ومرهقة وطويلة مع اسبانيا فانني ساكون آنذاك حرا فى مراجعة موقفي ليس مع اسبانيا فقط ، واقول هذا بصفة خاصة امام اصدقائي ، الصحفيين الالمانيين .. اني حريص على ان تحترم المصالح الالمانية التي استثمرت فى الصحراء لانه بالنسبة لي ليس هناك فقط المصالح الاسبانية بل مصالح كل المجموعات المالية التي استثمرت فى الصحراء وفى الفوسفاط . ولا اجد افضل دليل على ذلك من الطريقة التي توصلنا بها الى حل خلافاتنا ومشاكلنا مع الحكومة الفرنسية ، وكان ذلك بكامل الاحترام لالتزاماتنا واحترام الملكية ، والاستثمارات . وافضل من ذلك .

فاذا ما احترمت السيادة المغربية على هذه الاراضي وانا على يقين من انها ستحترم ــ فان هذه الاستثمارات التي وظفت ستدخل فى اطار قانون الاستثمارات وقانون الاستثمارات فى بلادنا الذي هو فى متناول الجميع من طبيعته ان يضمن جميع المصالح وجميع الاستثمارات لجميع الدول التي انفقت بعض المال فى هذه المنطقة .

نبذة من الندوة الصحفية لجلالة الملك
حول الصحراء ...

.....

ان المغرب لا يتردد فى اتخاذ طريقة أخرى
بالرغم عنه ومتباسعا .

« نحن لا نتخوف من الاستفتاء وتقرير المصير ولا نتهرب منها ، بل نحن اول من دعا اليهما فى يوم من الايام معتمدين قبل كل شيء على عنصرين :

الاول : ايماننا وثقتنا بان اولئك المغاربة الذين ما يزالون تحت السيطرة الاسبانية لا رغبة لهم الا الرجوع الى حظيرة الوطن .

الثاني : لا بد من اجراء استفتاء كهذا في جو ملائم وتحت ضمانات دولية ورقابة دولية بعد جلاء القوات والادارة الاسبانية .

فنحن كما نقول غير متخوفين من الاستفتاء ، ولكن لنا شروط :

الاول : هو تطبيق قواعد الاستفتاءات الدولية.

الثاني : ان يكون المغرب موافقا على صيغة سؤال الاستفتاء ، لان سؤال الاستفتاء اما ان يجعلنا نقبل او نرفض مبدا الاستفتاء .

فمثلا اذا طرح مشكل استقلال الشعب الصحراوي فان المغرب سيرفض تماما مبدا الاستفتاء .

فاذا ذكر في الاستفتاء لفظ الاستقلال ساطلب بان يطبق الاستفتاء على الصحراويين كلهم ، فكل من هو صحراوي وجاء من صنهاجة او من اي مكان آخر يجب ان يطبق عليه الاستفتاء .

اذن فلا يعقل ان لا يطبق لفظ الصحراوي سوى على الخمسة والعشرين الف او ثلاثين الف شخص ، لماذا لانهم في ارض تقف في الحقيقة في وجه عدد من الاطماع وتقع على المحيط الاطلسي ، ويوجد عدد من الدول تريد ان تكون لها هناك موانىء وتكون فيها بالنسبة لهم منطقة قوى .

واذن فالمغرب غير مستعد مطلقا لان يضحي مرة اخرى بشبر من ترابه.

فاذا كانت هناك في الحقيقة دولة قدمت المثال على تشبثها بالوحدة الافريقية وبالاسرة الافريقية وتسهيل الامور على افريقيا ، والتي اعطت في الحقيقة امثلة من التضحية فانني اتحدى اية دولة افريقية ان تكون اعطت ما اعطى المغرب من الدلائل ومن البراهين ومن الارادة على اقامة علاقات طيبة مع جميع الدول الافريقية .

وكنا نفسر للسادة اصحاب الجلالة والفخامة الملوك والرؤساء الذين زارتهم وفودنا بان المغرب ولو انه يفضل الطريقة الديبلوماسية والسياسية السليمة على اية طريقة اخرى فانه اذا راى ان هذه الطريقة لن ترد له اراضيه فسوف لا يتردد في اتخاذ طريقة اخرى بالرغم عنه ومتاسفا ولكن في آن واحد موطد العزم ومقرر انه لن ترده اية تضحية من التضحيات » .

من خطاب جلالة الملك يوم 20 غشت 1974

برقية جلالة الملك الحسن الثاني
الى الجنرال فرانكو

« فخامة الرئيس ، ان المذاكرة التي دارت بين السيد كورتينا موري وزير الشؤون الخارجية وسفيرنا لدى فخامتكم لتنذر بان اسبانيا مقبلة على الشروع فى نهج سياسة جديدة فى الصحراء التي تديرها »، ولا يجدر بنا ان نخفي عليكم انه اذا ما تحقق ذلك سيفضي بنا الوضع الى تدهور فى العلاقات القائمة بيننا الامر الذي ما فتئنا نتجنبه ، يقينا منا بان ما يقتضيه حسن الجوار بين اسبانيا والمغرب وما تقتضيه المصالح العليا المشتركة بيننا من شانه ان يجنبنا كل سوء تفاهم وكل تصادم واي عمل تقوم به اسبانيا على انفراد فى المناطق الصحراوية سيضطرنا لا محالة الى السعي من اجل ضمانة حقوقنا المشروعة .

وانا وحكومتنا لنحتفظ لانفسنا بحق القيام بما قد يقتضيه الموقف ولا نزال موقنين بان الصداقة العريقة ستعرف مرة اخرى باتفاق مع جلالتنا كيف تحافظ على الصداقة العريقة فى القدم التي تربط بلدينا احدهما بالآخر والتي تكون بالنسبة لاسبانيا وبالنسبة للمغرب على السواء تراثا خليقا يضمن مستقبلا مشتركا ، وتفضلوا فخامتكم بقبول اصدق عبارات التقدير والسلام ...

وحرر بالقصر الملكي بالرباط فى يوم الخميس 13 جمادى الثانية 1394 الموافق 4 يوليوز 1974 ، الحسن الثاني ملك المغرب .

*****

البلاغ المشترك المغربي الاسباني

طبقا لما تم الاتفاق عليه عقب تبادل الرسائل بين جلالة الملك الحسن الثاني وفخامة الجنراليسمو فرانسيسكوفرانكو حل بمدريد يوم 12 غشت 1974 وفد حكومي مغربي برئاسة الوزير الاول السيد احمد عصمان مرفوقا بوزير الدولة المكلف بالشؤون الخارجية الدكتور احمد العراقي وقد استقبل الوفد المغربي صباح يوم 13 غشت من قبل صاحب السمو الملكي الامير دون خوان كارلوس دوبوربون رئيس الدولة بالنيابة ، وعقب ذلك اجريت بمقر رئاسة الحكومة محادثات مع وفد اسباني برئاسة السيد كارلوس ارياس نفارو رئيس الحكومة وعضوية وزير الشؤون الخارجية السيد بدرو كرتينا مورى ووزير الرئاسة السيد انطونيو كارو مرتينيز .

وقد جرت جلسات العمل فى جو من الود يناسب الاواصر التي اوجدها الجوار الجغرافي التاريخي بين القطرين ، واتاحت هذه المحادثات

فرصة للوفدين لدراسة القضايا الرئيسية التي تهم المغرب واسبانيا والتي كانت تتطلب تبادل وجهات النظر لحسن ادراكها ودرسا اساسا قضيـــة الصحراء المغربية ، ولقد كانت المحادثات مفيدة ، تبادل الطرفان خلالها اراءهما بالصراحة التي توجبها العلاقات التقليدية التي تربط البلدين .

.....

من البلاغ التونسي المغربي

بعد زيارة الوزير الاول السيد احمد عصمان لتونس (28 غشت 1974).

واتكب الجانبان باهتمام خاص على بحث مسالة المناطق الصحراوية الخاضعة للادارة الاسبانية ، واعلن الجانب المغربي تمسكه الشديد بحقوقه المشروعة فى هذه المناطق كما اثبت التاريخ والمعاهدات الدولية ذلك ، وبعد الاستماع بتفهم وعطف لايضاحات الجانب المغربي جـــدد الجانـــب التونسي تاييده ايمانا منه بضرورة انهاء نظام الادارة الاسبانية ومساندتــه للجهودالـتي يبذلها المغرب من اجل تحرير هذه المناطق .

.....

تصريح للسيد حسن التهامي

الامين العام لمؤتمر العالم الاسلامي بعد مقابلته لجلالة الملك (18 يوليوز 1974) . تشرفت بمقابلة جلالة الملك وكما هي العادة وكما تعودت استمعت الى جلالته وهو فى منتهى الصراحة الهادفة والجراة والرجولة فى اتخاذ القرار ، ومن واجبي ان اقول : انني بلقائي هذا استوضحت نقاطا فى غاية الاهمية بالنسبة لمستقبل الصحراء المغربية وان شاء الله رب العالمين املي كبير وايماني قوى بحق المغاربة فى الصحراء ورغبة اهلها وسكانهـــا فى التمسك بدينهم وارضهم ووحدة اراضيهم هذا الى جانب املي الكبيـــر فى انقطاع اسبانيا على هذا الشعور والرغبة فى استمرار الصداقة التاريخيـة والعلاقات الاخوية وليصبح المغرب الشقيق واسبانيا دولتين قويتين بدلا من المواجهة ، وارجو ان يوفقنا الله سبحانه وتعالى بان امهد لهذا الحل .
والله الموفق اولا واخيرا .

وصرح عند مغادرته المغرب يوم 14 غشت بما يلـــي :

الحمد لله الذي وفقنا للسعي فى حل هذه القضية قضيـــة الاستعمـــار للصحراء المغربية فمنذ مؤتمر كولا مبور ونحن نشعـــر بضرورة مغـــادرة الاسبان لهاته الارض العزيزة وفى جميع اتصالاتي قد توصلنا مع الذيـــن اتصلنا بهم الى مفاهيم دقيقة .

اولا : اعتراف الجميع بضرورة مغادرة الاسبان لهـذه الارض وبان الاسبان انفسهم مقتنعون بالجلاء عن الصحراء

ثانيا : ما من احد من الذين اتصلنا بهم يوافق اطلاقا على اقامة ما يسمى بدويلة صحراوية ، ولا الجانب الاسباني .ومن هنا اقول بضرورة ارجـاع الحق الى اهلـه .

ثالثا : كانت مهمتي هاته فرصة لالتقاء الفكر الاسلامـي والعربـي والافريقي والعالمي حول ضرورة عودة اهلنا الى اراضيهم .

.....

رسالة الجنرال عيدى أمين

اخي فخامة الرئيس : ان اخانا وزميلنا رئيس دولة المغرب جلالـة الحسن الثاني اتصل بي في موضوع خطير يتعلق بالوضع الاستعمـاري الاسباني ، وقد اخبرت ان اسبانيا على الرغم من الضمانـات التي كـان المغرب قد التزم بها تواصل حاليا سياسـة تستهـدف خلـق دولـة وهمية وهو ما تطلق عليه ــ الصحراء الاسبانية ــ مع منحها استقلالا ، مع العلم ان المنابع الانسانية لهذه المنطقة لا يمكن ان تجعل تلك الدولة معقولة.

وزيادة على المطالب الملحة للمغرب في هذه المناطـق فان هدف السياسة الاسبانية حاليا معروف الا وهو استعمال هذه المنطقة كقاعـدة استراتيجية للدفاع عن الجزر الساحلية المقابلة لها والتي الحقتها بها في عز عهودها الاستعمارية .

واخلص الى اني آمل ان اثير انتباهكم الى هذه الوضعية الخطيرة ، وان على منظمة الوحدة الافريقية ان تصرح بان ما يدعى ــ الصحراء الاسبانيةـ والجزر الساحلية المقابلة لها جزء لا يتجزأ من القارة ، وينبغي ان تسجل هذه القضية كقضية تحرير تضيفها لجنة التحرير الى المشاكل المسؤولة عنهـا .

وتقبلوا فخامة الرئيس اخي عبارات تقديري .

.....

تصريح للرئيس سنغور

اعلن الرئيس السنغالي ليوبولد سنغور يوم 8 غشت 1974 في ختام زيارته لبلادنا « انه نظرا لاعتبارات تاريخية وجغرافية وثقافية ودينية اعتبر قضية المغرب نوعا ما قضية سنغالية وقال انني بدات اشرح وجهة نظـر المغرب وحقوقه وسوف اواصل هذه المهمة .

واكد الرئيس فى تصريح له قبل امتطاء الطائرة « بان المغرب بالنسبة له ليس بلدا مجهولا ، عكف على دراسة تاريخه وما قبل تاريخه الامر الذي جعله يلم بالخطوط الكبيرة للقضية ، ولكن منذ بداية الحمله الدبلوماسية يقول الرئيس السينغالي استكملت معلوماتي فى الموضوع » .

* * * * *

تصريح للسيد ياسر عرفات

فى هذا الظرف الدقيق الذي تمر به القضية الفلسطينية بشكل خاص والقضية العربية بوجه عام جئت لأتباحث مع صاحب الجلالة في هذه الامور والتشاور معه ، واستطيع أن أقول ان المحادثات كانت ودية ومثمرة وناجحة وقد وجدت لدى صاحب الجلالة كل تجاوب النسبة لجميع القضايا التي تباحثت فيها مع جلالته ، وبهذه المناسبة اقول ان الصحراء المحتلة من قبل الاسبان هي جزء من الوطن العربي وأقول اننا على استعداد لنساند ونساعد اخواننا هنا بحيث ان لدينا خبرة واسعة فى حرب العصابات وسنضع هذه الخبرة رهن اشارة اخواننا فى المغرب .

في يوم 20 يوليوز 1974 قدمت وفود تمثل قبائل الصحراء الركيبات ـ تكنة ـ اولاد دليم ، والقى باسمها القبطان باعلي الشيخ من الركيبات الخطاب التاريخي التالي :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ،

مولاي صاحب الجلالة والمهابة .

انه لشرف عظيم ان تحضى جماعة من خدام العرش العلوي المجيد بالتشرف بتقبيل يديكم الكريمتين والمثول امام سدتكم العالية بالله مجددين لجلالتكم باسمنا وبالاصالة عن اخواننا الصحراويين آيات الولاء والاخلاص معاهدين الله وجلالتكم على العمل بجد واخلاص وتفان بقيادتكم الرشيدة ونظركم البعيد وتخطيطكم الهادف البناء فى سبيل تحرير هذه الامة من مخلفات الاستعمار والسير بها الى مدارج الرقي والمجد بناءا وتشييدا وعلما وعملا اقتصاديا وثقافيا لافرق فى ذلك بين حاضرها وباديها .

وان ابناء الصحراء وفى مقدمتهم علماؤها وصلاحها ، الركع السجد على رمالها الطاهرة ليدعون لجلالتكم بدوام الملك والنصر والسؤدد معاهدين جلالتكم على السير قدما من ورائكم تمشيا على المبدا الذي وضعتموه فى سبيل تحرير ذلك الجزء الغالي من مملكتكم الشريفة والذي لا زال يعاني من الحرمان بالتمتع بالعودة الى وطنه الاب المغرب المستقل بسبب وجود الاستعمار الاسباني الذي لا يزال جاثما عليه فارضا وجوده بقوة الحديد والنار على رعايا جلالتكم فى تلك الصحراء المجاهدة التي يتطلع ابناؤها للتملي بطلعة جلالتكم يوم تحريرها من وجود الاجانب الدخلاء .

مولاي صاحب الجلالة لقد وقف الصحراويون عن بكرة أبيهم بعد سماع خطابكم التاريخي صفا واحدا منتظرين الاشارة من جلالتكم لبــدء العمــل التحريري مستعدين لبذل كل غال ونفيس فى سبيل ذلك .

واننا يا مولاي ورثنا الجد والجهاد والتفاني فى خدمة عرشنا وملكنا عن اجدادنا وآبائنا الذين قضوا نحبهم فداء وتضحية فى سبيــل العــرش العلوي المجيد .

مولاي ان تحرير الصحراء يتطلب العمل المنظم والمحاط بالسريــة الكاملة والابتعاد عن الانانية والحزازات الشخصية والتراشق بالكلام الفارغ.

فنحن كمسلمين لا يتم ايمان أحدنا حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه كما يقول جدكم رسول رب العالمين محمدبن عبد الله عليه الصلاة والسلام .

ومن واجبنا ان تسد كل ثغرة من شأنها فتح باب الخلاف او تشغلنــا بالمسائل الجانبية عن القضية الاساسية وهي تحرير صحرائنا المغتصبــة وصدق الله العظيم اذ يقول :

ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، على اننا يا مولاي على ثقة كاملة وعزم اكيد من تحرير جميع الصحراء لان جلالتكم لم تفه قط بشيء الهاما من الله الا واصبح محققا .

وها نحن خدامكم الاوفياء امام جلالتكم عاملين بتوجيهاتكــم الغاليــة وارشاداتكم السامية .

وختاما ندعو الله عز وجل لجلالتكم بالحفظ والسمو ودوام الصحة والعافية وطول العمر وان يرد كيد اعدائكم فى نحورهم ويحفظ ولي عهدكم الامير الجليل سيدي محمد وصنوه الامير الجليل مولاي رشيد والاميرات الجليلات وينبتهم نباتا حسنا تحت رعايتكم وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه ويكلل جهود جلالتكم فى سبيل تحرير الصحراء المغربية وتشييد بناء صرح المغرب بالعز والنجاح انه سميع مجيب والسلام على مقامكم العالي بالله .

.....

برقية الى جلالة الملك بعد التجمع الحاشد للنازحين من المناطــق المحتلة والمهرجان الذي اقاموه فى طنطان يوم 27 يوليوز 1974 .

— مولانا صاحب الجلالة السلام على جنابكم العالي بالله وبعد :

نتشرف نحن خدام الاعتاب الشريفة افراد جميع القبائل الصحراوية بأن ننحني بكل اجلال امام سدتكم العالية بالله لتجديد ولائنا واخلاصنــا الدائمين لشخص جلالتكم الشريفة وتعلقنا وتشبثنا باهداب العرش العلوي الخالد رمز وحدتنا وضامن كيان دولتنا المغربية الابية .

اننا يا صاحب الجلالة اذ نتقدم الى جنابكم العالي بالله بعميق شكرنا وعظيم امتناننا على العناية المولوية الكريمة التي ما فتئتم حفظكم الله تخصون بها رعاياكم الصحراويين الاوفياء لا يسعنا الا ان ننوه ونشيد بما تضمنه الخطاب الملكي السامي الذي تفضلت جلالتكم بالقائه بمناسبة عيد الشباب الماضي وخاصة ما يتعلق فيه بعزم جلالتكم الوطيد على استكمال وحدتنا الترابية باسترجاع صحرائنا المغتصبة ارض الاباء والاجداد وموطن الابناء والاحفاد معربين لسدتكم العالية بالله عن ارادة شعبكم الوفي والمستجيبة لرغباته ومطامحه فى ان تعود بيننا وبين اهلنا وذوينا الذين لا زالوا يرزحون تحت النير الاستعماري الغاشم فى كل من الساقية الحمراء ووادي الذهب .

ولئن كان الاستعمار الاجنبي قد مزق وحدتنا واحتل اراضينا جورا وعدوانا فان التاريخ يشهد وليس لشهادة التاريخ تبديلا ان صحراءنا مغربية وان الدماء التي تجري فى عروق كل صحراوي تنبثق من اصل مغربي عريق ولطالما سالت هذه الدماء الزكية منذ غابر احقاب التاريخ بكل فخر واعتزاز . فلا غرو اذن يا صاحب الجلالة والحالة هذه اذا استقر راي جلالتكم السديد ووطدتم عزمكم الاكيد على استكمال وحدتنا الترابية واسترجاع اراضينا .

الامضاءات :

الرقيبات ـ الزرقيين ـ آيت لحسن ـ بكوت ـ اولاد دليم ـ العروسيين ـ اولاد سليم ـ آيت يوسة ـ فيلالة ـ اولاد تيدرارين ـ فويكات ـ اولاد بسبع ـ أولاد الشيخ ماء العينين ـ تاجاكنت ـ توبالت ـ مجاط ـ الاميار ـ اولاد بواطة ـ ازواميط .



في عضون القرن الثامن عشر



للأستاذ المهدي البرجالي

شهد القرن الثامن عشر تحولات عالمية ، ذات صفة جذرية ، كانت بمثابة منطلق لما حصل من تطور شامل في العالم على الصعيد السياسي والحضاري ، وفي مضمار التوازن الدولي ، اثناء القرن التاسع عشر والقرن الحالي .

وقد كانت تلك التحولات ــ وهي ــ صادرة عن الغرب الاوروبي خاصة ــ ذات فاعلية كاسحة ، بحيث تداعت امامها خلال القرنين الاخيرين ، مختلف القوى العالمية ــ سياسية وحضارية ــ خارج النطاق الغربي على طرفي الاطلسي ، ولم تستطع الصمود بواجهتها ، الا قلة من الاقطار ، من بينها المغرب في افريقيا ، وبعض المناطق بالشرق الاوربي ، وبشرق آسيا في اطار محدود .

وقد كان موقف المغرب دقيقا وحساسا جدا في ذلك المشتبك الدولي، المعقدة عوامله وآفاقه ، الا ان بلادنا قد استطاعت ــ على اى ــ ان تجتاز اشواط المرحلة بكل الثقة الموفورة للبلد الاصيل الثابت ، وامكنها ــ طي ذلك ــ ان تقيم لنفسها مركزا له وزن اساسي في تفاعلات الحياة الدولية حينئذ .

في السطور التالية نستعرض بعض مظاهر هذا الرسوخ المغربي في العالم الدولي عبر ذلك العهد ، ونستجلي بعض الملابسات المغربية والدولية التي كان لها شان فاعل في هذا النطاق .

تدخل في تقديرات الوضع الدولي للمغرب خلال التاريخ ، وضعيته المتعددة ملابساتها الجغرافية ، بما في ذلك موقعه بين القارتين افريقيا وأوربا ، واشرافه على ملتقى البحرين وما يضفيه عليه الامر من ازدواجية الصفة لديه ، اطلسية ومتوسطة ، ثم هناك انتماؤه الافريقي والعربي والتحامه الروحي والثقافي والحضاري بالعالم الاسلامي . .

وقد كانت مختلف هذه الاطروحات موضوعة على صعيد الاهتمام المغربي والدولي ، في مناخ التوازن العالمي ، المتارجح خلال القرن الثامن عشر .

ولتحديد معطيات الوضع الذى افرز هذا المناخ ، لا باس ان نرصد فى لمحة جد سريعة ، خريطة القوى الدولية الكبرى النشيطة عالميا حينئذ : فنجد الدولة العثمانية ، وهى باسطة ظلها سياسيا على منطقة المغرب العربى ، ومعظم تلدان الشرق الادنى ، اضافة الى منطقة البلقان ،

ونجد فى جنوب وسط اوروبا ، انظمة ، كدولة نابولي ، محدودة الحجم فى الاعتبار الجغرافي ، الا ان لهـا ـ بحكـم موقعها ونشاطاتها ـ اثرا فى تحركات الحياة الدولية ، وانعكاساتها بالبحر المتوسط .

وقد كان هناك على المسرح الدولى كذلك روسيا القيصرية ، التى ـ وان تكن مفصولة جغرافيا بالمضايق التركية ـ عن البحر الابيض المتوسط ، الا انه كانت لها مع ذلك سياستها فى المنطقة المتوسطية ، علاوة على ما لها من حول وطول فى الشرق الاوربى ، ومشارف الشرق الادنى ، هذا الى ثقلها الدولي بوجه عام ، الراجع لاعتبارات ، منها ضخامة كيانها المترامى بين أوروبا وآسيا ،

وفوق هذا كله ، كان الاستقطاب الهائل ، الذى احدثته منطقة غربى اوروبا حول نفسها ، بسعيها الى ارتياد المحيطات والقارات فى شتى اطراف العالم، واستهدافها امتلاك الاراضى والهيمنة على مقدرات الامم ، بل واقصاء ما يمكن اقصاؤه من الشعوب عن موطنها والحلول محلها .

أما الانعكاسات الناجمة عن هذا الوضع الدولى، فقد كانت فى خطوطها العريضة كما يلى :

فى الساحل الاطلسى وغربى افريقيا وجنوب الصحراء :

تحولت انظار الاوروبيين ـ بعد اكتشاف أمريكا ـ الى المحيط الاطلسى ، مركزين حوله اهتماماتهم اكثر من اى زمن مضى قبل ذلك ، وكان امامهم سبيلان رئيسيان فى المحيط، احدهما ، الذاهب الى نصف الكرة الغربى ، والآخر ، الملتف حول القارة الافريقية ،

وقد توالى تهافت الاوروبيين على اتخاذ مواطىء قدم لهم بافريقيا ، منذ مطالع القرن السابع عشر حيث اقيم أول مركز تجارى فى جزيرة كورى الواقعة تجاه موقع داكار ، وما دخل العالم فى حظيرة القرن الموالى (الثامن عشر) حتى كان البيض الاوروبيون قد تسربوا الى مواقع مختلفة فى الساحل الغربى الاطلسى ، وتمكنوا فى تغلغلهم من النفوذ الى ما كان يعرف سابقا بالسودان الغربي (مناطق حوض نهر السينغال الاعلى ، وحوض النيجر الاوسط .

وساد صراع حاد بين القوى التوسعية الاوروبية فى الغرب الافريقي ، على غرار ما تم بآسيا فى الهند وغيرها ، وكانت ابرز القوى المتنافسة ، الهولانديون والبرتغاليون والفرنسيون والبريطانيون .

وعلى الطرف الآخر من المحيط ، فى العالم الجديد، كانت الحرب فى سبيل الاستقلال قائمة على قدم وساق ، وكل هذه الاحوال المضطرمة بها الساحة الدولية ، كانت تجرى بمجاورة المغرب جنوبا ، (افريقيا الغربية) أو بمواجهته غربا (امريكا) ولو عن كثب ،

وسواء فى هذه الحال او فى الاخرى ، فان العراك كان عراك استعمار واستقلال ، ولم يكن للمغرب ، بطبيعة الامر ـ وهو من الغيارى على استقلالهم ـ الا ان يضع انتباهه حول ما يجرى وأن يكون يقظا لكل ما يتبلور عنه .

فى ساحة البحر الابيض المتوسط :

اخذ الصراع حول البحر الابيض المتوسط يشتد بين الدول الاوروبية فى خلال القرن الثامن عشر ، ويستعر اكثر ، فى بحر القرن الموالى ، وقبل ان يجتمع مؤتمر فيينا فى سنة 1815 لاعادة النظر فى خريطة اوروبا ، كانت الصراعات فى الحوض المتوسطى قد اتخذت ابعادا ضخمة ، على ارضية النزاع الفرنسى الانجليزى ايام نابليون ، وتدخل بريطانيا فى المضايق التركية ضد العثمانيين ، كاحدى مضاعفات هذا النزاع ، وقبل ذلك ، استيلاء بريطانيا على مالطة وجبل طارق ، هذا الى الصراع الروسى العثماني حول المضايق ، ونزوع روسيا القيصرية، الى بسط سيطرتها على بحر البلطيق ، والتهاب حدة الصراع اوائل القرن الثامن عشر بين الحلف الاوروبي ، المتكون من النمسا وهولاندة وانجلترا ، ضد فرنسا فى حرب الوراثة الاسبانية .



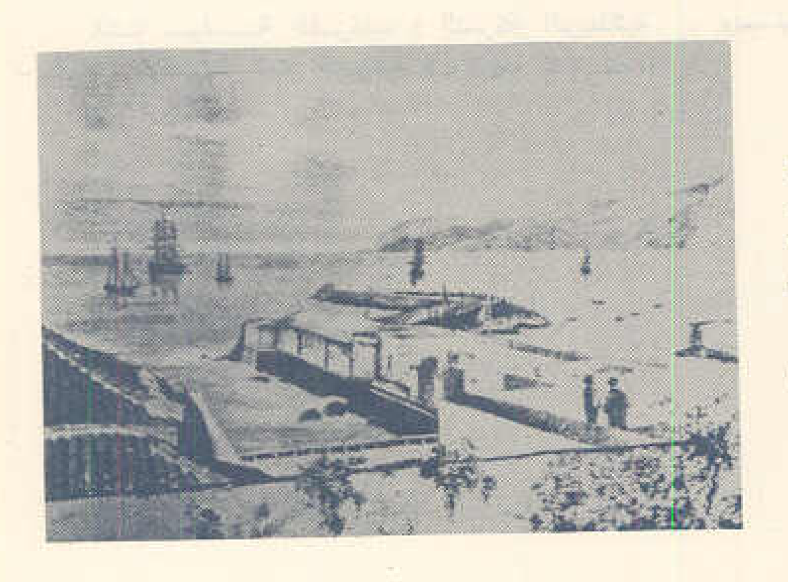
صاحب فكرة احتـــلال الصحـــراء المغربية بطرق مزيفة ومغشوشـــة كودوى الذي كان يلقب بامير السلم عام 1803



الملك الاسباني فيليب الثاني الـذي فشل مرارا فى اهدافه التوسعية مع ملوك المغرب



جان دى فينتان كور الذي احتـــل جزر الكناريا عام 1402 ، ومنذ باع ما كان يسمى بحقوقه على جـــزر كناريا الى اسبانيـــا وهي تحلـــم باحتلال التراب المغربي أي الجهـــة التي تسمى الان بالرقيبات او وادى الذهـــب



هذا منظر قديم لميـنـاء سانطاكروز بجزر كناريا ومن هناك كان يتآمـــر على الشواطىء المغربية لا من طرف الاسبانيين فحسب بل حتي الاجانـب كانوا يجدون من طرف الاسبانييـــن كل نوع المساعدة فى استتباب اقدام نصرانية على شاطـىء الصحـــراء المغربيـــة

وقد كانت مفتوحة فى المنطقة فضلا عن ذلك ، جبهة اخرى من الصراع البحرى ، بين الاوروبيين ومسلمى شمال افريقيا عموما ، الامر الذى كان بمثابة حرب مستمرة بين الضفتين تنشأ عنها احيانا مضاعفات جد حادة .

كل هذا ، جعل من الحوض المتوسطى فى غضون القرن ، منطقة توتر شامل ، كان من اشق الامور على دولة محايدة فى المنطقة ، تجنب التعرض لشراراته ، خاصة اذا كانت موجودة موقعيا بقرب دائرة الصراع ، او معنية مباشرة ، لاعتبار عاطفي او نحوه ، ببعض الاطراف المشاركة فيه . وقد عرف المغرب كيف يوفق بين مختلف هذه المقتضيات فى سياسته المتوسطية .

فى العالم العربى والاسلامى :

تمددت موجات التوسع الاوروبى فى ارجاء آسيا ، عبر المحيط الهندى ، حتى بلغت اقاصى مواقع الشرق فى الملايو والارخبيل الاندونيسى وما اليه ، وشهد القرن الثامن عشر ضغطا اوروبيا فى هذا الاتجاه ، صار بموجبه معظم العالم الاسلامى (فى الشرق الاقصى وجنوب شرقي آسيا ، ومنطقة الهملايا ، والنواحى المتاخمة جنوبا للصحراء الكبرى بافريقيا) اما واقعا فعلا تحت الهيمنة الأوروبية سافرة او مقنعة ، او على وشك ان يقع فيها ، واما انه تنسج حوله خيوط التدخل ، لتفضى فيما بعد الى فرض النفوذ عليه .

كانت سياسة الشركات (الشركة البريطانية بالهند ، وشركة الهند الشرقية الهولاندية) قد اتخذت سبيلها لتنفيذ الخطط الاولى فى مستهدفات الغزو ، وسواء فى اندونيسيا ، او فى شبه القارة الهندية ، فان هذه الشركات ، كانت قد شرعت فى التدخل فى شؤون الاقاليم الموجودة فيها ، بل ان التنافس الاوروبى الذى اخذ يحتد فى هذا المضمار (مثال التنافس البريطاني الفرنسي فى الهند) كان يتحول احيانا ، الى صراع ساخن ، كما حصل فى شبه القارة كذلك ، بين الهولانديين والبريطانيين اثناء القرن السابع عشر .

اما المحيط العربى ، سواء منه ما كان فى الشرق الادنى ، او فى شمال افريقيا — فانه فى اكثريته ، كان تابعا مباشرة ، او بالواسطة ، للامبراطورية العثمانية ، وعلى الرغم من ان الامبراطورية كانت اسلامية العقيدة والروح ، فانها كانت ابعد من ان تستطيع احتضان الثقافة العربية وتنميتها بالصورة المنشودة ، ولا يجب ان ينسب ذلك فى كافة العصر العثمانيين ، الى الروح الطورانية ، كما بدا فيما بعد ، من خلال جمعية الاتحاد والترقى ؛ الا ان هناك على الاقل حقيقة بارزة ، وهى ان تدهور سلطان العرب السياسى فى ظل النفوذ التركى ، قد فرض بالضرورة ، تدهورا موازيا لذلك فى مقدرتهم على مواصلة الابداع الفكرى والتألق المعروف عنهم .

وقد كان المغرب معنيا بما يغشى الساحة العربية الاسلامية من هذا ونحوه ، وكانت عنايته منطلقة من شعوره بالانتماء الى هذه الساحة واهلها ، وهو شعور املى على المغرب كثيرا مما اتخذه من مواقف مساندة ودعم لاخوانه من عرب ومسلمين .

يتبع : سلا : المهدي البرجالي

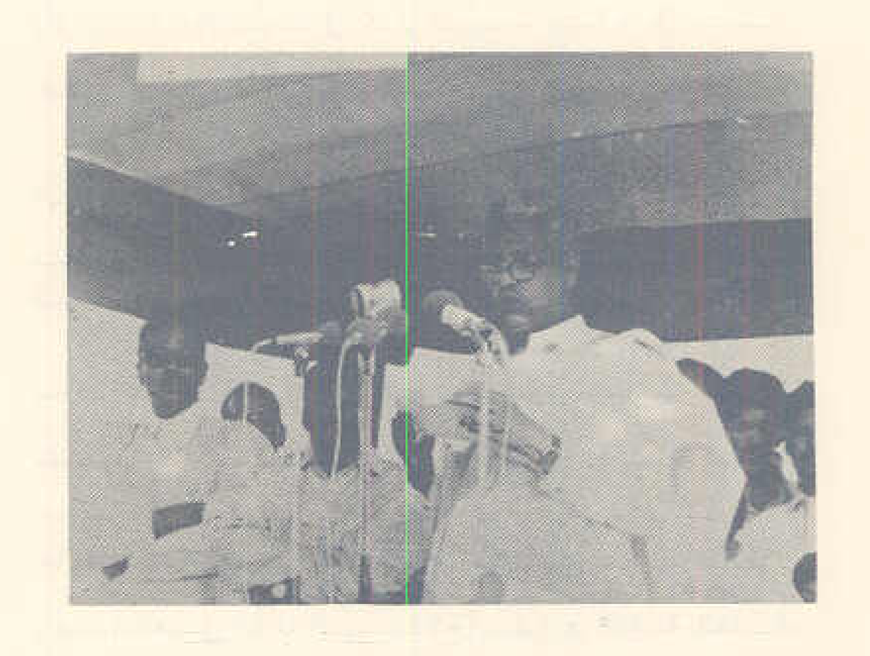
ديوان المجلة

- موعد مع الصحراء
- صحراؤنا لك تشتكي اوصابها
- عادت الذكرى .. وعدنا يا حبيبي
- ودعوت الصحراء .. فوافت جموعا
- قضية شعب
- من الشعر الوطني حول قضايا الصحراء والجيوب المغربية المغتصبة من طرف الاسبان





يارمالي العطاش في الصحراء انت ظمأى للماء أم للدماء
يا عروسا بلا ورود وكل الكون منها معطر الا رجاء
الرمال الصفراء في واحك الخضر وحمر الجمال في الرمضاء
والنخيلات في رحابك الفيح تختال عذارى في عزة شماء
صور تاه في روائعها الفكر ودنيا قدسية الاضواء
لا يضير الصحراء أن لا ترى فيها رياض تفوح بالاشذاء
كل أرض يبدو على وجهها الخير وخير الصحراء في الاحشاء
خبريني عن الفلاة ومن جاؤا ليبنوا الاهرام في صحرائي
هل اقاموا حضارة في مفانيك احلتك ناطحات السماء ؟؟
هل افادوا بنيك علما ؟ وطاروا بك في المركبات عبر الفضاء ؟؟
ان من عودت يداه على الاخذ عسير ان تبسطا للعطاء !
انه الذئب لابسا فروة الشاة يناجي الحملان في استحياء !
فاريه أن الخراف اسود لبست للذئاب فرو الشاء !
مغربيون لا يبيح حماهم مستبيح الا ارتوى بالدماء
ذكريه (انوال) والاسد في الريف ويوم الزلاقة الغراء
ذكريه من نحن ان كان لا يبصر مجدا يختال في الحمراء !





ذكريــه انــا حمــائم فى الســلـم اســود فى حومــة الهيجــاء
لكــانى ارى رحابــك قــد صارت قبــورا للطغمــة الغوغــاء
وبنوك الاسود لفــوا على الهــام غصــون الحمائــم الزرقــاء
والزغاريــد والاناشيــد فى كــل كثيــب ومــلء كل خبــاء
كدليل وان تطاول ما شاء سيمحــوه ساطــع من ضيــاء

قل لمدريد اننا سوف نأتى شئت (يا سنيوريتا) أم لم تشائـي !
قسما أن تنام عنك عيـون لا . ولــن تستكـين للاعــداء
قبــل ان ترجعــى الــى الوطــن الام رجــوع الابنــاء للآبــاء

سوف ينهار ما بنــوه على الرمــل ويــذروه زحفنــا كالهبــاء
فكفــاهم ما استعبدوك وما سامــوك حبا فى تربــك المعطــاء

ها هنا امــة اذا ما ارادت كان فى ما تــرى مــراد القضاء !
وهنــا عاهــل اذا ما ادلهمــت لاح بــدرا فى الليلــة الظلمــاء
يتــحــدى الخطــوب كالحــة الوجــه ويهدي بثاقــب الآراء
قســما لن تنام عنك عيــون لا ، ولــن تستكــين لــلاعــداء
قبــل ان ترجعى الــى الوطــن الام رجــوع الابنــاء للآبــاء
لم تطل بعدنا النوائب الا لتطيــل العنــاق عند اللقــاء ! !

تطوان : محمد الحلوي

صحراؤنا لك تشتكي أوصابها

للأستاذ عبد الكريم التواتي

اعياد عرشك للزمان مواسم ... ونماء عهدك للحياة مباسم
هتفت لمقدمها الحياة وهللت ... وشدا بها اليمن العميم الدائم
وجرى بها القدر اللطيف بشائرا ... سجعت لحسن روائهن حمائم
وترنحت تياهة فتانة ... دنيا الربيع ، وغازلتها نسائم

يا حسن دنيا قد زهت ايامها ... نجنى الربيع بها ندى باسم
طابت مباهجها العذاب ورونقت ... افياءها دعة ورغد ناعم
وهفا الربيع بها فشقق زهره ... اكمامه ، فاذا المغانى براعم
تتبادل الاشواق نشوى هاجها ... نغم البلابل والخرير الحالم
وحفيف ادواح تضوع نشرها ... ارجا ، يروقه النسيم الحائم
ودت خمائلها اللدان تيمنا ... لو تستظل بساحكم وتلازم

يا بهجة العيد السعيد تحية ... يتلو الزمان نشيدها ويناغم
وافيت اربعنا الهنية ديمة ... فاذا المرابع جنة ونعائم
واذا الرفاهة والهناءة هلتا ... واذا المسرات اللذاذ غمائم
واذا المغارب والمشارق رقصة ... سكرى ، توقعها دنانا الرائم
واذا الدنى لحن بهيج رائع ... بسناء عرشك ، يا مننى ، هائم

وانا المرجع — مخلصا — اصداءه ... شعرا ، يهدهده الوفاء الدائم
راودت عهدك بالفصاحة فالتشت ... منه الفصاحة فهى دفق ساجم
وغدت قوافى الشعر ، سلس ثرها ... والنبع منها زاخر متلاطم



شرفاء وصلحاء الصحراء المغربية اصلهم من مناطق المغرب ومنهم الولي الصالح سيدي احمد العروسي بالساقية الحمراء اصله من بني عروس عمالة تطوان هــذه هــي صــورة ضريحــه

رسالة من السلطان المولى الحسن الاول الى القائد الحبيب بن بيروك في موضوع مرســى بالصحــراء (2 رمضان 1299 هـ)

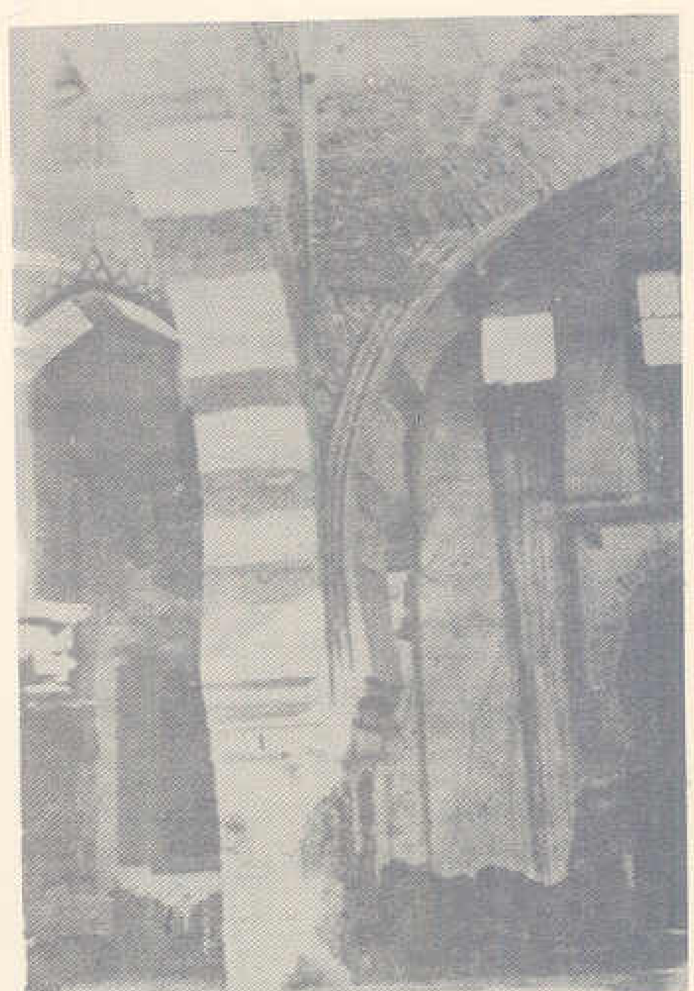
تمتار بحرك — والجدى يتلو الجدى ... صببا — فينعشها رضاك الجازم

والشعب ؛ شعبك فرحة هدارة ... الحب الهبها وشوق عارم
وهتافه لا ينكفىء جماحه ... ويكاد يحرقه الهيام الجاحم
يهفو بعرشك ، والولاء نشيده ... وولاء شعبك للبلاد تمائم
والله ربك عاصم لولائه ... وولاء خالص وده ، بك قائم
هو ، يا مثنى ، يعربا او مازغا ... مستمسك بك ، مقتد ، لك عاصم
اغدقته نعما يروق طعمها ... صدق المودة بينكم ومراحم
وعلى يديك تحققت اهدافه ... وتسامقت هاماته ودعائم
ناديته للتضحيات وقدته ... فاذا مواقفه الحسان ملاحم
لبى النداء مشمرا متذامرا ... ومضى سبيلك ، فى البناء يساهم

اوتيت — يا حسن الفعال — محاسنا ... المجد يعشق حسنها وينادم
ورواء ملك لا يدانى رفعة ... الشمس يعشيها سناه القائم
ولقد وهبت من الروية حزمها ... وتبصرا ، تحمى حماه عزائم
ومن المهابة والحمية والمضا ... ما يستدل به العدو الغائم
ورزقت من شيم الجامد والهدى ... ما لا يحيط به الخبير العالم
وبدت سبيلك غرة وضاحة ... هدى النبوة رسمها ومعالم
هى — والديان — محجة ريانة ... ادواحها ، ثر جداها ، حاسم
راودتها شغفا فمزمنالها ... ومناط سبلك همة وعظائم
ود الهداة لو احتذوا آثارها ... فاذا امانيهم سراب واهم
وسل الحوادث ، كيف ناء بعبئها ... جلد الحوادث ، وهو صلب جاشم

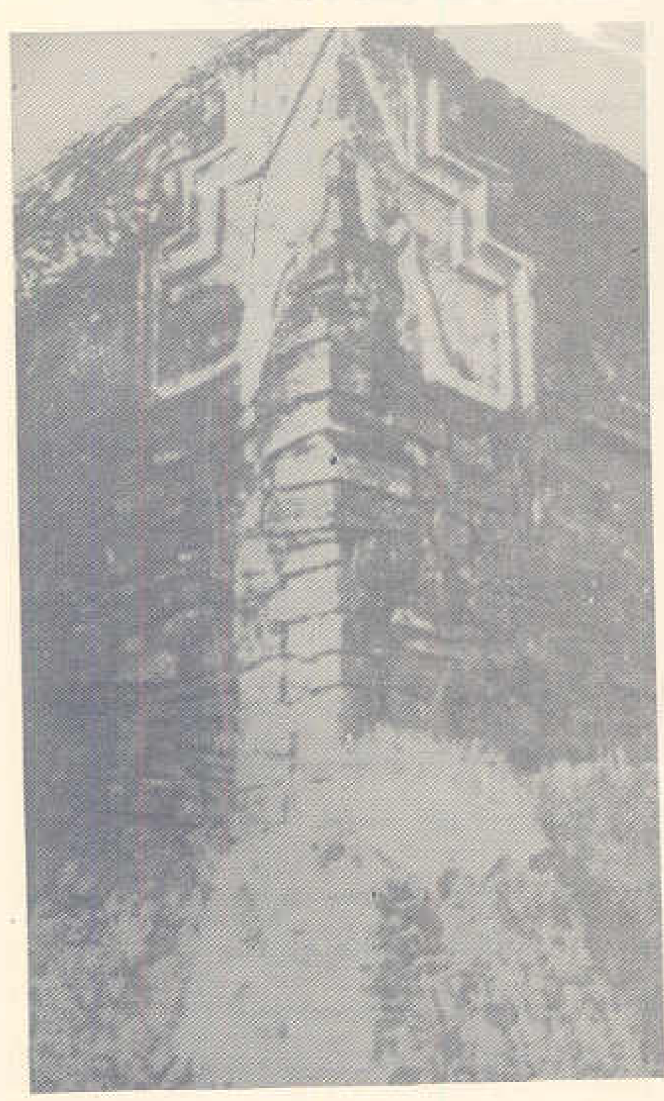
جرو الزمان ، فما استزل صفاتها ... فاذا الزمان على الجراءة نادم
ربعت نوائبه الغواضب رهبة ... ووهت خواقى بأسها ، وقوادم
عض الانامل ، ان راى اجناده ... سلت عليها من اباك صوارم
فأتاك يستبق الخطى مستجديا ... مستعطفا ، والعطف منك مغانم
وهفا اليك على هدى تتناده ... لحماك آمال ورعب قاصم

يا من به حفل الزمان مهابة ... وله مساعر قد عنت وضراغم
صحراؤنا لك تشتكى اوصابها ... وخضم (سبتة) مشرئب ناقم
امواجه غضبى تزمجر حدة ... وتكاد توقع بالعدا وتهاجم
و (مليلة) ارباضها فوارة ... وشطوطها الغاصبين مآتم



قبـة اسمـارة عـام 1913

بنايـة أثريـة باسمـارة



وعلى (جزائر جعفر) اشبالها   تحمى المعاقل والعدو تصادم
و (صفاة نكور) ، تنادى اسدها :   انا ندمر من بغى ونداهم
راماؤنا حمم ، لكل تقيصة   نزاعة ، وعلى الجناة سمائم
فليحذر (الاسبان) غضبة بأسنا   فلنحن اسد فى الحروب ضياغم
انا سنوقد نارها او يرعووا   وعلى انامله يعض الظالم
او لم يروا اريافنا وصمودها   والحرب جاحمها شديد ضارم
نصرت (فرانكة) بحر دمائها   ومدى سنين ، مناوئيها تقاوم
وبلوا اشاوسنا الاباة وريفهم   كيف اصطلوا حربا لظاها قاتم

صحراؤنا جدث لكل مراوغ   ضب يشاكس ما نرى ويماقم
لنخيلها ظل ظليل للالى   لا يظلمون ، وللبغاة اراقم
ورمالها أوار نار محرق   يشوى وجوه عداتنا ويراجم
انت المفازة ، ان يرمك مسالم   وعلى عداك ضغائن واشائم

صحراءنا ، يا منبت الاحرار ، يا وطنى ، خلاصك من اسارك لازم

لا ترهبى ما بيتوه ودبروا   فالله يحفظ ، والمثنى عازم
لبيك ، قد سمع النداء مظفر   فهنا يعبىء جنده ويتاخم
ناديت اهلك فى الشمال فاسرعوا   واهيل ارضك فى الشمال صوارم
يرمون بالموت الزؤام عداتهم   ويسالمون من اعتفاهم بوائم
فهم الفداء فلا تراعى لحظة   وهم — وربك — فى الحروب ضراغم
حاشا نداؤك ان يضيع ، فكلنا   الب على المستعمرين وهازم
نصليهم حمما ونحصد جندهم   ويدع جمعهم الهباء السائم

صحراءنا ، لا تيأسى او تفزعى   فجنود ربك للعوادى قواصم
وارى المثنى ، يا صحيرا ، صخرة   توهى جنادلها الردى وتقاوم
الى : رمالك والشواطىء والحصى   يحمى حماها ، او تطير اللهازم
انا هناك ، ولن نبارح ساحها   كلا ، فما تذر العرين ضراغم
انا هناك ، وما هناك لغيرنا   وطن ، وثمة نحتبى ونرازم

يا عرش باسمك امة تواقة   المجد ، تهتف تحتفى وتباغم
هى — يا مثنى — رهن امرك مالها   الاك ، يوقد نارها ويسالم
فاسلم لها — سلمت ذماك — وعبئن   ابناءها ، فهم المجن الدائم

فاس : عبد الكريم التواتي



اللازمـــة

عادت الذكرى وعدنا يا حبيبي ... للحكايات الجميلة
للمناجاة الجليلة ... للاماني ... للاغاني يا وطـــن
انت من صنع الحسن ... كل ما فيك حســـن ...
يا حبيبي

عـادت الذكـــرى وعدنــــا يا حبيبـــي ...

للأغاريـــد التـــي ينفثهـــــا — سحر آذار بـروح العندليـــب ..
لشذا العطر ، الــذي تسكبــــه — مهجة الذكرى باعطـاف الــدروب
لجلال المجد فى اعيــاد عــرش — شاده الحب على عرش القلـــوب

مّن حشاشات الوطن ... من رسالات الحسن
عـادت الذكـــرى وعدنــــا يا حبيبـــي ...

لمل العيد بانفــاس العـــذارى — واهازيج الندامى ، والـنهـــارى
والنسيمات النديـات اللواتـــي — دب منها الصحو في دنيا الحيـارى
والشماريخ ، الشماليل اللواتـــي — عودتنا أن نرى الليـــل نهـــارا
وجذوع النخل ، تـزري بجـــذوع — ضج منها الرمل فى عمق الصحارى
فتهاوت كالوثـن ... تحت اقـدام الحسن
عـادت الذكـــرى وعدنــــا يا حبيبـــي ...

أيها الثائـــر ، يحـــدو ركبنـــــا — انت من وحــد فيــه صفنــــا
وانتصرنـــا ، يـــوم أن علمتنـــــا — كيف بالروح نفـــدي ارضنــــا
واستقمنـــا يـــوم أن عودتنـــــا — كيف بالاخلاق نحمـي عرضنــــا
وعبرنا اليـــوم عشرين ... وقـــد — صدق الوعد ... وادهشنا الدنـــا
وخلصنا للوطن ... يـــوم بايعنـــا الحســن
عـادت الذكـــرى وعدنــــا يا حبيبـــي ...

انت من خلدت امجاد العـــرب — يوم بادرت ، فاحدثت العجب ...
ومحوت العار بالنـار ، وهـل — يغسل العار سوى ذات اللهـــب
لم تزل سينا ... وجـولان فمـا — يصدع الدنيا بعملاق العـــرب
الملايـــن تفديـك ، ومـــا — تحمل الاكباد من عـز وحـــب
وابتهـالات الوطـن — لمفداهـا الحســن
عـادت الذكـرى وعدنـا يا حبيبـي ...

يا نداء الحسن الثانـي الــذي — هز في العمق ... ضمير البشريه
رددت أصـــداءه أعصابنـــا — وحنايـا المهجـات العربيـــه
وأدان الكـون ذنبـا جائعـــا — عاث بغيا في الاراضي المغربيـة
سنفدي الارض ، مـن صحرائنـا — لشواطينا ، لعمـق الجعفريـــه
فليراقبنا الوطـن — وليباركنا الحســن
عـادت الذكـرى وعدنـا يا حبيبـي ...

سايلوا المغرب ، في عهد الحســن — كيف اضحى قبلـة للعالميـــن
تلهج الدنيـا بمـا في رحبــه — من حفاظ ، واتـزان ، ويقيـــن
وبناة المجد ، تهفـو حولـــه — في سباق .. في اشتياق .. في حنين
وتسامت قمـم المجـد بـــه — فهداها للصـراط المستبيـــن
من يكن غير الحسن ؟ — شاد امجاد الوطن
عـادت الذكـرى وعدنـا يا حبيبـي ...

غمرتنا بهجـة العيـد الاغـــر — فلثمنا (أربعـا بعـد عشـــر)
خلـد التاريـخ في امثالهــا — يوم بدر .. في سجلات القـدر (1)
لم يزل دين الهـدى في عمــره — من شباب الورد ... نورا للبشر(2)
جل عيد العرش في اليوم الــذي — زخرت فيه الحنايـا بالعبـــر !!
انت يا عيد الحسن — كل ما فيك حسن ... ياحبيبي
عـادت الذكـرى وعدنـا يا حبيبـي ...

عش حبيبي ، دمت في أوج عـلاك — صاعدا طلق المحيـا كالمـــلاك
وامـض للنصر بنـا في عــزة — وجلال ، رافـق اللـه خطـــاك
انت من عودتنا صدق الـــرؤى — فخلقنا ... يوم صدقنـــا رؤاك
ان يكن مسـك ضـر عابـــر — يا حبيبي ... كلنا اليوم فـداك
نحن جنـد للوطـن — وفـداء للحســن
عـادت الذكـرى وعدنـا يا حبيبـي ...

يوم 6 فبراير 1975 ــ مفدي زكرياء

---

(1) يوم بدر في الرابع عشر من رمضان
(2) القــرن الرابـع عشــر



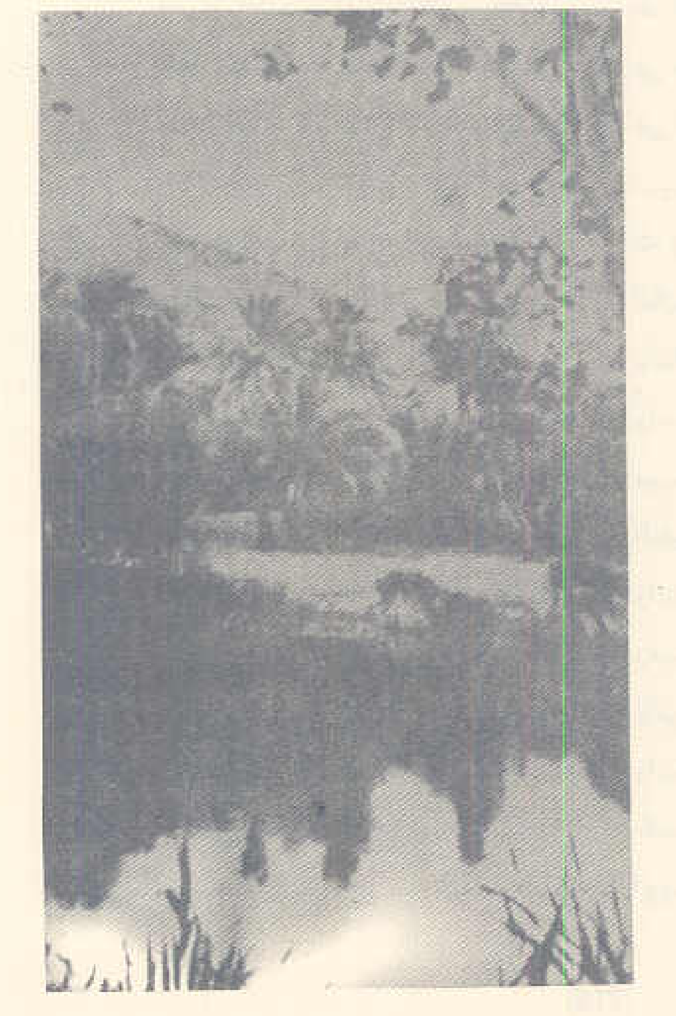
ودعوت الصحرا .. فوافت جموعا

للشاعر محمد الكبير العلوي

اشرق اليمن فى السماء سعودا   فعلى البشر والهنا ان يجودا
واضاء الجو البهيج سرورا   فكسا الارض من سناه برودا
وارتدت سندس الازاهير غضا   اقحوانا مرونقا وورودا
وتغنت بكل شعر بديع   ردد الكون نغمه ترديدا
وتهادت عرائس الشعر نحوى   فى عناق الهوى تحيي العيدا
انا ما زلت مغرم القلب فيها   مستهاما متيما مفؤودا
ما ثنيت العنان عنها ولارمـــت سلوا ولا نويت صدودا
تيتمني مآثر الحسن الثا   ني وقد كنت فى هواه عميدا
فنظمت السموط منها عقودا   واللئالي المنضدات قصيدا
وتخيرت معجزات القوافي   فتغنى بها الزمان نشيدا
وانتقيت الجواهر الفر منها   واقتنصت المعنى البعيد الشرودا
وتواجدت وانتشيت غراما   وتغنيت زاهيا عربيدا
واثار الوجدان مرهف حسي   وتسامى بي الخيال بعيدا
واذا لم تهجك غر المعالي   لبديع الثنا فكن جلمودا
فرصة الشعر هذه فاغتنمها   وارتقب يوم عيدها المشهودا
فاذا لم يواتك الشعر فيها   سلسا رائقا غدوت بليدا
واذا لم يثر قريضك منسا   با يجارى الوجدان كنت كنودا
حسن الشعب انت! اعظم شانا   فى مراقي العلى واسمى جهودا



نساء مغربيات من الصحـــراء فى لباسهن الخـــاص ...

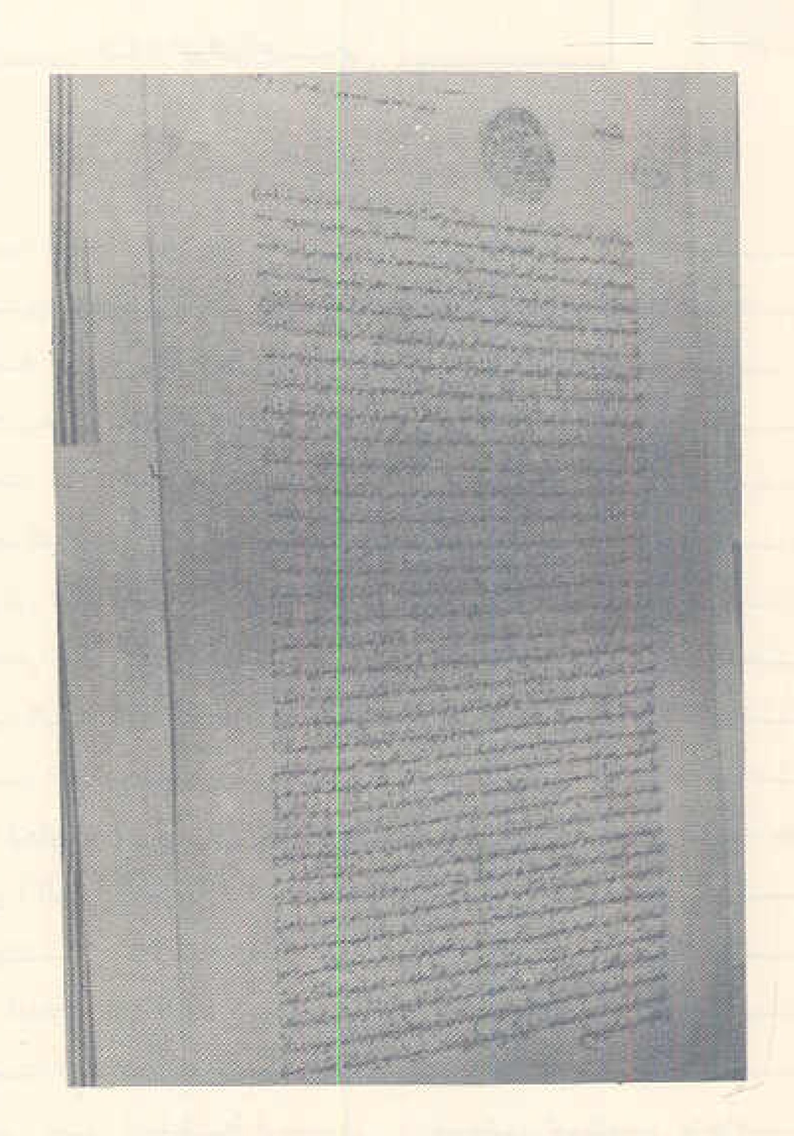


واحة ظابلة يغمرها الماء العــذب فى قلب الصحراء ...

انت اطلقت عقدة من لساني | فابتدرت الثناء والتمجيدا
انت علمتني الاجادة والابـ | ـداع شعرا والخلق والتجديدا
انت الهمتني من الشعر سحرا | وبيانا وحكمة لأجيدا
ملك حرر البلاد وارسى | صرحها الشامخ المنيف وطيدا
فتسامت ثقافة وثراء | وازدهى شعبها العظيم سعيدا
واحل البلاد هالة عز | دونها الفرقدان تصمي الحسودا
فلنا ان نجيد فيه القوافي | وعلينا بعرشه ان نشيدا
مكرمات تاهت بها الارض فخرا | وتحلى بها الزمان عقودا
وسجايا حميدة وخلال | عاليات المنار تأبى الجحودا
دونها انجم السماء ارتقاء | وانتظاما وعزة وصعودا
لوسألنا المدارس الغر عنها | والسدود العظام كانت شهودا
أيها المغرب العظيم تقلد | ذلك الفخر واتخذه رصيدا
ايها الشعر جد بدرك فيه | رائع السبك ان اردت خلودا
حسن الشعب قد اضاءت سجايـ | ـاك على الدهر لؤلؤا منضودا
كلما حزت عزة وفخارا | فى سماء العلى اضفت جديدا
وحد الامة العريقة واجمع | فى العلى شملها ورص الجهودا
انت احرى بأن تقود البرايا | لسبيل النجاة بيضا وسودا
انت احرى بأن تقود المسيرا | ت وان تدرك المرام البعيدا
انت احرى بأن تحقق للعرب | أمانيها وقصدها المنشودا
شدت اركان صرحها المتداعى | وتداركت طودها المهدودا
ان يكون سادها سبات عميق | واستطابت تحجرا وجمودا
فلقد جلجل النداء المدوى | من رباط العلى يسود الوجودا
فاستفاقت من نومها وتداء | الحسن الثاني يستثير الحشودا
أمة قد دعوتها فاستجابت | واتتك الشعوب منها جنودا
ومضى جيشك المظفر اعصارا | رهيبا من السماء مبيدا
قلت هيا الى الكفاح فلبوا | وانبروا فى زي الرجال اسودا
عشقوا الحرب واستطابوا لظاها | واستحبوا لقاءها الموعودا
والتقوا فى الجولان زحفا ابيا | يكسب النصر والثناء المجيدا
ومحضت البلاد حبا وعطفا | ابويا موثقا وعهودا

ووفـــاء ترجمتـــه منجـــزات ومشاريع ضخمـــة وســـدودا
ونشرت اليمن المبـــارك فيهـــا حانـي الظل وارفـــا ممـــدودا
ودعوت الصحرا فوافـــت جموعـــا وجنـــودا ابيـــة ووفـــودا
واتى حشدها العظيـــم وفيـــا وحديا يقفو جحاجـــح صيـــدا
شعبة لا تـــزال ترفـــع للعـــر ش وللعاهـــل العظيـــم بنـــودا
تقتفي فى الوفـــاء والعهد آبـــا ء كرامـــا اعـــزة وجـــدودا

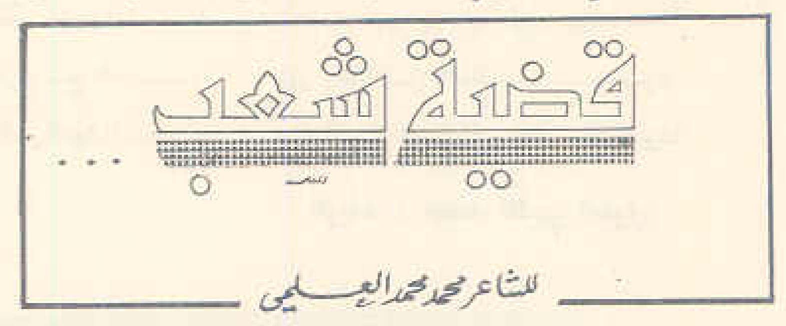
الرباط : محمد الكبير العلوي



رسالة من مولاي الحسن الى عبد السلام السوسي 30 شعبان 1299 حول رحلتـــه الاولى الى سوس ووادى نـــون

بمناسبة مطالبة المغرب رسميا بسبتة ومليلية والجزر الجعفرية وباقي الجيوب السليبة من الوطن العزيز.





قضية شعب عريق مناضل ،   يعبىء للمجد كل الوسائل ،

يصون مكاسبه ويرى   نماء الحصيلة اسمى المشاغل .

بيقظته يستحث الخطى ،   فليس بساه ولا متغافل ،

ولكنه نحو أوج العلا   يوالي مسيرته ويواصل .

لوحدة هذا التراب الكريم   يكافح ، يقهر كل المشاكل ،

يعاف التخلف ، ينكي الطغاة ،   يحث مواكبه للفضائل ،

يخوض الجهاد صغيرا كبيرا   بصبر ، ويدرك عمق المسائل .

وصحراؤه من صميم الكيان   تعود لاصل لها متكامل

نحب السلام ، ننادي له ،   ونبحث عن حقنا ونسائل

لحسن الجوار سعينا ونسعى   كما يفعل الحكماء الاماثل

و (لاهاي) عدل وفصل ستقضي   بحق ، فما خاب فى القصد عادل !

وفى (الهيئة الاممية) تبدو   مطالبنا رغم كل مماطل

وحجتنا قوة واعتزاز   بتاريخنا الوطني الشمائل

اذا اتحدت فى البلاد الصفوف   تلاشت حواجزها والفواصل

فليست تهاب الوعيد ، ولا   يزعزعها الغاصب المتطاول

وليس يضير الحقيقة ليل   سيمضي لمستعمر متجاهل

هو الحق رغم الدخيل يسود   ويقهر تضليله المتخاذل

فلا بد للمجد من تضحيات ،   ولا بد فى نيله من مقابل

واخواننـــا ها هنـــا أو هنـــاك   لقد انزلوا الحق خير المنـــازل
وفي ظل عرشهـــم اتحـــدوا ،   فهم كلهم في الفـــداء الاوائـــل
تبلور في (الحسن) الشهم حقـــا   سمو الحجى ، في اداء الرسائـــل
واوطاننا في جميـــع الجهـــات   سقاها من الحب احلى المناهـــل
وتحـــت قيادتـــه في ثبـــات   نهد الصعاب ونطوي المراحـــل
فانعـــم برائدنـــا المرتضـــى   فقد فاق اهل النهى والفطاحـــل
اذا اتضح الحق ، لاح السبيـــل ،   وزلـــزل مستعمـــر متحايـــل
هنالك في جنبـــات (العيـــون)   تقوى (الرباط) الاصيل المماثـــل
و (سبتة) عافت فلول الطغـــاة ،   وفي (مليلية) البغي كالحلم زائـــل
اذا الشعب ثـــار على غاصـــب   تحدى المنايا ، وهـــد الغوائـــل
ولم يكن (المغرب) الحر طبعـــا   سوى جنة طفحـــت بالخمائـــل
فما انجبت ارضنا في العصـــور   سوى بطل في المعامع باســـل
ونحن نعيش بعصر الخـــلاص ،   وكسر القيود بكـــل المعاقـــل
تضاءل من افسدوا في الشعوب ،   وهدت صروحهمـــو بالمعـــاول
نريـــد السيـــادة كاملـــة ،   فنور التحرر في الكون شامـــل
تقلص ظل التسلـــط حتمـــا ،   فمسعاه بين العوالـــم فاشـــل
وكـــم للدخيـــل واذنابـــه ،   وقد مكروا مكرهم ، من مهـــازل !
فهـــم عجلـــوا بنهايتهـــم ،   وعذرهمو في المحافل باطـــل
نريـــد بتحريـــر صحرائنـــا   حقيقتنا ، اذ عليهـــا نقاتـــل ،
فتاريخنـــا وحضارتنـــا ،   وتلك الاصالـــة بيـــن القبائـــل
دليل على وحـــده في الوجـــود   اذا احتاج مغربنـــا للدلائـــل !
وصلنـــا بحاضرنـــا ماضيـــا   يحـــن الى غدنـــا المتفائـــل
فنحن كمـــا كـــان اجدادنـــا   نهز البنود ، نهـــز المشاعـــل
ومن حث خطـــوا على دربـــه   بعزم وحزم ، فلا شك واصـــل
فمرحـــى لتدبيـــر عاهلنـــا   ففيه رجـــاء رعايـــاه كامـــل !!

الرباط : محمد بن محمد العلمي

من الشعر الوطني

حول

قضايا الصحراء والجيوب المغربية المغتصبة من طرف الاسبان

للشاعر غربي محمد

(1)

مليلية .. وسبتة .. والثـــلاث
تصيح ، وتستغيث ،، فهل تغاث ؟

واخرى .. كالنكور ، وصخرتيهـــا
وبادبس .. بها الاسبان عاثـــوا

وصحراء الجنوب ، تمد كلتـــا
يديها .. حاش يخذلها انتكـــاث

فيا وطني ، لقد مزقـت حقـــا
وناشتك الكواسر ، والبغـــاث

وحاربت العدا ، زمنـا طويـــلا
ولج ، من الجهاد ، بك اللهـــاث

فهب لنصرها ، بـدم جديـــد
تحالفنا انتصـــارات حثـــاث ،

اذا حـل العـدو بها قديمـــا
فان حلـول مشكلهـا حـــداث

فأمـا أن يفاوضنـا فنرضـــى
وامـا ، هالـه منا اجتثـــات

(2)

سنرجع .. باستعانته تعالـــى
جزائرنـا الثـلاث الجعفريـــه

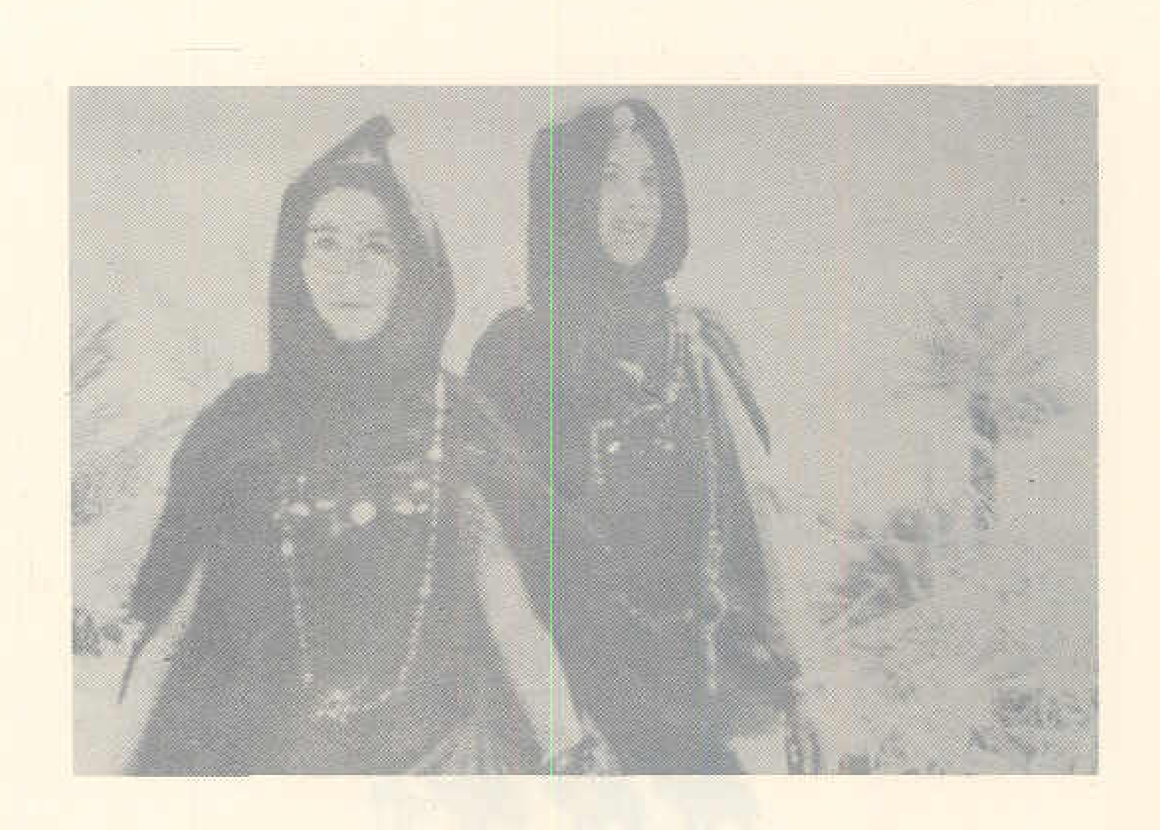
مليلية .. وسبتة .. كل شبـــر
من الصحراء ، ارضـي المغربيـة

وباديسا ، وصخرتنـا نكـــورا
ونرجـع بانتصـارات قويـــه

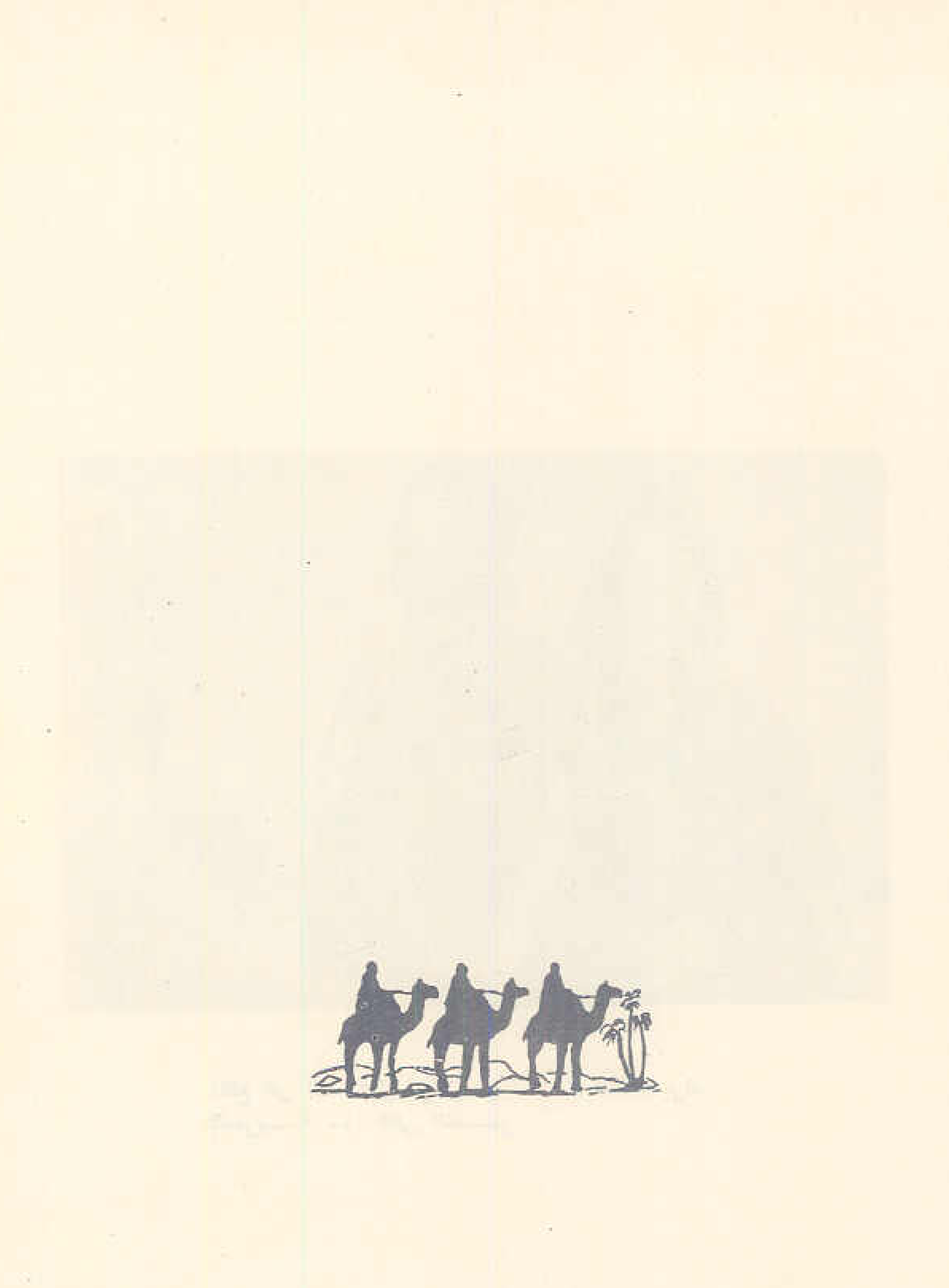
اذا سكنوا بها زمنـا طويـــلا
وظنو انهـم كسبـوا القضيـــه

فسوف نزيدهم « خفي حنيـن »
لينتعلوهما .. يـوم الجليـــه !!

شفشاون : غربي محمد



تطلع الى المستقبل الزاهر من نســاء الصحــراء
المغربيــة ... فالى النصــر



فهـــرس العـــدد الخــاص

صفحة		
3	تهنئـــة ... واجـــلال	لمعالي وزير الاوقاف والشـؤون الاسلاميـة الداي ولد سيـدي بابـا
6	وما الفرق ما بين الانام وبينه ؟	للاستـاذ محمـد بنعبـد اللـه
12	لنجعل من هذه السنة سنة تجنيد لاسترجاع اراضينـا ... خطـاب ملكـي	
18	من الجهاد الاصغر الى الجهـاد الاكبـر : لن نضحي بشبر من ارضنا ... خطاب ملكي	
25	كانت مطاردة العرش العلوي للاستعمار هي مهمته الاولى : جلالة الملك يطلقها صرخة مدوية ضد الوجود الاسباني فى اطراف المغرب	للاستـاذ عبـد اللـه كنـون
31	العرش يعقد العزم على تحرير الصحـراء ، والشعب يهتف بخوض المعركة الكبـرى	للاستـاذ الرحالـي الفـاروق
36	الصحراء المغربية : مغربية طبيعيا وجغرافيا وتاريخيـا وانسانيـا وحضاريـا	للاستـاذ محمـد الفاسـي
48	اقصوصة من وحي العرش : وما قضـاه فى السجـن كفايـة !!	للاستـاذ أحمـد زيـاد
51	من كفاح العرش والشعب : هدف الوحـدة اقتـرن بمطالـب الاستقـلال	للاستـاذ عبد اللطيـف الخطيـب
57	الصحراء المغربية الواقعة تحت الاستعمار الاسبانـي	للاستـاذ عبـد الكبيـر الفاسـي
68	للحقيقة والتاريخ : وثيقة تجديـد بيعـة شمـال المغـرب التاريخيـة	للاستـاذ محمـد الطنجـي
71	من أسبـاب تخلـف المجتمـع الاسلامـي فى نظـر بعـض المستشرقيـن . . .	للاستـاذ محمد محي الدين المشرفي
76	بحث ثقافي تاريخي حول : الثقافة العربية المعاصرة فى شمـال المملكـة المغربيـة	للدكتـورة آمنـة اللـوه
80	الوراقة المغربية فى العصـر العلـوي الاول	للاستـاذ محمـد المنونـي
93	معركـة التحريـر ما زالـت مستمـرة	للاستـاذ عبـد العلي الوزانـي
98	بـاديـس المجاهـدة	بقلـم : باحـث
105	المشرق يكتشـف نفسـه في المغـرب	للدكتـور عبد الهـادي التـازي
109	الصحراء المغربية بين اصالـة التاريـخ ، ودعـاوي الاستعمـار	للاستـاذ حسـن السائـح
116	مؤرخـو الشـرفـاء : المدخـل	تاليـف : ليفـي بروفنصـال 1922 تعريب : الاستاذ عبد القادر الخلادي 1974
124	موسوعـة ابن عبد البـر : (التمهيـد) فى عهـد الحسـن الثانـي	للاستـاذ سعيـد أعـراب
127	ذاتيـة المغـرب من ذاتيـة تاريخيـة	للاستـاذ عبـد القـادر زمامـة
130	عناية ملوك دولتنا العلويـة بتثقيف ابنائهـا	للاستـاذ عبـد الله الجـراري

صفحة

133 موقف المولى سليمان العلوي من الحركة الوهابية ..... — للاستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

140 اليد البيضاء لصاحب الجلالة الحسن الثاني في ازدهار القراءات القرآنية بالمغرب — للدكتور التهامي الراجي الهاشمي

145 متى العودة ؟ يا سبتة العزيزة ؟ !! — للاستاذ محمد احمد اشماعو

152 في عيد العرش العلوي المجيد — للاستاذ أحمد عبد الرحيم عبد البر

155 كفاح ملوك الدولة العلوية من أجل وحدة المملكة المغربية ..... — للاستاذ عثمان بن خضراء

161 فلسفة التحرير .... — للاستاذ عبد الرحمن بنعبد الله

164 دعوة الاسلام : منهجية وحركة — للاستاذ محمد بحات

168 في طريق بناء المغرب الجديد : تطور المفهوم الصحفي في المغرب — للاستاذ زين العابدين الكتاني

174 حيا الله قاضي العيون .. لقد امتثل امر ربه ، فاستبرا لدينه ، ونصح لوطنه وامته — للاستاذ عبد الرحمن العمراني الادريسي

179 عصر النهضة الحسنية ..... — للاستاذ عبد الفتاح امام

182 (1394 هـ — 1974 م) سنة طافحة بأعمال جليلة بناءة ، ومبادرات ذكية سريعة

201 المغرب على عهد العلويين : الوزن الدولي للمغرب في غضون القرن الثامن عشر — للاستاذ المهدي البرجالي

ديوان المجلة :

206 موعد مع الصحراء ...... — للشاعر محمد الحلوي

209 صحراؤنا لك تشتكي أوصابها — للشاعر عبد الكريم التواتي

214 عادت الذكرى .. وعدنا يا حبيبي — للشاعر مفدي زكريا

216 ودعوت الصحرا .. فوافت جموعا — للشاعر محمد الكبير العلوي

220 قضية شعب .... — للشاعر محمد محمد العلمي

222 من الشعر الوطني ، حول قضايا الصحراء والجيوب المغربية المغتصبة من طرف الاسبان — للشاعر غربي محمد